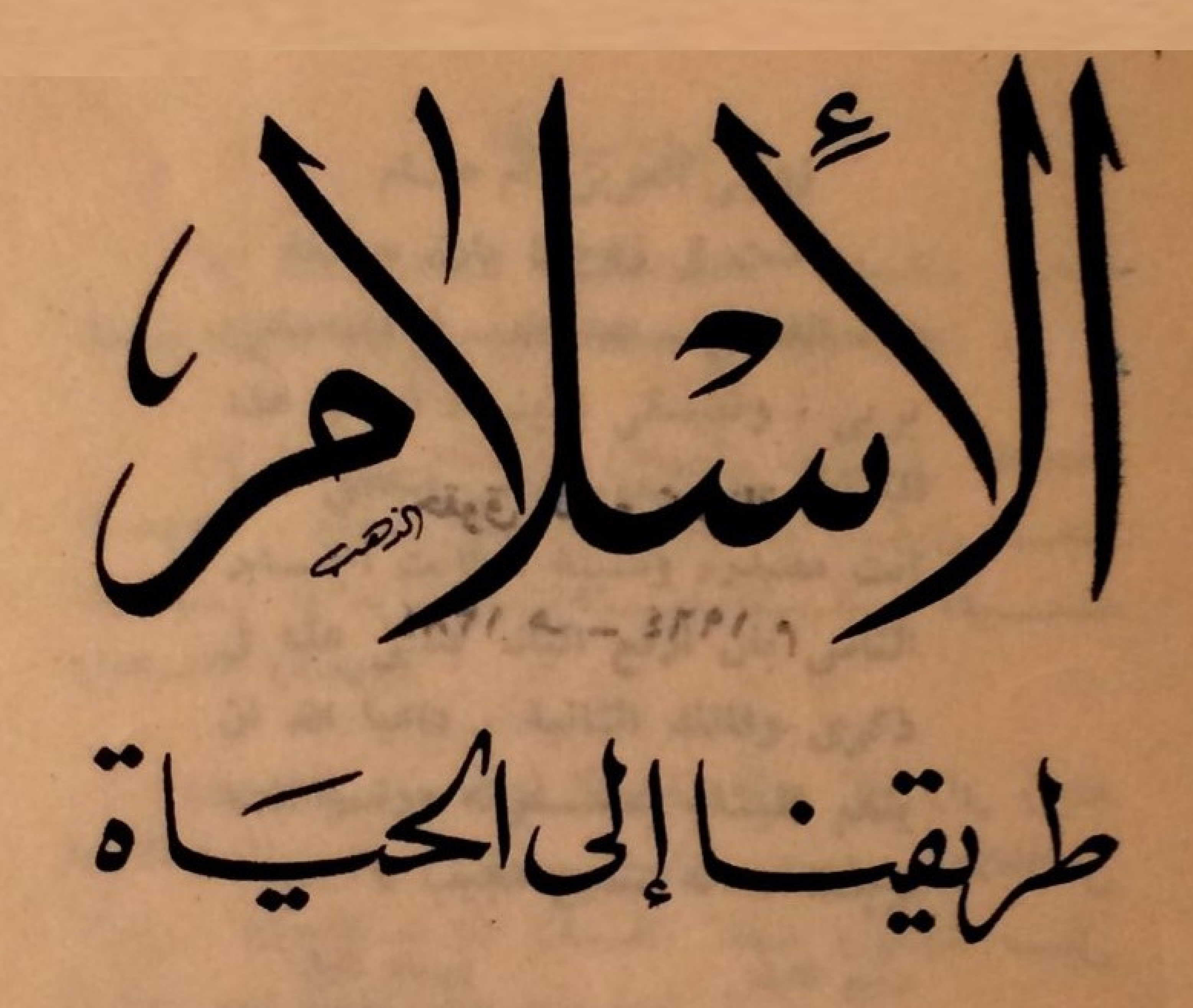
أحمد عبد الغفور عطار



الناشر
المؤسسة العربية للطباعة
جدة

أحمد عبد الغفور عطار



الإسلام طريقنا إلى الحياة

الناشر
المؤسسة العربية للطباعة
جدة

الطبعة الأولى
١٣٨٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

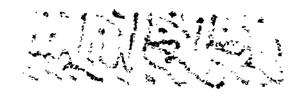
الاهـــداء

زوجي العزيزة أم هشام

لكنت لي زوجا بارة صالحة ،
ولك الفضل ـ بعد الله ـ في اعتصامي
بربي ، وتمسكي بديني ، فما في هذا
الكتاب من شعور ديني متدفق انما
أنت مصدره وسببه ، فأنت أجدر
الناس بأن أرفع اليك كتابي هذا في
ذكرى وفاتك الثانية ، داعيا الله ان
ينعم عليك بمغفرته ورضوانه
وجنته ، انه سميع مجيب ؟

ربيع الاول ١٣٨٤ هـ

زوجك الوفي
أحمد عبد الغفور عطار



الاهداء

تقـــديم

كل ما في هذا الكتاب يتصل بالاسلام ، وهذه الصلة القوية تبيح لي أن أسلكها في سمط واحد .

وما فيه من مقـالات وفصول نشرت في الصحف السعودية ، ورأيت جمعها في كتـاب لتكون سـجلا تاريخيـا أو مرآة لصاحبها تعكس عقيــدته واتجـاهه وتطوره .

ويسعدني أن يكون الصدق طابع كل رأى رأيته أو كلمة كتبتها ، وحسبي هـذا ، وشفيعي الاخلاص لديني ، وليوفقنا الله لاعـلاء كلمته ويهدينا سبيل الرشاد ، ويعز الاسلام والمسلمين ؟

محرم الحرام ١٣٨٤ هـ

أحمد عبد الغفور عطار
مكة المكرمة

الإسلام

طريقنا إلى الحياة

[illegible]

[illegible]

الهجرة

ليس موضوعنا في هذه الكلمة « الهجرة » من الناحية التاريخية والسيرة ، فتلك قد وفاه المؤرخون حقه من البحث ، واستوعبوا كل حقائق التاريخ والسيرة بحيث لم يتركوا مجالا لكاتب جديد يزيد فيه ، ولكن المجال الذي يتسع للبحث والاستقراء والاستنباط والكتابة ما في الهجرة من معان وعبر ، وما أعقبت من أعمال كانت أساس التقدم الانساني كله .

وليست هجرة محمد صلى الله عليه وسلم بدعا بين الرسل ، فقد هاجر الرسل من أولي العزم وغيرهم قبله ، فقد ذكرت كتب التاريخ ان نوحا ولوطا وداود ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم قد هاجروا فرارا من الظلم ورغبة في اقامة بناء الانسانية على اسس مكينة جديدة غير الاسس التي لا تستقيم معها الحياة الإنسانية .

وميزة محمد أنه لم يأت بشيء لا يتفق مع السنن الكونية والطبيعية لحياة الناس ، فلم يصنع ما صنع موسى وعيسى من تقديم المعجزات التي تبهر العقول ، لأن في الناس من غير الرسل والانبياء من تجرى على أيديهم الخوارق المعجزة ، ولئن كان ما يجرى على أيدى الرسل يسمى معجزة ، وعلى أيدي غيرهم دجلا وشعوذة للتمييز بين الحق والباطل ، كما نسمى الاتصال بين الرجل والمرأة زواجا اذا كان مشروعا ، واذا كان باطلا يسمى سفاحا .

وفي حياة الرسول عليه الصلاة والسلام معجزات وتنبؤات صادقة تدل على صدق النبوة والرسالة ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يتحدى بمعجزة او يتطول بخارقة ، بل كان شديد الحرص على اثبات انسانيته مع الرسالة الخالدة ، فكان يقول « انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » . وتزوج وأكل وشرب ، وخاصم وخوصم ، واقترض ووفى ، واستدان وعجز عن السداد أياما ثم وفى ، ومر به عليه الصلاة والسلام ما يمر بكل انسان شريف مهذب ، وكان يمزح ولا يقول الا حقا ، وتنبسط نفسه للفكاهة ، ويسر للاطايب من الطعام والشراب والعطور ، ويعنى بنظافة جسمه وملابسه ، ويضحك ويبكي ، ويفعل كل ما يعمله الانسان .

كل هذا ليبعد الرسول صلى الله عليه وسلم عن الناس فكرة المعجزات لانها خوارق لا تتاح لكل انسان ، وهو لا يريد الا ما يستطيعه الناس ، وعندما كان يسأله المشركون المعجزات يأبى أن يجيبهم لئلا يقصر أمد الامل في هدايتهم ، لان الرسل الذين استجابوا تحديات المشركين فقدموا معجزات تقمولا على اممهم عندما أصروا على الكفر فنزل بهم العذاب الماحق ، ولما كان رسول الله محمد يريد أن يمحق أمته لأن رسالته ختام الرسالات كلها وهو خاتم الانبياء والمرسلين اجمعين ودعوته خالدة مع الزمن حتى ينتهي ، فاذا أتى بالمعجزة وأصر الناس على الكفر نزل البلاء الذي يمحق ويبيد .

فهذه انسانية لم نشهدها في اخوانه الرسل صلى الله عليهم وسلم ، وتلك ميزة محمد يتفرد بها عن اخوته الكرام من المرسلين .

والهجرة نفسها أكبر معجزة بعد القرآن ، فقد انبثقت منها نتائج ما كان يتصورها من معه من الصحابة رضوان الله عليهم الا بعد أن تمت وظهرت الى الوجود فزاد ايمانهم برسولهم الذي هو نفسه معجزة بين الرسل .

نعم ، القرآن أكبر معجزة لرسولنا الصادق الامين ، ومن اتهمه بأنه كلامه لا كلام الله عز وجل انما هو فقيد الذوق والادراك والتمييز ، وان من ينكرون أن القرآن كلام الله من بعض أبناء هذا العصر من المستشرقين وبعض أذنابهم من العرب والمسلمين يجهلون الحقائق حتى المادية التي لا يختلف فيها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

فمنذ نزل القرآن والعربية تخرج عباقرة الادب والشعر والبيان ، ومع هذا لم نجد في أثر من آثارهم الرائعة أسلوب القرآن ولا طريقته وفنه المعجز ، مع أن من السهل تقويل كل شاعر عبقري شعرا منحولا يخفى على الناقد البصير تمييز الاصل من الدخيل .

نحل ابن دريد وحماد وخلف وغيرهم شعرا أدخلوه على دواوين الجاهليين فلم يظهر ثم فارق بين شعر الجاهليين وما نحلوهم اياه ، ويستطيع كل شاعر فحل معاصر أن ينظم شعرا مثل شعر الجاهليين لا فرق بينهما في الجو والجرس والمعاني والاسلوب .

أما القرآن الكريم فقد مضى عليه أكثر من ثلاثة عشر قرنا وما استطاع أحد أن يحاكي سورة منه أو يأتي بآية تشبه آياته ، وبقي تحدى القرآن قائما .

وهذا أكبر دليل على أن القرآن ليس كلام بشر ، ولو كان كلام بشر لوسع عباقرة البيان أن يحاكوه ويأتوا بمثله ، أما وقد عجزوا فذلك البرهان القاطع على أنه من عند الله .

ومعجزات رسولنا كلها معجزات انسانية الا القرآن ومع هذه لم يستطع أحد سواه أن يبني على أعمال صغيرة في مظاهرها نتائج تغير وجه التاريخ وتجعل من الضعف والفرار قوة تقيم صروحا ما تطيق كل قوى البشر أن تقيمهـــا .

والهجرة احدى هذه المعجزات ولعلها أكبرها ونقول ذلك بما انبثق منها من نتائج عظيمة كل العظم ، غيرت وجه الانسانية كله في مدى سنوات لو تغير وجه بلد صغير لكان معجزة ، فكيف اذا تغيرت الأرض بأممها وشعوبها وأقطارها .

ولعل معترضا أو سائلا يسأل : أين هذا التغيير العام ؟

ونحن نجيبه بأن التغيير الذي تم في آسيا وافريقيا وأوروبا مشهور غير منكور ، وأثر الحضارة الاسلامية في أوروبا اعترف به الاوروبيون أنفسهم ، وأوروبا التي بلغت ثقافة المسلمين وتراثهم الفكري استطاعت أن تؤثر في أمريكا واستراليا وفي غيرها من القارات .

وما نستطيع أن نقول ذلك عن حضارة الاسلام ، لأن حضارة فارس انقطع بها السبيل وكذلك حضارة اليونان وحضارة الرومان ، كل حضارة سبقت الاسلام أو عاصرته ماتت وحل محلها الا حضارة اسلامية وانما حضارة اعتمدت على حضارة المسلمين .

نعم ، ان الهجرة معجزة ، ودلالة الاعجاز فيها ان مئات من الزعماء والملوك والرؤساء قاموا بهجرات مماثلة لهجرة محمد عليه الصلاة والسلام في ظاهرها ، ولكن نتائج هجراتهم كانت ضئيلة محدودة لأن منافعها لا تتجاوز حدود المهاجر الضيقة ولا يجني ثمارها غير قلة من الناس ، وأما هجرة محمد فقد وسعت الانسانية وانبعث منها خيرها

ولا نستطيع في عجالة صغيرة أن نستوعب معاني الهجرة ونتائجها ودلالاتها ، ولكن لا مفر لنا من الإشارة الى بعضها كما يشير أحدنا بسبابته الصغيرة الى عالم كبير كالشمس ، فهي تدل ولكن لا تحيط .

هاجر محمد وصحبه الصديق أبو بكر ، وكلاهما كان مضحيا ، ضحى ببلده الأثير عنده ، وضحى بمنافعه المادية وأهله وعشيرته وصحابه

وضحى المهاجرون بمثل ما ضحى به الرسول وصاحبه ، ولقوا من الأذى ما لا قبل للحي باحتماله .

كان أول المهاجرين أبو سلمة عبد الله ، ولما صمم العزم على الهجرة أبى كفار قريش أن يأذنوا له باصطحاب زوجه وابنه ، وأجبروه على أن يهاجر وحده أو يبقى بمكة ، فرضي بعد أن يئس من صحبة زوجه وابنه وتركهما في أمان الله وهاجر وحده .

وصهيب الرومي أراد الهجرة فأحاط به وجهاء مشركي مكة ومنعوه من الهجرة ، الا اذا ترك لهم ماله الكثير ، فتركه راضيا سعيدا حتى قال الرسول : ربح صهيب ، ربح صهيب !

وأبو سلمة يضحي بعاطفته وبابنه وزوجه وبكل عزيز لديه ، وصهيب يضحي بجهود العمر وتعب سنين ، يضحي بعرق جبينه ، بماله ، ويتركه للمشركين راضيا ويقدم على المدينة صفر اليدين وهو غير آسف على ما صنع ، بل يصنع ما صنع وهو أشد ما يكون بهجة وحبورا لأنه أحس أنه يحتمل نصيبه من التضحية .

هاجر محمد وصحابته تاركين الأرض والمال والأهل والصحاب والولد ، وهم بهذا أقاموا الدليل على وجوب ايثار الله على كل شيء ، وتقديم الدين على كل نفع ، وتفضيل الموت في سبيل العقيدة على الراحة والسلامة والحياة ، والثورة على الظلم والباطل والبلد ما دام ذلك مستطاعا ، والفرار من الطغيان والفساد استعدادا للقضاء عليهما .

والرسول صلى الله عليه وسلم عندما صدع بالأمر وجهر بالدعوة الى الله كان يدرك ما يثير عمله من عنت المشركين وعسفهم وطغيانهم ، ولكنه صبر ، فلما وجد أن الاحتمال لا يحقق له مرادا ولا يدني إليه مقصدا فكر في الهجرة طويلا ، ولعل هجرة المسلمين الى الحبشة مع جعفر بن أبي

غالب ، كانت تجربة عملية للهجرة ، غير انه صلوات الله وسلامه عليه لم ير في اتخاذ الحبشة دار هجرته ، ولو ان ملك الحبشة النجاشي رعى الاسلام وحمى المسلمين وابى تسليم المسلمين الى وفد المشركين ، لم ير اتخاذ الحبشة لبعدها عن الجزيرة العربية وصعوبة المواصلات .

وهكذا كل بلد بعيد عن مركز الدعوة الاساسي ، وبدت المدينة خير بلد يصلح ان يكون مهاجرة ، فمهد السبيل حتى وفق لتكوين جماعة اسلامية من سكانها بايعته على الموت والدفاع عنه بأنفاسها وأموالها وثمراتها .

فلما هاجر الرسول وصحابته الى المدينة المنورة تمت أولى خطوات العمل الايجابي ، لان الهجرة كانت فاتحة عهد جديد على البشرية ، فقد صنعت ما لم تصنعه أمة او دين او دولة منذ كانت الانسانية حتى الآن ، ومضت مضية تخالها غير طبيعية ، لانها كانت بنتائجها أكبر من الاسباب الطبيعية مجتمعة .

فالحكم بعد الهجرة لم يكن يقصد الى جمع شتات الشعب والقبائل طمعا في مكاسب مادية يجتمعون من اجلها كما تجتمع الامم ، بل كان لتقرير مصير الانسانية عن طريق اصلاح الفرد وتهذيب قلبه وضميره ، ذلك الاصلاح الذى يفضي الى السمو بالانسانية واقامة مجتمع صالح فاضل سليم ، كل افراده يتجهون الى الخير ويأمرون به ويتصفون به ، ويبتعدون عن المنكر بطبيعتهم لا خوفا من عصا الحاكم .. ويوزعون العدالة بين الناس على السواء .

ولم يكن الحكم الاسلامى منذ الهجرة كالحكم المشهود الآن ، ولا كالحكم الذى كان قائما في جميع عصور التاريخ ، بل كان حكما قائما على آداب وأخلاق وأصول ومبادىء ومثل تتسم جميعها بالانسانية المثلى مما لا نظير له في جميع انواع الحكم قديما وحديثا ، فمع التقدم العظيم الذى تقدمته الانسانية واجتاز به هذا العصر لم يستطع العالم أن ينشيء دولة كدولة محمد التى انتهى اليها الخلق والجمال والقوة والحرية دون ان تعزل الدين عن الدولة او تفصل الروح عن المادة ، بل كانت دولة محمد عليه صلوات الله وسلامه مجتمعا للمسجد والسوق ، فكانت في السوق منارة تؤذن في الناس بالخير والعمل الصالح ؛ وفي المسجد سوق وتجارة ، وسميت العبادة الخالصة ــ في بعض الآثار ــ تجارة لن تبور ، والذين

يدفعه الى استغلال الدنيا استغلالا تاما ويسوقها لخدمة الانسان ويسخرها له ويجعلها للذين أحسنوا .

وأظهرت الهجرة القضاء على حرب الطبقات ، فالاسلام لا يمحو الطبقات ولكنه يقضي على الحروب الثائرة بينها ، ففي صفحة الاسلام كان الملوك والسوقة اخوة متحابين صفت نفوسهم من الحقد والكراهية والبغضاء ، وكان الاخ الصالح الفقير لا يحقد على اخيه الغني . ورأى الناس المسلمين بعد الهجرة وقد سووا لأول مرة فوارق الطبقات وانطفاء نار الحرب بينها مما لم يستطع أحد قبل محمد أن يوفق إليه .

ومن ثمرات الهجرة ان المسلمين تبدل حالهم من الضعف الى القوة ومن الفرقة الى الجماعة ، فبعد أن كانوا يؤدون فرائضهم خفية بعيدا عن الأعين خوفا من المشركين أن يقتلوهم ، اصبحوا بعد الهجرة يؤدونها جهارا وجماعة ، وجهروا بالدعوة ، وصار لهم كيان يذودون عنه كل من يريد اقتحامه ، وبذلك تغير نظر المسلم الى الاسلام ، كما تبدل نظر من يقاومون الاسلام ويحاربون المسلمين .

تغير نظر المسلم الى دينه الجديد فأصبح يراه دين الرحمة والقوة ، دين الحرية والأخوة والمساواة ، دين الكفاح والدفاع ، فهو يستطيع أن يذود الأذى عن نفسه وعقيدته وحرمه بعد أن كان عاجزا ، وكان المسلم مؤمنا بربه ومصدقا برسوله ، ولكن الحيرة ما كانت تطلقه من اسارها عندما يجد نفسه عاجزا مهينا بسبب الاسلام الذى اعتنقه .

ولكن بعد الهجرة تغير ، فهو قادر على رد العدوان ، وشاعر أن العزة له وحده دون المشركين ، فكان يزرى بهم ويسفه أحلامهم ويهزأ بأربابهم .

والمشركون أنفسهم تبدل نظرهم الى الاسلام ومحمد وصحابته ، عرفوا أن محمدا لم يفر رغبة في النجاة فحسب ، بل أدركوا أنه أراد من هجرته اختيار أرض صالحة يزرع بها دعوته المثمرة فيكون له حصاد يمونه في الحياة دفاعا وهجوما وهدما وبناء ، فأخذوا يفكرون في القضاء على هذه الحركة الجديدة القوية بعد أن اخفقوا في قتل الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة قبل هجرته ، وتوجسوا من ثورة الاسلام أن تقتلعهم من جذورهم لو يسلموا ، وخافوا لها سموم فرقة الجماعة .

وعرفوا أن الدين الجديد الذي وجد في المدينة أتباعا سيستقر وأن في إنتشاره تهديدا لهم وايذانا بشرا مستطير يمحقهم هم وآلهتهم ، فأعدوا العدة وأخذوا يضاعفون جهودهم في الاعداد وجمع القوى انتظارا لليوم الذي يقضون فيه على دين محمد .

وعرفوا أن المسلمين الذين كانوا أذلاء مستضعفين انقلبوا أعزة أقوياء جبارين لا يخشون أحدا مهما بلغ سلطانه وجبروته غير الله ، وأحسوا أن خدم الامس أصبحوا سادة مبجلين يحسون أنهم ليسوا أكفاء سادة الامس من كفار قريش بل أعظم منهم لانهم مؤمنون واولئك كافرون ، والمسلم أعظم من الكافر ولو كان جماعة وقوة وحكومة .

وفي شعور المستضعفين خدم الامس بالعزة واحساسهم بالكرامة والحرية والرفعة خطر على سادة الامس ، فخشي المشركون أن تسري العدوى الى عبيدهم ورعاتهم وخدمهم فيتبعوا دين محمد الذين يحررهم من الارباق التي تعيدهم الى كفرة مشركين ، ودفعهم كل هذا الى الاستعداد الذى ما استعدوه قط لمجابهة حركة محمد .

وألهمت الهجرة المسلمين معاني جديدة ما أحسوا بها قبل ، وأدركوا أن الحياة ليست ملكا للثرى القادر وحده ، والبا على الضعيف العاجز ، بل هى للجميع ، كلهم فيه سواء ، والارض للعباد الصالحين ، والكون ليس فسادا بل صلاح اذا كان من يشغلون فراغه صالحين ، والانسان حر لا يتعبد احدا من الخلق لا ملكا مقربا او نبيا مرسلا أو ملكا كبيرا ، ومباح للانسان كل ما فيه صلاح نفسه ومجتمعه وحياته ، وحلال له كل الطيبات ، ومحرم في شرع الاسلام أن يترهب المسلم كما قال محمد : « لا رهبانية في الاسلام » ومأمور من قبل الله على لسان نبيه : « قم ، ونم ، وصم ، وافطر ، وان لبدنك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ، ولزورك عليك حقا » .

وبهذه الكلمة الموجزة وضع الرسول للمسلمين قواعد الاسلام وحقيقة الدين الجديد ، وأطلق للمرء كل قوى النشاط الانساني ولم يكبت واحدة منها في حدود القانون الذى جاء به وهو : « لا ضرر ولا ضرار » .

وكانت الهجرة انقلابا حركيا قويا - انقلابا في فهم الحياة والمجتمع والانسانية ، وانقلابا في فهم الدين ، فليس هو انقطاعا عن العالم وعزوفا عن اللذة والمتعة أو تهالكا على الدنيا وانفصالا عن الآخرة كالاديان الاخرى ،

فالمسيحية انفصال عن الدنيا ، واليهودية او اليهود جعلوا اليهودية انفصالا عن الآخرة ، فجاء الاسلام ووحد بين الدنيا والدين ، وجعل السوق طريقا يفضي الى المسجد بل الى اكثر من المسجد وهو الجنة ، والهم البدو الاميين الجهلة معنى الانسانية على خير مما فهمه الفلاسفة ، فهموا الانسانية الى « يحب المسلم لاخيه ما يحب لنفسه » ، و « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » ، و « المؤمن كالنخلة لا يأكل الا طيبا ولا ينتج الا طيبا » .

وكان العقل في خصومة مع الدين ، ولكنه في ظل الاسلام اصبح صديقا عزيزا ، حتى قال محمد : « لا دين لمن لا عقل له » ، والقرآن اشاد بالعقل ورفعه مكانا عاليا ، فحفلت آياته بذكره ، ولم يكتف بالعقل بل ذكر جوهره ، وليس للدين رجال مخصوصون ، بل كل مسلم رجل دين ، والعلم ليس قصرا على طائفة خاصة ، بل هو للناس جميعا كالهواء والماء ، وكل هذا وغيره حقائق تتحدث عنها الهجرة محمد ، وهو ما لم يأت به دين سابق ولا حكم ماض او معاصر .

والهجرة وحدت بين شعوب مختلفة وقبائل متنافرة وعقائد شتى ، وجعلت منهم امة واحدة ، فقد امن في ظل الوحدة الاسلامية الانسانية يهود ومسيحيون على دينهم وأموالهم واعراضهم ، واعترف المسلمون لهم بكل الحقوق الانسانية وحموها لهم .

ولم تستطع دولة في الارض منذ كانت التوفيق بين الاديان حتى تعيش جميعها في جوار حسن كالدولة الاسلامية ، بل عاهد الاسلام كفارا مشركين رغبة في السلام العام ، ووضع نظاما جديدا للعلاقات بين من اختلفوا جنسا ودينا ولغة ولونا ووطنا على أساس الانسانية . الانسان أخو الانسان .

لم يؤلف الاسلام بين افراد المسلمين فحسب ، ولم يضمن الامن لهم وحدهم ، بل منحه لكل انسان مهما كان لونه ودينه ، اذا لم يقم هو نفسه باعتداء على حرية غيره وحقه ، وقد ثبت أن المدينة كانت موطن يهود ونصارى ومنافقين ومشركين ، ولم يتنكر الاسلام لاحد منهم أو يؤذه او يمنعه حقا من حقوقه .

كل هذا كان من نتائج الهجرة التى أتاحت لرسول الاسلام أن يتفرغ في المدينة للتشريع والتبليغ دون أن تشغله المقاومة السلبية لاعدائه ، ولهذا كانت نقطة انطلاق من الهزيمة الى النصر ، ومن القلق والعذاب الى

الطمأنينة والراحة ، وتيسر له صلى الله عليه وسلم من الاسباب ما اتاح له فرصا كثيرة يشغلها بالتفكير في حـال الانسانية ووضع قواعـد لبناء حضارتها ومدنيتها ومجتمعاتها الفاضلة ، كانت الهجرة نقطة انطلاق مـن الفردية الضيقة المحدودة الى الجماعة القوية .

كان المسلمون قبل الهجرة أفرادا يواجه كل منهم وحدة قوية متحدة مشركة ترميه عن يد واحدة بما لا قبل لفرد باحتماله حتى ان الرسـول عليه صلوات الله وسلامه بلغ به الاسى مبلغا عندما نظر الى ياسر وزوجه وابنه وهم يعذبون عذابا نكرا ولم يستطع انقاذهم لانه هو نفسه كان امام قوى الكفر المتحدة فردا لا حول له ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، فقال : « صبرا آل ياسر ، ان موعدكم الجنة » .

كان كل فرد من المسلمين قبل الهجرة يواجه أمة الكفر متحدة تستبد به وتفترسه وهو أعجز ما يكون عن الدفاع ولو كان أشجع الشجعان ، وكانت نتيجة هذه الفردية الضعيفة أن أمـة الكفر أخـذت تلتقط افراد المسلمين وتعـذبهم وتقتلهم تقتـيلا ، ومـا كانت قريش لتسمح للمسلمين بالتكتيل حتى يكونوا جماعة تنهض أمام جماعة ، فجعلتهم فرادى لا جماعات ولا قرانى حتى لا تتكافأ قوى المسلمين وقوى قريش فيصعب النصر ، بل كان أمام كل مسلم على حدته أمة الكفر جمعاء !

ولكن الامر تغير بعد الهجرة ، فقد أصبح المسلمون أمة متحدة ، تقف أمام أمة الكفر ، وصار التكافؤ بين القوتين وان كانت قوة المشركين أضعاف أضعاف قوة المسلمين ، ولكن حسب المسلمين أنهم أصبحوا قوة متحـدة وجماعة واحدة ، وانتهت الفردية وبرزت الجماعة فكرة وعقيدة وقوة ، ولم يعد المسلم وحده الذى يدافع عن نفسه ودينه وعقيدته وماله ، بل اصبح المسلمون جماعة بل امة ، وبذلك تم للمسلمين النصر والغلبة والتمكين .

وشعر المسلمون وهم بيثرب أنهم لم يصبحوا أفرادا مشتتين ، كل يعيش في محيطه الضيق المحدود المهدد الذى لا يطيق دفاعا عنه ولا يضمن حريته وكرامته وحياته وماله ، بل صار المسلمون أمة ، ووجدوا أنفسهم باجتماعهم قوة متحدة تزداد تماسكا على مر الايام ، وأخذوا يصلون جماعة عيانا بيانا ، لا خفية وخيفة ، واستقبلتهم تكاليف جديدة نهضوا بأعبائها أقوياء سعداء مسرورين ، لان واجب الوحدة الاسلامية أجبرهم على احتمالها

حفاظا على أنفسهم ودينهم ومضوا يفكرون ويعملون في تخطيط الدولة الجديدة ٠

وكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلتمس السهل والممكن في كل أموره وتكاليفه قبل أن يدعو الى الواجب التمس في حياة المسلمين الجديدة ما يكون لهم عونا دون أن يثقلهم حمل لبناتها الثقيلة ، فوضع التخطيط العام ، وأرسخ قواعده واستطاع أن يؤثر فيهم تأثيرا حسنا احس منه كل واحد منهم أنه الباني ، فاتجهوا جميعا الى البناء وظفرت الانسانية بنماذج انسانية عليا لا نجد لها مثيلا في التاريخ الانساني كله الا بين الانبياء والمرسلين ٠

اتبع الرسول سنة التدرج حتى يتعود المسلمون التكاليف الكبيرة التى تخرج عن نطاق الفرد الى الجماعة فالامة الانسانية ٠

واعتقد أن جماعة محمد صبهم الله في قوالب خاصة بهم ثم أعدمت تلك القوالب فلم نجد من يشبه أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وخالدا والزبير وابن عوف وطلحة والحسن والحسين وفاطمة وعائشة وحفصة وغيرهم ٠

واتاحت الهجرة للمسلمين أن يتجمعوا وتنشأ بينهم جماعة متحدة أصبحت في أيام أمة متماسكة قوية البنيان وثيقة التركيب راسخة الاساس، حتى تحفظ كيانها ويسعها مقابلة العدوان المسلح ، وأصبح مطلوبا من المسلمين جميعا أن يعنوا بجميع شؤون حياتهم العمرانية والثقافية والفكرية والحربية والاقتصادية والتجارية والمالية ٠

وقابلتهم مشاكل كبيرة ، ولكن استعداد الاسلام نفسه لمواجهتها جعلت فيهم القدرة لايجاد الحلول السليمة ، فبدأوا بنشر الدعوة والثقافة الدينية التى تبطن الثقافة الدنيوية (واتقوا الله ويعلمكم الله) وأخذوا ينشئون عقولا جديدة ويبنون نفوسا سليمة ، وأصبحت لهم ثقافة دينية عالية يصدرون عنها في كل شؤونهم الخاصة والعامة ٠ ولما رأوا أنهم صاروا أمة في وسعها مقابلة العدوان المسلح بمثله وخوض غمار الحروب ، بدأت أمور الحياة تنتظم على أسس التشريع الجديد ٠ كما بدأت حرب الدعاية والاعصاب ، والحرب المسلحة ٠ فقطعت مواصلات قريش وهددت تجارتها وسلبت من ذلك ما كان لها فيه من منافع ، وزعزعت مركز قريش المالي والاقتصادي والسياسي وعرقلت طرق تموينها كما زعزعت سمعتها عند القبائل وقضت على العبودية والاستبداد والاستغلال والفساد٠

ويكفي لنعلم عظمة نتائج الهجرة أنها أدت الى تثبيت قواعد الدين وتطهير أرض القبلة بعد فتحها من الشرك والاصنام ، وكانت الهجرة المقدمة الرائعة الى نشر الاسلام وهزيمة الكفر ، والى أن يكون المسلمون أمة قوية تحمل رسالة الحضارة والمدنية ، وأن تكون أمة ذات رسالة انسانية عليا ، وسيادة بعيدة عن التكبر والجور ، وثقافة صفت من أدران الالحاد والزيغ يحملونها جميعا معهم أنى ذهبوا حتى تسنى لهم في سنوات معدودات انقاذ العالم مما كان مقدرا له أن ينحدر اليه .

ما كادت الهجرة تتم حتى أصبح الاسلام والمسلمين حقيقة مشهودة لا تخطئها العين ، أصبحت الهجرة حقيقة روحية ومادية وحربية واقتصادية وثقافية .

كان هناك قوتان عظيمتان ـ مثل أيامنا ـ تتصارعان وتتنازعان العالم ، قوة الشرق تتجلى في فارس ، وقوة الغرب تتمثل في الروم ، فجاء الاسلام بينهما وهو غير راض عنهما ، لان الفرس كانوا أشبه بالشيوعية اللادينية ، والروم أشبه بالغرب المستعمر ، ولكن هوى الاسلام كان مع الروم ، لا لانهم هداة مرشدون صالحون ، ولكن لان أذاهم أقل وشرهم أهون ، فلما قوى من الاسلام العزم والمتن وكمل البناء وكثر عدد المسلمين وانتشر دين محمد في ربوع الجزيرة انبعثت قوته وأضواؤه الى خارجها ، لان الرسالة الاسلامية لم تكن قصرا على شعب أو اقليم ، فوجهت الدعوة الى فارس فاستكبرت شر استكبار ، والى الروم فأعجبت بها ولكنها ماطلت .

ولما رأى الاسلام أن كلا المعسكرين مشغول عن الله بالكفر والفساد ضرب القوتين معا لا رغبة في السيادة والاستعمار ، ولكن من أجل الهداية والانقاذ ، وقضى عليهما وعلى نفوذهما حتى انتهى تحلل من السنين أمرهما الى الفناء .

وها نحن أولاء في عصرنا هذا وكأننا في ذلك العصر ، والفارق بيننا أننا نحن مسلمو هذا الزمان أكثر مالا وولدا ، وأقطارا وبلدا ، وعدة وعددا ، ونملك من الموارد الاقتصادية والاولية أكثر مما تملكه احدى الكتلتين المعاصرتين ، ومع هذا لا حساب لنا في السجل ولا ثقل لنا في الميزان ، لاننا من غير عقيدةوايمان كايمان محمد وصحابتهوعقيدتهم، ولهذا خف وزننا فلم ترجح الكفة التى ننزلها .

ان ثقل الإيمـــان هو الذى رجح بكفة المسلمين الاول حتى قضوا على الكتلتين القويتين .

أما نحن فمسلمون بدون اسلام ، ومؤمنون بغير ايمان ، ولهذا أشك - ونحن على هذا الحال الشنيع من البـــاطل والتفرق والزيغ والشرك - اننا نستطيع أن نبني شخصيتنا الاسلامية كمـــا بناها محمد وصحابته ، واشك في قدرتنا على انقاذ العالم ، لان الغريق أعجز من أن ينقذ غريقـا ، والفاسد لا يصلح فاسدا .

ولكن مما يخفف هذا الشك في نفسي أن العالم الاسلامي أصبح حقيقة في أيامنا ، وطبيعة هذه الحقيقة تلزم أصحابها أن يعوا لبقائهم ويقفوا امام غيلان الشيوعية ومردتهم المندسين في صفوفنا وأمام فئات منا نحن العرب والمسلمين اعتنقوا الشيوعية ، كما وقفوا أمام الغرب حتى انحسر ظله من بلداننا ، واستقللنا سياسيا واقتصاديا وتجاريا وعسكريا وماليا الخ .

وان من الجنون استبدال الشيوعية بالغرب ، لان الشيوعيـــة في حقيقتها وفي كل مظاهرها وبواطنها استعمار شر من الاستعمار الغربي ، ولا نسبة بينهما،لانه لا مثيل للشيوعية في الكفر واللؤم والاستعباد والتدمير وهدم الانسان وتحويله حيوانا آليا لا حس فيه .

فلنذكر الهجرة دائما ونجعل منها - كما هي وكما كانت لاسلافنـا المسلمين - قوة ملهمة تدفعنا الى التطهر الروحي والنفسي ، وتحملنا عـلى عمـــارة الارض ونشر الامن ، والعمـل لضمـــان الامن من الخـوف والجهل والمرض .

ولتكن الهجرة لنا درسا نافعا في حياتنا الحاضرة ، ولنجعل ايماننا بربنا ووعده لجنوده بالنصر والتمكين ايمانا حقا ، فنحن لسنا بأسوأ حالا من المسلمين في عهد محمد اذا عمر الايمان قلوبنا .

خرج المسلمون من مكة هربا وخفية وخوفا ، ولو لم يكونوا مؤمنين حق الايمان لاصابهم الشك في الدين الجديد بعد أن رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى وعدهم بالعزة والقوة والسيادة يعجز عن مقاومـة المشركين ويختفي مع صاحبه أبي بكر ثم يفران الى المدينة مستترين ، ولكنهم كانوا صادقين في ايمانهم برسالتهم وبدين رسولهم وبرب رسولهم في ساعة الخيبة والعسر واليأس ، فنعموا بثمار الايمان بان محمدا رسول الله حق ولو عجز واختفى ، وأن وعد الله حق ولو تأخر في نظر بعضهم .

وأثر الهجرة ظهر في الرسول وفي المسلمين ، ولم يقف أثرها عند حدهم بل تجاوزهم الى القرآن الكريم نفسه . فالسور التى نزلت قبل الهجرة بمكة كانت قصصا أريد منها تشجيع الرسول وأتباعه وتحبيب الصبر والتضحية اليهم ، وتثبيتهم على الدعوة حتى لا يتدسس اليأس الى نفوسهم أو الشك الى عقيدتهم ، وارشاد الناس الى الدين والتوحيد ، وتنفيرهم من الكفر والشرك ، وبيانا لحقيقة التوحيد وتصويرا للشرك الخ .

أما السور التى نزلت في المدينة بعد الهجرة فقد سلكت غير طريق السور المكية ، فالهجرة جمعت بين المهاجرين والانصار وغيرهم ، وأصبحت علاقاتهم غير موقوفة بعضهم على بعض ، بل تجاوزتهم الى أناس لا يتفقون معهم في الدين والوطن واللغة ، وصار للمسلمين مجتمع بدىء في بنائه ، وصار من ضرورات الدعوة ولوازم امتداد عهد الرسالة تربية فريق من المسلمين تربية خاصة ، واعدادهم اعدادا حتى يحملوا الشعلة ويجوزوا بها السنين والقرون حتى لا تنتهى الرسالة الانسانية الكبرى بموت صاحبها القوى الامين محمد صلوات الله وسلامه عليه .

هذه الامور الجديدة الكثيرة التى لم يعرفها المسلمون وهم في مكة عرفوها في المدينة ، فكان من الحتم أن يلتمسوا تشريع النظم ورسم الخطط ، فنزل من القرآن في المدينة ما يقدم للمسلمين ما يعين على بناء قواعد الحكومة الجديدة والمجتمع الجديد والامة الجديدة ، وتنظيم علاقات الافراد بعضهم ببعض .

وأضيف الى عمل الرسول الذى كان وقفا على الارشاد والتبليغ أعمال جديدة كان عليه صلوات الله وسلامه مستعدا لها في وقتها المرقوب ، منها : سياسة المسلمين والتشريع وتنظيم الموارد والدخل ، وسياسة الافراد والجماعات ، والتموين والاعاشة ، والامامة والقيادة ، وتنظيم وسائل الانتفاع بالحياة ، وكل من فيها وما فيها ، ومسايرة التطور الفجائى الذى جابه المسلمين .

ولعل في اختيار المسلمين يوم الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامى ـ سواء أكان رأى الفاروق عمر أو الامام على ـ دلالة واضحة على اتفاق المسلمين ـ خاصة وعامة ـ وادراكهم امتياز يوم الهجرة على سائر أيام الاسلام العظيمة التى كانت له فتحا مبينا مثل يوم البعثة النبوية ويوم العقبة ويوم بدر ويوم الحديبية ويوم فتح مكة ويوم : (أكملت لكم دينكم) الى غير ذلك من أيام الاسلام الخالدة .

وما رأى عمر أو علي وموافقة صفوة الصحابة والمسلمين جميعا الا الدليل على عظم هذا اليوم الخالد في تاريخ الاسلام والبشرية وامتيازه على كل أيام الاسلام الاخرى ، ولعل في الناس من يدهش لاختيار يوم فر فيه محمد من مكة بالخلود والذكر وايثاره على أيام النصر والعزة والتمكين ٠

ونحن لا ننكر أن الهجرة فرار ، ولنزعم مع من يزعم أن الهجرة هزيمة أمام سطوة قريش ، ولكن يجب ألا نغفل عن نتائج الهجرة التى أشرنا اليها لنعلم ونوقن أن الفرار ليس عيبا في كل حال ، وهو اذا كان عيبا ومنقصة فانه ليس كذلك في هذا المجال ، بل مزية وفضيلة ، وما أشبهه - مع الفوارق الكبيرة - بفرار الشجاع يفر استعدادا ٠ واذا كان لمؤرخ أن يسمي الهجرة فرارا وهزيمة قبل ظهور النتائج الباهرة في تاريخ الاسلام الذى هو أجمل تاريخ الانسانية ، فانه ليس من العقل والعدل والحكمة أن نسمى الهجرة فرارا وهزيمة بعد ظهور تلك النتائج العظيمة التي غيرت تاريخ العالم ومجرى الحياة وحال الانسان ٠

كانت الهجرة فيصلا بين نجدين ، وفاروقا بين عهدين ، وما ثم من يشك أن الانسانية ربحت من الهجرة ما لا يحصى من المكاسب الانسانية العظيمة ٠

فيوم الهجرة كما أثبتته النتائج التى أعقبته ، أكبر أيام الاسلام وأشهرها وأعظمها في تاريخه الحافل بالايام الخالدة ، والا لما آثره عمر والمسلمون بتخليده دون الايام الاخرى الكثيرة العظيمة ٠

فلنجعل ذكرى الهجرة أمامنا دائما حتى توحي الينا بما أوحت به الى أسلافنا لنصنع للانسانية ما لم يصنعه دين أو دولة أو قوة في الارض منذ كان الانسان حتى الآن غير دين الاسلام ٠

ولعلنا في حاضرنا السيء القلق نجد في الهجرة ما يبعث على الطمأنينة والسلام ويساعدنا على العمل الصالح الانساني العام أداء لرسالة صاحب الهجرة ، وأن ندعو الله بعد تصميم العزم وتصفية النية واحسان العمل أن يوفقنا لاعلاء كلمة الله ونصره حتى ينصرنا ويبدل حالنا كما بدل حال المسلمين بعد الهجرة من الضعف الى القوة ، ومن الفرقة الى الوحدة ، ومن الشقاء الى السعادة في الدارين ، انه سميع مجيب ؟

نشرت بمجلة « البعث الاسلامي » بالهند سنة ١٣٥٨ هـ
وفي مجلة « الرائد » بجدة سنة ١٣٨٠ هـ

الاسلام دين الانسانية

ندر أن يترك مسلم دينه الحنيف ، وبرغم ما يلقي المسلمون في روسيا والصين الشيوعية ودول الكتلة الشيوعية من ارهاب وعسف يصلان الى حد التعذيب والقتل ، يبرهنون على تمسكهم بدينهم الذى لا يرتضون به بديلا ، ويسعدهم احتمال العذاب والضرب حتى الموت دون أن يفتنوا في دينهم •

وفي بلد عربى عذب الاخوان المسلمون عذابا لا نسمع به الا في الدول الشيوعية انتقاما منهم لانهم دعاة الله وأنصاره وأحباؤه ، سمل أعداء الله أعين الاخوان المسلمين وأدخلوا الامشاط المحماة بين الجلد والعظام ، وثقبوا الآذان بالسفافيد الحارة ، وفعلوا بهم شتى الافاعيل فاستقبلوا كل ذلك في صبر حطم أعصاب الجلادين •

وهذا يدل على أن الاسلام دين يصوغ روح معتنقه صياغة جديدة ، حتى لا يبالى بكل ما يلقى •

وما أكثر المسيحيين واليهود الذين دخلوا في الاسلام طائعين مختارين وحسن اسلامهم وأصبحوا من خير المسلمين •

ومن هؤلاء « ليوبولد فايس » الذى سمى نفسه « محمد أسد » ، وأصبح من المجاهدين ومن كبار من يدافعون عن الاسلام ويعلنون حقيقته وانه الدين الحق الذى جاء لانقاذ العالم ، وفي وسعه دائما أن يضمن للانسان وللانسانية كلها الخير والسعادة ، وألف كتابا عنوانه : « على مفترق الطرق » يعد من خير الكتب الاسلامية ، وكتابا آخر عنوانه : « الطريق الى مكة » •

وكلاهما كتاب عظيم جدير بالمطالعة والعكوف عليه •

وقد نشرت في عكاظ في سنتها الاولى خبر اسلام المحامى المصرى الشهير « زكى العريبى » اليهودى الذى أسلم عن فهم وايمان ودراسة ، وقد دعوته باسم عكاظ ليحج على حسابها ضيفا عليها •

وفي مصر نجد كثيرا من غير المسلمين يدخلون الاسلام ، وكثيرا من علماء المسيحيين مفتونين بالاسلام وان لم يعتنقوه فممن أسلموا يونانى اسمه « استافرو » عمل ساقيا في خمارة خمسين سنة حتى اذا جمع بعض المال فتح « خمارة » على حسابه ، وكان ربحـــه منها عظيـما ، وذات يوم فوجىء الناس وهو يحطم بعصا غليظة زجاجات الخمر ويسكب براميلها ، وكانوا في دهشة من أمره ، وكان الرجل شديد الحقد على الخمر ، حتى بدا وكأنه أعدى أعدائها .

وبعد أن انتهى من تحطيم آخر زجاجة حمد الله وأثنى عليه وقال لمن حوله من الناس ـ وكانوا كثيرين ـ قال لهم : الحمد لله ، لقد هدانى الله الى الاسلام ، وأحمده على أن الله هدانى قبل موتى ، وانى ـ والله ـ قد رأيت في منامى رؤيا عشر ليال دراكـا ، يأتيـنى مـلاك يأمرنى بتحطيـم الخمارة ، ويعدنى بمرتبة طيبة بين الصالحين ، وهأنذا أشعر بلذة وسرور لأننى تخلصت من الكفر وتخلصت من الحرام وأكل الحرام .

وسمى نفسه « مصطفى » ، ولكن الناس ينادونه : الشيخ استافرو ، وفتح مقهى صغـيرا يعيش عـلى دخله ، مؤثرا القرش الحلال عـلى الثراء الفاحش الحرام ، ويشعر الرجل بسعادة حين يتحدث عن نعمة الله عليه اذ هداه الى الاسلام وهدى زوجه وأولاده ، وصار من كبار المسلمين .

كان صافي ربحه كل يوم من الحانة خمسين جنيها ، أما الآن فـلا يزيد عن جنيهين أو ثلاثة ، ولكنه يقبـل دخله اليسير وهو سعيد مسرور لأنه دخل حلال في ظل الاسلام .

ومضى على اسلامه حوالى خمس سنين أو ست ، ويبلغ الآن الثمانين من عمره ، ولكنه قوى البنية صحيح الجسم والعقل .

وزوجة الدكتور عبد الكريم جرمانوس استاذ تاريخ الاسلام في جامعة بودابست ـ عاصمة المجر ـ أسلمت ، وهى من كبار الموسيقيين والموسيقيات في المجر ، ومسيحية ، وأخفق زوجها في هدايتها الى الاسلام تسع سنوات .

ولما جاءت بصحبة زوجها الى القاهرة ســـنة ١٩٥٧ م زارتنى بمنزلى ـ وكان يوم جمعة ـ وبعد حديث بينى وبينها سويعة أعلنت اسلامها على يدى ، ونهض زوجها يقبلنى شاكرا لى ما أكرمنى الله به ، اذ خلص زوجته من الكفر وهداها الى الاسلام على يدى .

ثم عادت الى المجر مع زوجها ، وليس فيها مسلم غيرها وغير زوجها ، والمدهش في الامر أنها منذ أسلمت وهى حريصة على الصلاة ، ومع أن الشيوعية تحكم المجر الا أن هذه المرأة المسلمة تعلن مفاخر الاسلام ، وانه خير دين على وجه الارض .

والاسلام ـ برغم محاربة الشيوعية والاستعمار اياه ـ ينتشر في العالم بسرعة ، ويزداد صوت الاسلام قوة وجهارة في أوروبا وأمريكا ، ففى بريطانيا نجد المسلمين أقوياء ، ويزداد عددهم ، ففى لندن وكوفنترى وكارديف وبرمنجهام يملك المسلمون مصانع وأعمالا ومحلات تجارية ضخمة . وبجانب ذلك يملكون سمعة صالحة ذهبت مثلا بين الناس .

وفي ألمانيا وسويسرا وفرنسا وفنلندا وغيرها جاليات اسلامية تتمتع بالغنى والصوت البعيد والاسم الرائع الجميل .

وانتشار الاسلام بهذه السرعة بعد أن تنكر له أهله وأهملوا واجبهم نحوه ، أفزع أصحاب الاديان الاخرى ، فقد نشرت صحيفة « فيدس » التى تذيع أنباء الفاتيكان الرسمية : ان عدد من اعتنقوا الدين الاسلامى في أواسط أفريقيا وشرقها وغربها ضعف عدد الذين اعتنقوا المذهب الكاثوليكى .

وأشارت الصحيفة الى أن قرى كاملة في شرق أفريقيا البريطانية أصبحت اسلامية ، كما أشارت الى أن عدد المسلمين في أفريقيا ٨٠ مليونا وعدد الكاثوليك ١٥ مليونا من مجموع سكان أفريقيا وهم ٢٠٠ مليون .

وذكرت الصحيفة : ان الاسباب التى أدت الى انتشار الاسلام هى سهولته ويسره ، حتى أن الذين اعتنقوه شعروا بأنهم ارتقوا بعد اسلامهم من الناحية الاجتماعية عما كانوا عليه قبل اعتناقه، وشعروا بالعزة والكرامة .

وتوقعت صحيفة « فيدس » ان الاسلام سينتشر بسرعة أكثر مما هو عليه الآن ..

وكان نشر « فيدس » لذلك سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) ، وكان ما توقعته حقا وواقعا ، فقد أخذ الاسلام ينتشر بسرعة في أفريقيا برغم أن الدعاة أفراد معدودون فقراء ، وليسوا ذوى ثقافة واسعة ، ومكانة اجتماعية

بارزة ، وبرغم ان أمامهم جحافل من المبشرين ، ومع هذا اكتسحتهم قوة الإســـلام اكتساحا ٠

وبمراجعة أعداد صحيفة « فيدس » التى صدرت خلال بضع السنوات الاخيرة تثبت انتشار الاسلام بسرعة ٠

وتذكر التقارير التى يكتبها المبشرون ان انصراف الدول الاســلامية عن التبشير بالاسلام لم يعقه عن السيادة والانتشار ٠ وتسأل أى خطر ينزل بالاديان الاخرى اذا اتجهت الحكوما تالاسلامية الى تاييد الاسلام ونشره ومساعدة الدعاة الافريقيين ؟!

ومن المفارقات العجيبة أن يتدفق الناس لدخول الاسلام في حين أن زعماء وحكاما مسلمين يمرقون منه ، ولكن الله متم نوره بفضله ولو كره الكافرون ومن والاهم ٠

ونرجو من حكومتنا المسلمة أن تضاعف جهودها في سبيل نشر دين الله في العالمين ، واعلاء شأنه بين الناس ، وبيان حقائقه ومزاياه ، فالمسلم الحق يجب أن يكون مبلغا ومبشرا ؟

نشرت بجريدة « عكاظ » سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) ٠

الاســـلام

دين القــوة والرحمــة

يقوم بعض من يحملون الاقلام في هذه الايام بحملات على الاسلام ، ويدعون أنهم مسلمون ويعيشون في بلاد اسلامية ويكتبون في صحف عليها طابع الاسلام ويثيرون شبهات حول الاسلام ، ويقصدون من ذلك تشكيك الناس في عظمة الاسلام وحملهم على الايمان بأنه دين فات أوانه ومضى زمانه .

ومن تلك الشبهات التي يثيرونها شبهات اذا أخذوها على الاسلام فهي نقيصة ، واذا كانت في مذهب هدام ينتمون اليه فكمال .

ومن هذه الشبهات أن الاسلام دين قوة وعنف لا دين وداعة ولين ، لانه يأمر اتباعه بالقوة والتزود منها ، وهم عندما يأخذون على الاسلام ذلك تجدهم يمجدون القوة الطاغية الغاشمة الظالمة عند من يتبعونهم ويعتبرونها آية الحياة والمجد والنماء .

ولو كان هؤلاء الكتاب منصفين أو يبــتغون الحق لحملوا على القوة في كل دين وفي كل مذهب ، ولكنهم أصحاب هوى وعبيد مسخرون ، فهم يهاجمون الاسلام ويأخـــذون عليــه الزام أهله بأن يكونوا أقوياء لانهـم يريدون هدم هذا الدين ، ولقد تضافر على الاسلام قوى كثيرة واجتمعــت عليه لهدمه ، فما ازداد الا رسوخا وثباتا وعلوا لانه دين وسط يجمع بين مزايا الاديان جميعها ، فما من مزية في دين أو مذهب اجتماعى الا كان في الاسلام أصله ومنبته ونبعه .

نقول هذا عن علم ولدينا الدليل ولا نمتدح الاســلام لاننا مسلمون طبيعة ووراثة واكتسابا ، اننا ولدنا ونشأنا ثم درسنا الاديان ووقفنــا على المذاهب الاجتماعية وأحلام الفلاسفة والمفكرين ، وعقدنا الموازنة بينه وبين غيره فاذا الاسلام الدين الاصح الذى ينهض بجميع مطالب الحياة دون أن يتخلف عن تحقيق مطلب شريف .

كنا من قبل نمتدح الاسلام لاننا ولدنـا عليه ونشـــأنا ، أما الآن فنمتدحه بعد الدراسة والنقد .

وان التواضع لا يمنعني أن أسمي قطعة الذهب التي في يدى ذهبا ، ثم اذا أطلقت عليها اسمها الصحيح فما أنا بمتزيد أو مختلق ، وكذلك عندما أقول عن الاسلام ما أقول لا يدفعني تعصب بغير عقل ولا هدى الى تفضيله ، بل يدفعنا الحق ، لان الحق اسم الله في الاسلام ، ومن كفر بالحق كفر بالله ، ومن كفر بالله فهو غير مسلم .

ونعود الى القوة التي يمجدها الاسلام ويدعو اليها .

ان القوةالتي يريدها الاسلامليست القوة التي تهدم الحق ، بل التي تؤيده ، وهو يريد للنويه القوة التي لا تظلم ولا تبغى ، يريد للمسلم أن يكون قويا حتي يؤدى واجبه في كل مجال ، وأنت لا تلوم الرياضي الذى يزاول الرياضة ليقوي جسمه ويعيش بجسد سليم ، ما دام لم يتخذ القوة في ايذاء أحد ، بل لعلك تشجعه على ذلك كل التشجيع ، فاذا جاء معتد يريد شرا بهذا الرياضي الذى ربي جسمه وزوده بالقوة والصحة والنماء ودافع عن نفسه وذاد عن جسمه ، فما هو بملوم لانه استعمل القوة ، لان استعمالها ليس محرما الا اذا كان في عدوان أو بغى ، واذا لم يكن شيء من هذا فهو دفاع مجيد مشروع يلام ان تركه ويحاسب على اغفاله حقه في الدفاع .

ثم ان كل مجتمع انساني في حاجة الى القوة يرد بها جماح الحروب ويحمى بها ذمار الامة ، ويذود عنها عدوان الباغى ، فالاسلام اذا أهمل القوة الحارسة للمجتمع لا يصبح دينا كاملا ، أما وقد عرف حق المجتمع وأمره أن يعد القوة فهو دين تلتقى فيه كل مزايا الدين الصحيح ، ويؤاخذ الاسلام في حالة واحدة وهى اذا اتخذ القوة النامية للعدوان ، فهل وقف الاسلام مرة موقف العدوان في تاريخه الطويل ؟

الجواب : كلا . فكل المعارك التي خاضها الاسلام كانت لنفع الانسانية دون تمييز بين لون وجنس ، ولغة ولغة ، كل الناس سواء ، بل تخطى الاسلام كل الحواجز والفوارق والعصبيات والعنصريات في دعوته الكريمة واعتبر نفسه للناس وغير الناس من حيوان ونبات وجماد .

الحمد لله رب العالمين ، رب العالمين جميعا ، انسا وجنا ، ونباتا وجمادا ، وكل مخلوق ، رب الطائعين والعصاة ، رب المؤمنين والمشركين ، ورب الطيب والخبيث ، ومن هنا يتجلى لنا أن الاسلام دين الانسانية كلها

لا دين جماعة خاصة ، ولا دين أمة خاصة ، هو دين كل من أراد أن يدخل الانسانية ويعمل جاهدا على تقويتها ، والاخ لا يستعمل القوة ضد أخيه ، بل كل ما يتمناه أن يكون أخوه خيرا منه أو مثله .

فما دامت الأخوة الاسلامية رجاء الاسلام ومطلبه فانالزعمبأن الاسلام يجعل القوة سبيله زعم مردود . وان عمل المسلم ليس حكما على الاسلام الا فيما اتفق مع أصوله وأوامره ونواهيه ، أما اذا خالفه فعمل المسلم غير الصالح مردود عليه ، ويبقى الاسلام غير مسئول أو مؤاخذ بعمله الذى لا يرضى عنه .

أقول هذا لانني أعرف أن بعض المسلمين استعملوا القوة استعمالا لا يقره الاسلام فهو برىء من التبعة ولا يحملها بحال من الاحوال ، لانه لم يأمر به ، والاسلام عنوانه : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

والرحيم كما قالوا في تفسيره : « ذو الرحمة في الدنيا » أو ذو الرحمة بالانسانية ، أما الرحمان فهو ذو الرحمة العامة الواسعة الشاملة لكل مخلوق ، وفي الدنيا وفي الآخرة وما بينهما كالرحمة التى تنزل على الموتى بعد فراق حياتهم الدنيا ، وما من مسلم الا ويكرر هذه الكلمة الرائعة عشر مرات ومئات ، ووجودها في الاسلام دلالة على حقيقة هذا الدين السمح الذى يعمل للاسلام والبناء والرخاء والانسانية .

فالرحمة عنده هى أولى صفات الله عز وجل ، الذى سبقت رحمته غضبه ، ووسعت رحمته كل شىء والخلق عبيد رحمة واحسان لا عبيد نقمة وامتحان .

فهذه الرحمة الراحمة التى لا حد لها هى التى افتتح الله بها كتابه ويفتتح بها كل مسلم عمله منذ صحوه حتى يغفى وهى آية هذا الدين وعنوانه ، فاذا جاء الاسلام يمجد القوة كما دعا للرحمة فانه لا يمجدها لانها أداة عدوان بل يقدسها ويدعو اليها لانها وسيلة بناء وعمران .

وفرق بين من يجعل القوة صورة من صور الجمال ومدعاة للصحة ووسيلة للبناء والصيانة والحراسة وبين من يجعلها للافساد والعدوان والتشويه والتمزيق .

والاسلام لم يجعل القوة في كل ناحية من نواحيها الا للعمل الصالح ، وما أظن أحدا يشك أن القوة ضرورة من ضرورات الحياة والمجتمع ، فاذا

اغفل أى دين أو مذهب هذه الضرورة فانه لا يعد دينا أو مذهبا كاملا من جميع نواحيه ، بل لو أغفل أى دين أو مذهب ضرورة أقل من ضرورة القوة لكان لمؤاخذته واتهامه مجال كبير ، أما وأن الاسلام لم يغفلها بل جعلها أحد أسس المجتمع فذلك آية تمامه وكماله ، ودليل صلاحه للانسانية في كل زمان ومكان .

وما دمنا انتهينا الى ان القوة ليست شرا الا اذا استعملت في الشر ، وما دمنا عرفنا ان الاسلام لم يوجه القوى الا الى الحق والفضيلة والخير ، فاننا نؤمن حق الايمان أن الاسلام دين قوى حقا ، لان القوة آلة البقاء وسببه .

الاسلام
ضرورة انسانية

ليس الاسلام كالاديان السماوية الاخرى التي أنزلت للتعبد وحده ، بل جاء الاسلام لتحقيق كل رغبات الانسانية الفاضلة التي تهدى الى الخير ، وجاء لبناء مجتمع سليم ، واقامة دولة فاضلة ، وتكوين أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

وما من شيء يعين الانسان على الحياة السعيدة الا أبانه الاسلام ، ومهد سبله حتى لا يضل أحد طريق الخير ، وما من شيء يشقي الانسان ويؤذيه الا أظهره دين محمد عليه الصلاة والسلام حتى يكون على بينة من أمره ، اما طريق الخير واما سبيل الشر ، فليسلك أى الطريقين شاء « وهديناه النجدين » كما قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز .

كل عمل من أعمال الخير مجده الاسلام ورفع من شأنه وأعد لمن يعمله الثواب الجزيل والنعيم المقيم ، وكل عمل من أعمال الشر حذر منه وأبان مضاره « فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » .

وأقام الاسلام ـ الدين القيم ـ كل شيء يصلح أن يكون سبيلا الى السمو والصلاح ، وأبان الحلال والحرام والخير والشر ، وميز الخبيث من الطيب ، حتى يكون الانسان بصيرا على نفسه أمينا على حياته وعمله ووجدانه وجسده ، فمن عمل طيبا فله أجر ما صنع ، ومن عمل سيئا فعليه اثمه ووزره .

ان هذا الدين عني بالحياة كلها كما عني بكل ما يضطرب في أديمها الممتد فجعل له سياجا يحميه ، وحمى منيعا غير مستباح ، وجعل لكل مشكلة حلا سليما ، ولكل عمل صالح ثوابا ، سواء أكان العمل يلذ صاحبه أم لا يلذ صاحبه ، الا أن بعض اخواننا الذين لم تكمل ثقافتهم الدينية ولم تنضج آراؤهم يظنون أن العلم يستطيع أن يقوم مقام الدين ، ويظنون أن في العلم ما يطفىء الاوار ويقيم الاود مع أننا رأينا قيادة العلم للحضارة الغربية وأين انتهت بهاهذه القيادة .

ان العلم وحده لا يستطيع ان يضمن السعادة وراحة القلب وطمأنينة الانسان ، لان العلم لا يعنى بهذه الاشياء ، وينبوعه غير فياض بالايمان لان العلم مصنوع ، والايمان عقيدة وشعور ، وشتان ما هما .

وأنا اذ أقول : « العلم » فانما أعني به « العلم » الذى يقابل الدين ، أو هى العلوم المختلفة ، أما ما في الدين من علم فذلك سبيله اليه ويبدأ منه وينتهي اليه فهو دين .

أريد بالعلم : العلم الذى يراد به مجموعة المدركات الحسية ، أريد العلم هنا باصطلاحه الغربي الحديث .

أما العلم الذي يرينا الطريق المستقيم فذلك من الدين ولا يناقضه .

ان علم الغرب الذى بلغ به أعلى قمم الحضارة عجز أشد العجز عن حل مشاكل الغرب نفسه ، بل عقدها تعقيدا ، أما الدين فقد حل كل مشكلة عرضت للانسان حلا يرضى العقل المتعصب ويرضى القلب والخلق .

والدين الذى اريده « الاسلام » لان الله تعالى يقول : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » ويقول تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » .

وفي هذه السنين التى أعقبت الحرب العظمى الثانية اتجه العالم الى الدين ، كل الى دينه ، أما الشرق الاسلامي فقد استيقظ فيه الوعي الديني وأصبح أكثر المسلمين يشعرون بالدين شعورا قويا ، وموضوعات « الاسلام » تؤثر في النفس لانها مستعدة للتأثر والاستجابة ، ولانها شعرت بحاجتها القصوى الى الدين الذى وجدت في نبعه الصافي ما يطفىء الظمأ اللاهب .

ان الحضارة الغربية قد برهنت على افلاسها في حين أن الاسلام دل على غناه لانه دين يضمن مطالب الجسم النظيفة ورغبات الروح ، وما دام الوعي الدينى عاما في كل بلد فان هناك واجبا على الحكومات الاسلامية وأصحاب الاقلام ورجال الدين الصالحين .

هذا الواجب امداد الناس بما يثبتهم على الايمان ويحملهم على الاستزادة من الخير ، ويهذب فيهم غرائز الشر والضراوة .

يجب أن نستغل هذا الوعى استغلالا حسنا والا انقلب الوضع واتجه الوعى الدينى وجهة لا يرضاها الاسلام ، وحل محله وعي آخر لا يشبعه الا ما يلذ النفس اللذة الحيوانية ويشغلها عن المثل العليا التى رفعها الاسلام .

وأذكر أنني قرأت في احدى رسالات شيخ الاسلام ابن تيمية جملة معناها : « يجب علينا أن نعبد الله بالذوق والوجدان والقلب والروح والضمير » ولعل هذه الكلمة نفسها كلمة شيخ الاسلام رحمه الله ٠

وقصد ابن تيمية أن يتجه الانسان الى الله بشعوره الصادق ويغرق في عبادته ولا يشغل روحه أو عقله أو ذهنه شيء غير الاغراق في العبادة حتى يلتذ بها كما كان يلتذ بها من مضى من السلف الصالح ٠

والآن وقد بدأ الناس يتجهون وجهة الدين ، وأصبح عندهم وعى دينى فلا بد أن نستغل هذه الشعور أحسن استغلال والى أبعد مدى مستطاع ، والا فسيتجه عدد كبير منهم الى اللذة في أقبح أوضاعها وطرقها تخديرا للقلق والاضطراب اللذين يملآن نفسه وحياته ورغبة في الطمأنينة ولو جاءت عن طريق الحرام ، وشغلا للفراغ بالخبيث ما دام الطيب غير متاح ٠

ان الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم كانوا في زمن مثل زماننا هذا بل أشد منه ظلما وقلقا ، ولكنهم منحوه الخير والحق حتى ذاقوا لذة الاسلام وكان ما رأينا من تقدم الانسانية وسمو البشرية ونجاح العالم ٠

فهل نحن باذلون بعض الجهد في سبيل الاسلام والمسلمين ؟

ان الاسلام – والحق يقال – غريب بين أهليه ومعتنقيه ، وكثير من المسلمين يدينون بالاسلام اسما ، أما أعمالهم فتناقض الاسلام في أصوله وقواعده ومظاهره ، وهذا يحتم علينا مضاعفة ما يجب أن نبذله من جهود ضخمة تتناول بالتبديل والتغيير قلوبنا وأرواحنا وسلوكنا وأخلاقنا وكل شيء يتصل بنا حتى اذا صفت منا النفوس ورجعنا الى الفطرة السليمة شعرنا بلذة الاسلام والفخر بالانتساب اليه ، ثم نتجه الى غيرنا لهدايته واصلاحه ٠

وهذا الجهد يجب أن يبذله زعماء المسلمين وكتابهم وأدباؤهم وعلماؤهم وشعراؤهم ، كل في ميدانه وحسب طاقته حتى يعيدوا الى المسلمين الثقة بأنفسهم ويحملونهم على الكفاح والعمل ، ويحاربوا فيهم مركب النقص ويجعلوهم يشعرون أنهم هم أبناء الذين قال الله في وصفهم : «وأنتم الاعلون» وأحفاد الذين شهد الله لهم في كتابه العزيز بقوله :«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ٠

ان واجب زعماء المسلمين وأرباب الفكر والقلم والبيان واجب عظيم ، وهذا أوان أدائه ، أما أوان قطافه فقريب اذا أخلصوا النية وعملوا جميعا لوجه الله وحـــده ٠

وهؤلاء اذا أرادوا الواجب فانهم لا يخدمون أنفسهم وحدهـــا ولا المسلمين وحدهم بل يخدمون العالم كله ، واذا كان الدين ضرورة انسانية فان الاسلام أشد ضرورة للعالم في محنته الحاضرة لانه هو وحده المنقذ ، وهو وحده الذى يستطيع أن ينقله من السعير الى الجنة ٠

والاسلام لن يعجز عن الانقاذ ، ولن يعجز عن قيادة مبتغيه أيا كان لونهم وجنسهم ولغتهم الى النعيم لانه استطاع في ماضيه أن يصنع كل هذا في بضع ســـنوات ٠

فلنؤد هـــذا الواجب ولنخلص له عنـــدما نؤديـه حتى يبلغنا الله ما نريد ، ويحقق آمالنا ، انه سميع مجيب الدعاء ؟

اذيع من الاذاعة السعودية في ١٧-٤-١٣٧١ هـ

الاسلام شرف وعزة

أفي الاسلام ما يخجل ويعيب ؟

ان بين الزعماء والكتاب والمثقفين والوزراء والحكام من تجيب أعمالهم أن الاسلام مخجل ومعيب ، ولهـــذا يشعرون بالخزى اذا ذكر ، ويكادون يتوارون من الخجل والعار حجابا عندما يقال لهم في الاســلام ما يجهلون حكمته وسر تشريعه .

حتى الذين يخلصون للاسلام من علماء وغيرهم يشعرون هذا الشعور، ومن أسبابه : تعدد الزوجات ، فتراهم يحاولون أن يدافعوا عن الاســلام كما يدافعون عن متهم متلبس بالجريمة لا سبيل الى تبرئته أو التخفيــف عنه ، فهم يلتمسون رحمة القضاء وفضله ، لا حقه وعدله .

يقول هؤلاء العلماء المخلصون للاسلام : ان الاسلام أباح التعدد اسما لا فعلا ،أباحه اسما ومنعه فعلا ، أحله ابتداء وحرمه انتهاء ، ويستدلون بقوله عز وجل : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث وربـــاع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » .

وقرأت كثيرا مما كتب العلماء المعاصرون ، فاذا هم يشعرون بالخجل من الاوروبيين والغربيين عامة لان الاسلام يبيح التعدد ، والغرب يمنعه ، والغرب سيد ، وأعماله أسوة ، فما دام يحرم التعدد فليتأسوا به ويقولوا : ان الاسلام منع التعدد لانه أباح بشرط العـــدل ، ومـا دام العدل منتفيا فالتعدد ينتفى معه ، اذن لا تعدد في الاسلام .

وذهب الى هذا الرأى الامام محمد عبده الذى يقول : « ومن هذا يعلم أن تعدد الزوجات محرم قطعا عند الخوف من عدم العدل » .

وقرأت فتاوى لعلماء مسلمين نشرتهـــا الصحف ، يحرمون التعدد مجاراة للاوروبيين وخجلا ، ويستدلون بهذه الآية الكريمة استدلالا باطلا ينكره واقع الاسلام والمسلمين وسياق القرآن الكريم نفسه .

الآية هى : « وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا » .

وليس في هذه الآية منع ، بل اباحة مع النصح ، ولكن العلماء الذين يتوارون خجلا من الغرب يقفزون قفزات بعيدة ، فيستشهدون بجزء من هذه الآية ، ويأتون بجزء آخر من آية أخرى ، وكأنها آية واحدة ، ويصنعون هكذا : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » .

والآية الاولى واضحة وهى الآية الثالثة من سورة النساء ، أما الآية الاخرى فهى من النساء ورقمها بها ١٢٩ ونصها هو : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما » .

فواقع الاسلام والمسلمين ينكر أشد الانكار تحريم التعدد أو منعه ، لان هذه الآية وتلك نزلتا والصحابة بل الخلفاء الراشدون تزوجوا غير واحدة ، فلو كان هناك منع من التعدد ما تزوجوا أكثر من واحدة ، لكن التعدد يدل على أن الامر حلال لا خلاف فيه ولا شبهة به .

وسياق الآيات برهان على التعديد ، فالآية الاولى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، تبيح التعدد ، والآية الاخرى تنفى العدل بين النساء مع الحرص عليه ، لان العدل المطلق الكامل لا قدرة للانسان على ضمانه وتحقيقه ، ولا يعوزنا الدليل على ذلك وهو كثير :

أولا ـ عندما نزلت الآية كان عند بعض الصحابة أكثر من أربع زوجات ، فطلق ما زاد عن الاربع .

ثانيا ـ استمرار أئمة الصحابة والتابعين والفقهاء وغيرهم على التعدد ، فلو كان ممنوعا أو محرما ما أجمعوا على الاستمرار فيه .

ثالثا ـ الآية الكريمة اباحت التعدد .

رابعا ـ الآية الاخرى التى نفت العدل بين النساء تنص على : « فلا تميلوا كل الميل » ، ولو كان نفى العدل يحرم التعدد ما جاء النهى عن الميل كل الميل الذى تصبح المرأة معه كالمعلقة ، لا الزوج ينظر اليها فتستمتع بالحياة ، ولا يطلق سراحها لتستمتع مع آخر .

فالنهى عن الميل كل الميل لا يكون الا اذا كان تعدد ، فاذا انتفى التعدد كان ذكر هذا الميل لغوا من القول تنزه القرآن الكريم عنه كل التنزه .

أما وقد جاء هذا النهي فهو الدليل على اباحة التعدد .

فتحريم الامام محمد عبده وتحريم غيره باطل ، والتعدد ضرورة لا مفر منها . والاديان السماوية اباحته ، حتى المسيحية لم تمنعه ، ولكن منعه « البابوات » لامر سياسي وأمور منها احتقار المرأة .

واذا كان الغربيون يمنعون التعدد فلهم عذرهم لانهم يقابلون هذا المنع باباحة الزنى ، ولا عذر للمسلمين في تحريم التعدد مع منع الفاحشة .

والبلد الذى يحرم التعدد يحل الزنا ، والذى يحرم الزنا يحل التعدد.

ولخير للمرأة أن ينتسب وليدها الى أب ويكون ثمرة زواج شريف من أن يكون بغير أب وثمرة سفاح محرم بغيض .

وكم مليونا من الاطفال في العالم بلا آباء ولدوا في البلدان التى تمنع التعدد على فراش الاثم والخطيئة والعار ؟!

وما ثم ما يدعو الى الخجل من اباحة الاسلام التعدد لانـه ضرورة ، وان في غير المسلمين من يرونه من محامد الاسلام .

وهناك من المسلمين من يحملون على الاسلام من أجل ذلك ، وجدير بهؤلاء أن يتخلوا عنه ، بل هم متخلون عنه .

وان في بلادنا المسلمة ـ أيضا ـ من يشـعرون بعـار وخزى . وهم ليسوا مسلمين الا اسما ، لان أى شعور من هذا القبيل يخرج صاحبه عن هذا الدين الذى نشعر بالعزة لانتسابنا اليه .

واذا كان اناس ينتسبون الى مذاهب سخيفة باطلة ، وأخرى هدامة سافلة ، ومع هذا يشـعرون بالعزة فـما بال اناس يشـعرون بالذلة من الاسـلام ؟!

والواقع ، ان الذلة في نفوسهم لا في الاسلام .

ونحن ـ وايم الله ـ نشعر بالعزة التى لا عزة بعدها من انتسابنا الى دين هو خير دين ارتضاه الله لعباده .

نشرت في جريدة « عكاظ » سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م) .

الحرية والاخـــلاق
في الاسلام والمذاهب المعاصرة

لم يتشدق عصر بالحرية والاخلاق مثل هذا العصر ، ففي كـل مكان أصوات تهتف باسم الحرية ، وفي كل موضع تسمع من كل انسان كلمة الحرية والاخلاق • أفصحيح أن هذا العصر صادق في طلبه الحرية ؟ وهل الحرية موجودة ومكفولة للفرد والجمـاعة ، وللشـــعب والمجتمع ؟ وهل الاخلاق في عصرنا خير من الاخلاق في العصور السابقة ؟

لا شك عندي أن هذا العصر يمتاز على كل العصور الماضية في كـــل نواحي الحضارة والمدنية والعلم والفلسفة ، ولكنه يتخلف عنها من ناحية الاخـلاق ، أمـــا الحريـة فـان نصيب هـــذا العصر منـه ضئيـــل ولكنـه أعظم مـن أنصـــبة العصـــور الغـــابرة ، وأكـــاد أجزم بأن الحرية الصحيحة كما نفهمها غير موجودة الا في مجتمعات معدودات •

أنا أعرف أن بريطانيا ــ مثلا ــ بلد ديمقراطي حر ، والحرية فيه مقدسة ، وكل بريطاني حر ، ولكن هذه الحرية « السياسية » بضـاعة انكليزية ممنوعة « التصدير » لان بريطانيا أرادت ذلك •

هي صالحة للتصـدير ، ولكنهم لا يصدرونها لانهم يخشـــون على أنفسهم اذا طلبوا الحرية للآخرين كما تطلب لكل بريطاني لحما ودما •

ان حريتهم كامنة في عبودية « الغير » كما يكمن أمن بعض الناس في اخافة الآخرين •

ان الحرية حق لكل بريطاني وله الحق في القول والعمل ما دامـــا لا يضران غـــيره •

ولكن لماذا لا يعطى هذا الحق لمن كان تحت حكم بريطانيا ؟ ليبـقى مجال السيادة والتسلط لها ، اذ لو كان الافريقي متمـــتعا بالحريـة التي يتمتع بها البريطاني لصارا عدلين ، وعنـــدئذ تنمحي الفوارق التي تبيح للابيض التسلط على الاسود طمعا في استغلاله •

ولكن مع هـــذا في أوروبا بلدان تتمتع بالحرية والاخـــلاق مثـل سويسرا والدانيمرك ٠

أما الحرية في أمريكا فهى مكفولة لكل سكانها من البيض ، أما سكانها الاصليون من السود فمحرومون منها ، وفيها الوان من العسف والقهر على بعض المذاهب ، وأنـا أبيـح لامريكا أن تشـتد في محـاربة أصحـاب المذاهب التى لا ترضى بها ، لان من حقها أن تنفى عن بلادها وشـعوبها ما تعتقد أنه مناقض لما لديها من مثل ومبادىء وقوانين ٠

أما الدول الشيوعية فلا حرية فيها البتة ، وكلهم مســخرون ، ولا وجود لاى لون من الوان الحرية في هذه الدول التى بنت قواعد حكمها على « الغاء » الحرية جميعها ٠

والحرية كما أعرفها واريدها هى معرفة الحق والواجب ، حق آخذه وواجب أؤديه ، ولا حق من غـير واجب ، والحـرية ميزان كفتاه الواجب والحق ، وهما يقومان على أساس فهم الانسان للتبعة الملقاة عليه ، ولا حرية من غير تبعة أو مسئولية ، والا استحالت فوضى ٠

أنت حر تستطيع أن تقول ما تشاء وما يخطر بذهنك ، هذا حقك ، ولكن عليك واجبا هو ألا تخرج عن حد « الانسان » القوام ، وألا تسىء الى أحد حتى نفسك ، وهنا تبرز التبعة كابرة الميزان حتى لا يكون ثمة تطفيف أو خسران ٠

التبعة أن تعـرف ما يتبعك وما تتبعه ، يتبعك الحـق ، وأنت تتبع الواجب ، وعندما يتلاقى في ضمير الانســان معرفة الحق ومعرفة الواجب يكون الانسان حرا ٠

من حقك أن تقول : أنا حر اريد مالا ، وانا حر في اختيار الوسـيلة التى أحصل بها عليه ، فاذا اخترت طريق الشر فان الواجب يقول لـك : قف عند حدك ، السطو ليس من حق أحد لانه عمل يخالف الاخلاق أو لا يتفق مع الخير الذى اصطلحت عليه الانسانية كلها ، والحرية قائمة عـلى أسس أخلاقية لانها مجموعة من عنصرين هما : الحق والواجب ، والحق أن تأخذ مالك وتؤدى ما عليك ، فاذا زعمت أن من حقك السطو فان من حقوق الآخرين أن يسطو عليك ، وهنا يستحيل المجتمع غابة وسكانها وحوشا ٠

واذا استعمل كل انسان هذا الحق فأى مصير ينتظر البشرية غير مصير الحيوان في الغاب ، وهذا المصير تحاربه الانسانية بما لديها من قوى الاديان وزواجر القوانين ٠

فالحرية التى نريدها هى أن تتاح للانسان كل فرص الحياة السعيدة وأن يدفع الى الخير ، وأن يتاح له مجال العمل الشريف والقول النظيف وأن يشعر بالتبعة في كل قول يريد أن يلفظه أو عمل يريد أن يقوم به ٠

والشعور الصحيح بالتبعة ينأى بالانسان عن الزلل والخطأ في حق نفسه وحق الآخرين ، ويوقظ ضميره فلا يقبل أن يسيء الى فرد أو جماعة ، أما اذا فقد هذا الشعور فقد استحال مجرما ولا يستطيع أشد الناس عطفا على المجرمين ورثاء لهم أن يسمى عملهم الاجرامى البغيض حقـــا مكتسبا أو طبيعيا يسوغه الادعاء بأنهم أحرار لهم الحق فيما يعملون ٠

وفي عرفي لا حريـة بلا أخـــلاق ، وعندما تنفصل الحريـة عنهـا لا أسميها حرية ، بل أقول عنها : انها فوضى أو حيوانية أو عبودية للغرائز السافلة ، أو هى مجتمـــعات ، والحريـة الصحيحة ـ بعـــد ـ أخلاق ومثـــل ومبادىء ٠

وهذه الحرية هى التى يقررها الاسلام في مبادئه الاولى وهى قــوام الانســـانية النبيـــلة ٠

ان الحرية التى ينادى بها الاسلام ويقررها مبدأ عاما ليست وقفا على أناس مخصوصين ، ولا على بلد أو جنس أو لغة ، بـل هى حق عام لكل فرد وجماعة وأمة ومجتمع ٠

ومن هنا يفترق الاســـلام عن الديمقراطيـات الغربية التى لا تبيح الحرية لغير شعوبها ، وتحر جمنها الملونين كماتفعل أمريكا ، وان كـــان هؤلاء الملونون أصحاب الحق الاصلاء ٠

أما الشيوعية فلا لقاء بينها وبين الاسلام ، لانها مذهب حيوانى ، بل هى نزوة من نزوات الشيطان ٠

الاسلام يجعل الحرية حقا طبيعيا لكل انسان مهما كان لونه وجنسه ولغته وثقافته ، وما خرج الاسلام الا ليرد الى المسلوبين ما سلب منهم من حقوقهم في الحرية والحياة والعمل ٠

وأول مبدأ اسلامي في الحرية شهادة ألا اله الا الله ، لانه بهذه الشهادة ينفي تعدد الآلهة التي كانت تستلب حريات الناس ، وتجعلهم عبيدا لغالق واحد حق فرد صمد ، وما سواه باطل ٠

وهذا التحرر الذي يعلن الثورة على الآلهة هو مبدأ الاسلام الاول في حرية الانسان واطلاق سراحه من سجون الاستعباد لهؤلاء الآلهة ٠

ثم تأتي أنواع الحريات الاخرى التي يكفلها الاسلام لكل فرد ، يعترف له بحقه في حرية القول وحرية العمل وحرية النشر وحرية الانتقال وحرية التملك وسائر الحريات التي تطلق نشاط الانسان ليشارك في بناء المجتمع الصالح ٠

ونظرية الاسلام في الحرية توجزها هذه الكلمة : « لا ضرر ولا ضرار » فأنت حر في عمل ما تريد واعتقاد ما تشاء وقول ما يعن لك بشرط ألا يكون في شيء من ذلك ضرر على نفسك من الناحيتين المادية والروحية ، وضرر على الآخرين ٠

وما دام عملك لا ضرر فيه على نفسك ولا ضرار على الآخرين فأنت حر فيه مختار أن تنهض به ٠

والفرق بين الاسلام وكل الاديان والمذاهب أنه حرر الانسان حقا ، وجعل الحرية حق كل انسان ، وما استعبد أحدا قط الا أسرى الحرب المقدسة المشروطة فيه اعلان المحارب بالدعوة وحقيقتها ومبادئها وغايتها ثم التخيير بين اعتناقها أو اعطاء ضريبة الحماية المسماة في الاسلام جزية ، أو الدخول في حرب شريفة لتقرير مصير المبادىء لا الاشخاص ٠

ومن حق هذا العصر أن يفتخر بأن فيه ألوانا من الحرية البناءة ولكن في حدود أقليمية لا تخرج عنها ، فهي حرية ترمي الى التفرقة واستعباد الآخرين ، بخلاف الحرية الاسلامية التي لا تنظر الى أي امتياز الا العقيدة والعمل الصالح ٠

بل يثبت الاسلام الحرية للعبيد الارقاء وللمستضعفين والفقراء والمعدمين اذا كانوا مسلمين يعملون الصالحات ويحجرها عن الاعلياء والملوك والسادة اذا قاوموا الحرية التي يراد منحها لمن يستعبدونهم ٠

ومثل الحرية الاخلاق في نظر الاسلام ، لان الاسلام لم يجيء الا بمكارم الاخلاق وليتمم مكارم الاخلاق ٠

وميزان الخلق الحسن الفاضل عنده هو صلاح الوجدان والذوق والحجى واليد ، صلاح القلب والجوارح كلها ، ولهذا كان الاسلام شريعة الاخلاق التى يدخل فيها كل ما فيه صلاح المجتمع وبناؤه على أسس انسانية ٠

ولبيان الفارق بين الاسلام ومذاهب الحكم المعاصرة أن هذه المذاهب لا تشترط في الحاكم طهارة القلب واليد واللسان ، فاذا كان الحاكم ممن يشربون ويقترفون الاثم فان ذلك لا يطعن في استحقاقه للحكم محتجين بأن ذلك من « أعماله الشخصية » التى لا شأن للآخرين بها ٠

أما الاسلام فانه يعزل الحاكم الذى يأتى تلك الافاعيل ، فاذا زعم أنها حلال وأصر فانه يقتل غيرة على الاخلاق ٠

هذا في مسألة واحدة يظهر منها الفارق بين الاسلام وغيره في نظرية الاخلاق التى يدفع الناس الى العمل الصالح الذى ينقضه أى اثم أو مخالفة لقواعد الآداب العامة للامة الاسلامية ٠

ومما لا شك فيه أن ما نراه في أخلاق الحكام الذين يدينون بالمذاهب المعاصرة ما لا يرضى عنه قانون الاخلاق عندهم وفي شرائعهم الاصيلة ٠

فالخمرة التى يشربها كثير من أولئك الحكام هى اثم ، وهم يرون في البعد عنها خيرا ، ويكذبون ويرون الكذب جريمة ٠

وحسبنا هذا لتقرير مزية الاسلام الذى لا يرضى الا بما انعقد عليه اجماع بنى الانسان على أنه من الاخلاق الفاضلة النبيلة أو أنه الاكمل والافضل من الاخلاق الانسانية ٠

وننتهى من هذا الى أن الاسلام خير دين على وجه الارض دعا الى خير الاخلاق ، ولكننا نحن المسلمين بصغائرنا وآثامنا وأباطيلنا وضعفنا شوهنا سمعته النظيفة لان من نظروا الينا خلطوا بين الاسلام والمسلمين فحكموا على الاسلام حكما جائرا بعيدا عن الحق فعادوه ، مع أن الاسلام نفسه حكم على من لا يتخلق بأخلاقه بالمروق منه وقرر عقوبات تختلف باختلاف هذا المروق مما يثبت أنه دين لا يبتغى غير الصالح من القول والعمل ، ولا يسكت عمن يخرج عن قواعد الصلاح وآداب السلوك وصفات الانسان النبيل ٠

نشرت في جريدة « حراء » سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م)

الاسلام والمعارضة

للحكم العادل الصحيح سمات من أهمها اتساع رحابه للمعارضة والمعارضين ، لان كل عمل من أعمال البشر لا يمكن أن تكتب له العصمة والكمال بحيث لا يكون فيه ثغرة أو مأخذ ، وما دام الامر كذلك فان من الخير للمجتمع أن يكون فيه أناس يعارضون الحكم والحكام من أجل الخير العام •

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله وللمؤمنين » •

والنصح فريضة على ذوى النزاهة والخبرة والكفاية والعلم والخلق ، وله أسلوبه العف الذى يراد منه الاصلاح ، وما يستكبر على النصح كبير الا صغر ، ولا تجهم له حكم الا كان أسوأ الاحكام ، لان النصح الرشيد معوان على الخير وآية على الوعى والرشد وسبيل الى التمام •

والمعارضة في أيسر أموره وأبعدها نصح يتخذ لكل حالة لبوسها وأسلوبها ، ولهذا كانت المعارضة ضرورة لا بد منها للحكم الصالح الرشيد الذى يتسع قلبه وصدره للمعارضة ولا يضيق بها ، بل يوجدها اذا لم تكن ، ولو انعدمت الاضداد لماتت المزايا ، فالمعارضة لا بد منها ، لانها تقيم الدليل على أن الشعب الذى يمتاز بوجود المعارضة شعب متمسك بالحرية والاختيار متصف بالوعى والاقتدار •

والبلدان التى تضيق بالنقد هى بلدان متخلفة متأخرة ، والتى تنعدم فيها المعارضة انما هى بلدان فقدت الحرية فقدانا تاما ، فالبلد الذى لا تجد فيه المعارضة يبرهن على أنه لا يملك حرية التعبير والقول والنشر ، مع أن من حق كل فرد في الامة حق التعبير عن رأيه وخواطره وحق التمتع بحريته الكاملة •

وان من الامور ما يعد فرض كفاية اذا قام به نفر سقط عن الآخرين ، ولكن لم يسمع منها صوت معارضة حتى اليوم ! أمرد هذا الى أن الشعب ومن يعمل للقضاء عليه يحارب حتى يعود فرض الكفاية الى الوجود •

ونحن نرى في عصرنا هذا دولا نامية متقدمة يتمتع فيها الشعب بالحرية ، ونرى دولا ـ كالدول الشيوعية والدكتاتورية ـ تحجر على حرية الفكر والرأى والتعبير ، وتقضى على المعارضين ، وتشوه سمعة الناقدين ، وتحطم الاقلام الحرة ، وتقطع الالسنة الصادقة ، وتقتل المعارضة .

وما يستنكر على المعارضة الا الخائف الوجل ، ولا يعمل على اسكات أصواتها الا ضعيف أو متجبر ، أما القوي القادر النظيف فيرحب بالمعارضة لأنها تتيح الفرصة لتصحيح الخطأ وتقويم المعوج وسلوك الطريق القويم .

تسلمت الشيوعية الحكم في روسيا منذ خمس وأربعين سنة وأكثر ، ولكن اذا انعدم كل من يؤديه أصبح مثل فرض العين يؤثمون جميعا بتركه ، يعيش في الفردوس حيث العصمة والتمام ؟

ان عاقلا لا يزعم هذا ، فكلما ظن المرء أنه بلغ التمام وارتفع الى القمة رأى هناك ما هو أتم ، وقمة أعلى ، فهو ما يزال يعمل للكمال ويطلبه حتى ينتهى ليتسلم الراية منه غيره وهكذا .

ومرد فقدان المعارضة في الدول الشيوعية والدكتاتورية هو تسلط الحكام على الحكم تسلطا قضى على الحرية والاحرار بالقضاء على الاصوات المعارضة .

والاسلام خير دين أباح المعارضة واتسع صدره لها ولاصحابها واحترمهم ، وشجع حرية الرأى والتعبير ، حتى أن القرآن نص على حوادث وقصص ، بعضها مثل للمعارضة التى تتجلى في ثوب الاستفهام أو الاستنكار أو التعلم ، ولكنه على أى حال لا يخلو من معنى المعارضة والاعتراض .

قال الله تعالى في محكم كتابه : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم(١) » .

وهذه الآية تثبت لنا أن الله أنبأ ملائكته بخلق خليفة في الارض ، وغاب عنهم حكمة هذا الخلق فقالوا له ما صوره القرآن ، ولم ينقم الله عليهم لان الملائكة لم ترد الا الخير المحض الذى يصوره التسبيح والتقديس ،

---

(١) سورة البقرة ، الآيات ٣٠ و ٣١ و ٣٢ .

ولم يفرض عليهم الاستسلام كراهية بدون رضا ، بل أقنعهم بالحجة حتى اعتذروا بأنهم لا يعلمون الا ما علمهم الله .

وإذا كان أحكم الحاكمين يصنع هذا مع خلقه فانه يجب أن يكون مثلا للحكام فيستقبلوا المعارضة بقبول حسن وألا ينزلوا العقوبة بأصحابها.

وتاريخ الاسلام في أفضل عصوره وأزهاها ـ عصر محمد صلى الله عليه وسلم وعصر خلفائه الراشدين ـ حافل بأخبار المعارضة التى اتسع لها صدر الحاكم والمحكومة .

ومواقف المعارضة من المسلمين نحو الرسول صلى الله عليه وسلم معروفة في التاريخ الاسلامى الصحيح ، وهى كثيرة ، وكل المعارضين كانوا من أعظم الناس حبا لرسول الله وايمانا بصدق رسالته ، ومعارضتهم لم تخرجهم عن حرم التقوى والولاء والاسلام ، ولم تجعلهم موضع غضب النبي صلوات الله وسلامه عليه ، بل عارض المعارضون وهم صحبة أخيار أبرار أنصار ، وعادوا الى التسليم بعد قناعة يسلم بها القلب والحجى وهم أعظم حبا وتبجيلا .

عندما قسم الرسول غنائم حنين وجد عليه الانصار فجمعهم وقال لهم في أدب ليس مثله لاحد من الخلق : يا معشر الانصار ، ما قالة بلغتني عنكم ؟ وجدة وجدتموها على في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ؟ وعالة فأغناكم الله ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ فقالوا : لله ولرسوله المن والفضل ! قال صلى الله عليه وسلم : أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم ، أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فواسيناك ، أوجدتم يا معشر الانصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم الى اسلامكم ! ألا ترضون يامعشر الانصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله الى رحالكم . فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار . اللهم ارحم الانصار ، وأبناء الانصار ، وأبناء أبناء الانصار . فما بقى أحد الا بكى حتى أخضل لحيته ، وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا » .

هؤلاء الانصار ـ رضوان الله عليهم ـ عارضوا لانهم رأوا أن حقهم من الغنائم حرموه ، وأن قريشا الذين حاربوا الله ورسوله أخذوا ما ليس من حقهم ، ولماذا لا يعطى الانصار حظهم منها ؟!

كان الانصار على حق ، وكـــان رســـول الله على حق أكبر من حق الانصار ، ولم ينس رسول الله في ذلك الموقـف حـــظ الانصار وحقـــهم ومقامهم وفضلهم ، بل اعترف لهم بحقهم في الغنيمة ولكنه عوضهم عنه بأن يعودوا برسول الله الى رحالهم بعد أن يعود المؤلفة قلوبهم بالشاء والبعير ٠

انهم عارضوا الى حد الموجدة ، واتفق في المعارضة ألسنتهم وقلوبهم ، فاقنعهم الرسول وأرضاهم أحسن الرضا ٠

وعندما أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يسير جيش مؤته بعد وفـــاة الرسول عارضه كثير من الصحابة، وكان أشدهم معارضة عمر بن الخطاب٠

فالاسلام يبيح المعارضة ويحترم أصحابها وأصواتها ، وما أثر عنـه أنه عبس في وجوههم أو نكل بمعارض يريد الخير أو آذى ناقدا يرجـو المنفعـــة والصـــــلاح ٠

وان من صلاح الحكم والمجتمع أن يكون هناك معارضون ، يكملون النقص ويدفعون الى المزيد مـن أعمال الخــــير والاصلاح بمعارضتهم التى يراد منهـــا الخـــير ٠

المعارضة النزيهة السليمة دفع الى الامام ، واصلاح منشود ، ودفقة من دفعات الخير ، فما أشد حاجتنا اليه ؟

٭٭٭

وحدة الحق في الاسلام

فقد الغرب روحيته بعد أن حارب دينه وعزله في المعبد ، وأخلى منه السوق ، وجئـنا نحن المسلمين نقـلدهم ، ويرغم بعض الحكام على ترك التعصب للدين ، واعطاء كل من هب ودب حرية الرأى ، واتهام المسلم المتمسك بدينه المدافع عنه بأنه رجعى أو مثير للاحقاد ، عامل على تفكيك الوحدة •

ويخافون من أوروبا حتى لا تتهمهم بالتعصب الدينى ، فيتركون الاقلام المريضة المحمومة تهاجم الدين وتركبه بالسخرية ، كما صنع أحمد بهاء الدين ، ومصطفى محمود ، واحسان روز اليوسف وغيرهم من المارقين الخارجين على الانسانية •

ان قريشا اجتمعت وقالت لمحمد عليه صلوات الله وسلامه : « ان أردت مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تصبح أغنانا ، وان أردت ملكا ملكناك علينا » •

وكانت فرصة لجمع القلوب حوله ، وضمان الوحدة اذا أخذنا بمنطق أولئك الذين يطلبون الينا ألا نتعصب للاسلام ونتحرر منه حتى نكون أحرارا عظماء ، وحتى نعمل للوحدة ونبتعد عن التفرق بسبب الدين •

قال محمد صلى الله عليه وسلم لاولئك الذين عرضوا عليه المال والملك : « والله لو وضعوا الشمس في يمينى والقمر في يسارى على أن أترك هذا الامر ما تركته حتى يظهر الله أو أهلك دونه » •

وأخذ يدعو الى دين الله في اصرار عجيب لا مثيل له في التاريخ الانسانى كله ، ولم تخدعه أقوال من يرغبون في الوحدة ونبذ التفرقة •

صاحب الرسالة الاسلامية لا يريد حكما يتوسل اليه بما ينقض أركان دعوته الى الله ، بل لتتفرق الجموع ، ولتضعف الوحدة اذا كانت لغير الله •

ومن الذى يزعم أن التعصب للدين يورث التفرقة ويشعل الفتنة الا من كان فاقد الايمان بربه ونبيه وبالانسانية •

ان كفار قريش ـ أعلياء وأدنياء وخاصة وعامة ـ اتهموا محمدا عليه صلوات الله وسلامه بأنه فرق كلمتهم وشتت شملهم بدينه الذى بشر به ، وأرادوا منه بالحسنى أن يتركه ويعطونه ما يريد ، وظنوا أن محمدا يريد ملكا وجاها ومجدا وثراء ودنيا فعرضوا عليه المال حتى يكون أغنى الناس ، والحكم حتى يكون ملك العرب ، تلقاء الوحدة في الضلال والكفر والباطل ، ولكن محمدا رمى بعروضهم وتجهم لها ، وكان ضعيفا مفقود الاثر في أمة ربيت على الكفر ، وأصر على الدعوة الى ربه ، وليكن ما يكون من تفريق الكلمة الجميع ، والوحدة التامة •

انه لا يريد وحدة قائمة على الباطل ، بل وحدة أساسها الحق ، وقد كان ، إذ جمع الله العرب بمحمد ، وطهر الانسانية بدعوته : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم وأصبحتم بنعمته اخوانا » •

وهؤلاء الدعاة الذين يريدون منا ألا نتعصب للاسلام لئام ، يدعوننا الى ترك التعصب للاسلام دين الانسانية ، وهم يتعصبون للكفر ويعملون للشر •

فلماذا يؤاخذوننا على تعصبنا للخير ولا يلومون أنفسهم على تعصبهم للشر ؟

انهم دعاة هدم وشر وتحطيم !

انهم استعماريون !

انهم شر من الاستعمار !

انهم صهيونيون !

انهم أولئك جميعا !!

الزكاة
تقضي على حرب الطبقات

جاء الاسلام والظلم عام في الارض ، الحاكم يظلم المحكوم ، والمخلوق يكفر بالخالق ، وكل امرىء يظلم غيره ، ويعتدي على حقه .

وأشنع ما كان في العالم ـ بعد الشرك بالله ـ ظلم الناس بعضهم بعضا ، والظلم الاجتماعي شر ألوان الظلم ، لانه يجعل الصلة الانسانية صلة اكراه وتوجس خيفة .

ومن شناعة الظلم سمى الله في محكم كتابه الشرك ظلما عظيما ، فقال عز وجل : « ان الشرك لظلم عظيم » .

وما تقوم الحروب ، ولا تثور الفتن الا من الظلم ، لان العدل ـ وهو نقيض الظلم ـ يضمن الخير والمحبة والامان ، والظلم يمحو كل هؤلاء ليحل مكانها أضدادها ، فيسود الشر ، وتستأسد القطيعة ، ويعم القلق والمخافة ، كما يعيش العالم في هذه الايام .

ولقد قال الله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » ، والعدل علاقة الفرد بالفرد ، والاحسان علاقة الفرد بالله ، وجاء تفسير الاحسان في الحديث الشريف حيث قال محمد صلى الله عليه وسلم : « الاحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

والله قدم العدل لانه متى كان مضمونا عاش الناس سعداء ، ولا تتم السعادة الا بأن يعرف الانسان ـ كل انسان ـ واجبه نحو ربه ونفسه ، ومتى عرف الواجب وأداه كان من المفلحين .

واذا أردنا أن نعرف حقيقة الاسلام وما أدى للانسانية وما منح وأعطى فان مما يساعدنا على ذلك أن نعرف ما كان عليه حال الانسان في ذلك الزمان .

كان الانسان وحشا فاتكا ، يشرك مع الله غيره في العبادة ، ويؤذي غيره في المال والنفس والثمر ، أو كما قال جعفر الصادق رضي الله عنه : « كنا أهل جاهلية نعبد الاصنام ، ونقطع الارحام ، ونأكل الميتة ، ونسيء

الجوار ، ويستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها ، لا نحل شيئا ولا نحرمه ، فبعث الله نبيا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته ، فدعانا الى أن نعبد الله وحده لا شريك له ، ونصل الارحـــام ، ونحمى الجوار ، ونصلى لله عز وجل ، ونصوم له ، ولا نعبد الا اياه ، فعدا علينا قومنا فعذبونا ليفتنونا عن ديننا ، وحالوا بيننا وبين ديننا الخ ٠٠ » ٠

فالاسلام جاء لتحرير الانسان من عبودية الانسان ، وتطهير الضمير ، وتنقية القلب ، وتهذيب الوجدان ، وضمان الحياة السعيدة لكل من آمن بالله ورسوله ، وكفالة الحرية ، ورعاية المجتمع وحمايته ٠

ووضع من النظم ما لو اتبع لعاش الانسان مهما كان لونـه ولغتـه وجنسه ووطنه أسعد ما يعيش انسان على وجه الارض ، لا يخاف من كبير لان الله أكبر ، ولا يطغى على ضعيف لان الله وحده صاحب القوة والعزة ٠

ولكن المسلمين نسوا الله فنسيهم ، وأضاعوا الاسلام فضاع أمرهم على أنفسهم ، ونشبت حروب الطبقات ، كل طبقة تحارب الاخرى ، مع أن الفوارق كانت موجودة ، وأقر الاسلام بها ، ولكن كان الناس أمة واحدة لا يحقد فقير على غنى ، ولا يستكبر قوى على ضعيف ٠

أما الآن ، فنحن نشهد حرب الطبقات أعنف ما تكون الحرب ، قوى لا يرحم ، وضعيف يتحين الفرصة للوثوب ، وغنى لا ينبض قلبه بالرحمة ، وفقير يشتعل من الغيظ والنقمة ٠

وأصبحنا وكأننا في ميدان حرب ، كل من فيه عدو للآخر ، يتربص به الدوائر ، ويترصده ليقتله ٠

وأخشى ما أخشاه أن يشتعل الحقد في قلوب الاكثرية الفقيرة فتدمر كل غال ونفيس ، في سبيل عيش رخيص ، كما حدث في الامم التى أجبرت من طغمة شريرة على التنكر للدين ، والعبوس في وجه المثل والقيم ٠

وقد عرف الاسلام ان الحقد سفينـة يركبـــها المحرومون ، ويدفعها الغيظ الى التشفى والانتقام ، فوضع النظام الذى يضمن الاخـــاء والمحبة والسلام بين الناس ، ويكون الاغنياء والفقراء اخوة في الله ، صفت قـلوب أولئك من الكبر والجشـع ، وامتـــلأت قلوب هـــؤلاء بالايمـــان فلا يحقدون ولا يحسدون ٠

والاسلام يدرك حق الادراك أن الخبز ضرورة ، وأن الفقر آفـــة الاخلاق ، ولهذا أهدر دم الفقر • وقيل : لو كان رجلا لقتلته ! وأوجب على الغنى أشياء ألزمه بها حتى لا تثور حرب الطبقات •

وهذا ما دفع الاسلام الى أن يسن نظاما جعله فريضة لا مفر من أدائها ، وهو الزكاة على القادرين تصــــل بين الايدى فـلا يبطش بعضها ببعض ، وتوصل بين الارحام فلا تتقاطع ، فاليد التى تمتد بالخير لا تصاب بسوء ، والرحم المبلولة لا تظمأ لان الرحمة ترويها •

والزكاة ركن من أركان الاسلام ، يكفر من يجحد فريضتها ويحارب من تركها ، لانها من أساس دين محمد عليه الصلاة والسلام •

ولو أديت الزكاة كما أمر الله لما وجد الحقد طريقا الى القلوب ، ولكن غيرنا ما بأنفسنا فغير الله ما بنا •

وأين تلقى نظرك في بلدان الاسلام تجـــد جيــوش الفقراء يعيشون حاقدين ، وأفراد الاغنياء يعيشون على مرأى ومســــمع من أولئك عيشــة لا يحلم بها فرعون وهامان •

فاذا ثار الفقير وحقد فما هو بملوم ، لانه لم يجد ما يسكت صيحة معدته ، ولم يلق من أخيه الغنى القادر غير التسلط والجبروت ، ان مد اليه يده قطعها ، وان استرحمه زاد عتوا ونفورا ، ومذاهب الهدم تغذى الحقد بالوقود ، وتثير حرب الطبقات وتمدها بما يزيدها ضراوة وضراما •

ولم يبق الا أن نعود الى الاسلام من جديد ، ونؤدى حق الله كما أمر ، لنحمى أنفسنا مما ينتظرها من الشر الذى يفغر فاه ليلتهمنا بدون رحمة •

ونحن نستشــعر الخــوف ولدينــا الامـن والطمـأنينة والمحبـة نضمنها بقليـــل •

فاذا كانت الصلاة تصلنا بالله ، فان الزكاة تصل بعضنا ببعض ، وتجتذب الينا رحمة الله التى تنزل على من يرحم عباده •

والزكاة تدل على حكمة الاسلام البـــالغة في أن تكون الصلات بين القـــادرين والعجزة ، والاغنيــاء والفقراء صلة مودة تتجـــد على مر الشهور والاعوام •

ولكن الزكاة ركن هدمه المسلمون في كثير من البـلدان ، وفي بعض البلدان قل الاهتمام بـه ، وان هـذا لنـذير للمسلمين بشر يجـب أن يستيقظوا له حتى لا تثور حرب الطبقات ٠

ان الزكاة في الاسلام أعظم ضمان اجتماعي عرفه البشر أو سيعرفونه في مقبل الايام ، ولو أخرجت حقا من الامة والدولة ـ والدولة : الشعب والحكومة ـ لما بقي في ارض المسلمين سائل ٠

ان ربع العشر في دخل الفرد أو الامة هو ٢½ في المئة ، فاذا فرضنا ان دخل الدولة في بلادنا ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٣ ريال على أقل تقدير فـان الزكاة تكون بهذه النسبة ٠٠٠ر٠٠٠ر٧٥ ريال ٠

وهذا مبلغ كبير بالنسبة للسائلين والفقراء والمسـاكين الذين هم ببلادنا ، وفي وسعه أن يحيلهم الى واهبين بعد أن كانوا موهوبين ٠

وان ربع العشر ـ أو الاثنين والنصف في المئة ـ سيغنى كل فقير ، ويحيل كل سائل مجيبا ، وهكذا بعد بضع سنوات سيفيض أكثر الزكاة لاننا لا نجد مستحقا شرعيا له ، وعندئذ تقام بها مشروعات عامة ، وهي خير أنواع التأميم اطلاقـا ، لا التأميم الـذي يجيء قهرا وسلبا وعنوة ، ويغتصب ويستصفى ٠

واذا أضيف الى هـذه الزكـاة زكـاة الفـطر كـان الفقـير في الاسلام من الاغنياء ٠

ولكننا نحن المسلمين ـ كبراءنا وعلماءنا ـ أضاعونا وأضاعوا علينا كثيرا من ثروة الاسلام ، فلم نجد العالم المجاهد الا نادرا ، وافتقدنا الكبير الشفيق ـ الا قليلا ـ فأصبحت الامة الاسلامية بائسة حزينة ، وان فيها لأفرادا ـ بالملايين ـ يدارى خلقهم الفاضل بؤسهم الفاضح ، ويظهر اباؤهم وشرفهم في ثوب الملوك وقلوبهم خاوية من الجوع ٠

واذا نسى الانسان أخاه فالله لن ينسى عبده ٠

واني أخشى من فدح الظلم الاجتماعي أن نسـاق الى الشر سـوقا ، فلنذكر ولنحسب قبل فوات الأوان ، فالفرصة ما تزال في أيدينا ٠

وهذه مناسبة سعيدة لتذكير المسلمين بواجبهم ـ وبخاصة في بـلاد

الاسلام الاولى ـ ليعملوا ما فيه خيرهم ، وان الله ما أمر بأمر الا وفيه الخير كله ، وكذلك القول فيما نهانا عنه ٠

هذه مناسبة سعيدة يهيؤها شهر رمضان المبارك ليتقارب المتباعدون، ويتحاب المتقاطعون ، ويمد بعضنا الى بعض أيادى الرحمة ، يمدها الغنى للفقير بالعطاء والسخاء والاريحية ، ويمدها الفقير للغنى بالمحبة والشكر والاجلال ٠

ان شهر رمضان المبارك يتيح لنا هذه الفرصة فلننتهزها ونعمل فيه صالحا ، لنخرج الزكاة ـ زكاة الفطر ـ كما أمر الله ورسوله ، ولنخرج زكاة أموالنا ، ولنتصدق ، ولنجعل للفقير والسائل والمحروم حقا في اموالنا حتى يكونوا أخوة لا أعداء ، فما أحبك ولدك الا لانك تنفق عليه وترحمه وتبره ، وبشيء يسير ـ باثنين ونصف في المئة ـ مما نملك من المادة والروح نهبه للمحتاج نجعل الغريب قريبا ، والعدو صديقا ٠

وما أحوجنا الى هذا الذى تحققه لنا الزكاة الاسلامية ؟

نشرت بجريدة عكاظ سنة ١٣٨٣ هـ

●●●●

الضرائب التصاعدية

والاســـــلام

جاء الشيوعيون وقضوا على النشاط الفردى بجرة قلم فأمحى كـل صاحب امتياز مادى عدا الحكام ، فلا غنى ولا مالك ولا صاحب مصنع !

ألغت الشيوعية الثروة الفردية ، وفتكت بكل ثرى ونهبت ماله نهبا ، وأصبح الناس سواء في الفقر أو في عدم تملك شيء يذكر .

أما الديمقراطية فصنعت صنيعا حسنا ، نفذت سياستها دون أن تثير الطبقات بعضها على بعض ، ودون أن تقتـــل الغنى وتســتولى على أمواله وأرباحه وتدمير نشاطه ، بل أخذت تسعين في المئة من جهود « المليونير » الذى يربح الملايين دون أن يكون بينه وبين الحكومة ضغن وبغضـاء ، بل دفعته الى بذل المزيد من نشاطه بكل وسائل الاغراء والحماية ، وشاركته في تسعة أعشار جهوده ، وذلك عن طريق الضرائب « التصاعدية » التى تلتهم أكثر ربحـــه .

وفي هذه الضرائب منافع عظيمة منها قيام « المليونير » بتبرعات ضخمة وتقديم المعونات لمن يعملون في شركاته ومصانعه ، وتوفير الرعاية الصحية وكل مطالب الخدمة الاجتماعيـة لعمـاله وموظفيـه فرارا مـــن ضخامة تلـــك الضرائب .

وما دامت النتيجة أن الحكومة تستولى على تسعين في المائة من أرباحه ، فخير له أن يعمل خيرا مع أبناء وطنه يذكرونه بــه حمدا وتمجيدا ، انهم أولى من الحكومة !

والحكومة تعرف هذا وتباركه ، لانها هى نفســها خـــادم الشعب ، ويسعدها وصول نفع الى عديد ممن تخدمهم .

وهذا الحال يجرى في بريطانيا حيث يتمتع المجتمع هناك باستقرار يدعو الى الاعجاب .

واذاكانت الضريبة التصاعدية محمدة للديمقراطية ، فان في الاسلام ما يثبت لها السبق في هذا المجال .

جاء في « صحيح البخاري » ٢ : ١١٨ طبعة بولاق :
بسم الله الرحمن الرحيم

هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

على المسلمين ، والتي أمر الله بها رسوله ، فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ، ومن سئل فوقها فلا يعط .

في أربع وعشرين من الابل فما دونها من الغنم من كل خمس شاة .
فاذا بلغت خمسا وعشرين الى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض انثى .
فاذا بلغت ستا وثلاثين الى خمس وأربعين ففيها بنت لبون أنثى .
فاذا بلغت ستا وأربعين الى ستين ففيها حقة طروقة الحمل .
فاذا بلغت واحدة وستين الى خمس وسبعين ففيها جذعة .
فاذا بلغت - يعني - ستا وسبعين الى تسعين ففيها بنتا لبون .
فاذا بلغت احدى وتسعين الى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الحمل .
فاذا زادت على عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة .
ومن لم يكن معه الا أربع من الابل فليس فيها صدقة الا أن يشاء ربها الخ » .

وما الضرائب التصاعدية غير هذا .

تبدأ الضريبة بمن يملك خمسا من الابل - في الابل - وكل ما زاد ما يملك زادت الضريبة ، تصعد كل ما صعد ما يملك ، والحكمة في ذلك هي نفس الحكمة من الضريبة التصاعدية التي تنخفض الى حد كبير عندما يهبط ميزان التملك لتترك للفقراء ما يملكون معفى منها ، وتترك لذوى الملك « أجزاء أكبر من دخولهم التي تنخفض بفعل الكساد ، ومن جهة أخرى ففي أوقات الرخاء تأخذ الحكومة - في صورة ضرائب - أجزاء أكبر » ليبقى كل منهم في مستواه عند الكساد أو الرخاء .

والزكاة ضريبة لا مفر من دفعها لانها حق الله على المال ، وتختلف الزكاة عن الضريبة أن الزكاة تتناول المال كله رأس مال أو ربحا ، بخلاف الضريبة التي تقتص من الربح دون رأس المال .

ومن نظام الزكاة في الاسلام يمكن تطبيق آراء ونظريات لا تتعارض مع جوهر الاسلام الذى يتوخى العدل والمحبة وألا يكون المال دولة بين

الاغنياء وحدهم ، لان في ذلك خطرا على المجتمع وخللا يصيبه لا محالة اذا لم يتخذ الاهبة والحذر اللذين يتجليان في نظـام يمـكن استنباطه مـن نظام الزكاة نفسه .

وهذه الدرجات التي وضعها الاسلام في الزكاة وجعلها قاعدة لمـا يسمى بالضريبة في اصطلاح العصر الحاضر تصلح كل الصلاح لان تكون مقياسا يلائم تطور الانظمة والمعاملات دون أن يمس ذلـك العمل جوهر الاسلام ، بل يزيد في قيمته لانه يثبت عملـيا أن الاسلام دين صالح لكل زمان ومكان بحق لا مجرد قول يرسله من لا يستطيع اثباته بدليل يقبله العقل ويرضى به المنطق .

نشرت بجريدة عكاظ سنة ١٣٨٣ هـ

حكمة الحج

المؤتمر الكبير في الاسلام

كان الحج في أيام الجاهلية موسما من مواسم الثقافة والسياسة والاقتصاد والعبادات والتقارب والالفة والتعارف ، لانه كان يأتى عقب سوق عكاظ ، حيث تجتمع العرب من كل أقطارهم بالجزيرة ليتبادلوا المنافع .

وكان عرب الجاهلية يدركون أن الحج عمل تعبدى مقدس ، فكانوا يقيمون قبل موعده سوق عكاظ ثم يحجون ، وسبب اقامة السوق قبل الحج أنهم كانوا يعرفون أن العلاقة الدنيوية بين الناس بعضهم بعضا لا تخلو من الغش ، ولا يسلم البيع والشراء من الربا ، ولا يبعد التعامل عما يسخط الله فكانوا يقومون بذلك قبل الحج ثم يحجون اعتقادا منهم أن الحج يرحض الاثم ويغسل الذنوب .

ولما جاء الاسلام أبقى الحج وجعله أحد الفروض والاركان ، ونقاه مما كان قد علق به ، فصار الحج الاسلامى « فرصة » للربح والسعادة في الدنيا والدين ، لانه في حقيقته عبادة وقربى ، والعبادة تكسب الانسان الخير في حياته وبعدها .

ونظم الاسلام أمر الحج خير تنظيم ، وأرسخ قواعده على الانسانية والمحبة والسلام ، وجعل قوامه العمل الصالح الذى تلتقى فيه كل الخلائق الانسانية الفاضلة .

وكل ركن من أركان الاسلام الخمسة هى قوام صرح الانسانية الفاضلة ، وأول هذه الاركان الشهادة ، حتى يتحرر الانسان ـ أيا كان ـ من عبودية غير الله ، ويكون الناس سواء لا يفرق بين أحد منهم اللون والجنس واللغة والحياة المادية ، كل من قال : لا اله الا الله محمد رسول الله ، فقد أسلم لربه وجدانه وذوقه وروحه وأشواقه العليا وأموره في الدنيا .

وكل من ينفى عن نفسه العبودية لاحد غير الله فقد تحرر من أوهاقها وانطلق من وثاقها الى حيث يصبح الناس اخوة متساوين متكافئين في الحق

والواجب ، فينظرون الى أعلى ، لا يستعبد أحد أحدا ، بل كلهم عبد الله وحده ٠

ويقصد الاسلام من أركانه الخمسة التي بني عليها : الوحدة في الانسانية ، والوحدة في الحق والواجب ، والانسانية في الصلة والتعامل ٠

وكل ركن من أركانه قائم على هذين الاساسين الا ركن الزكاة ، فالشهادة أول مظهر من مظاهر الوحدة العامة الشاملة ، وكذلك الصوم والصلاة والحج ٠

فالصوم فريضة يتفق المسلمون جميعا في أدائها في شهر واحد لا يجوز في غيره اجماعا وان جاز على آحاد تخلفوا عنه لعذر من أعذار الشريعة ، فهو مظهر من مظاهر الوحدة ٠

والصلاة مظهر من مظاهر الوحدة أيضا ، ولكنه أعم من الصوم ، لان صفوف المصلين تنتظم خمس مرات في كل يوم في مسجد واحد يتبعون امامهم في كل حركة من حركاته ٠ ولكن « الحج » أكمل من الصلاة في مظهر الوحدة وأعم ، فكل حاج في أى بلد من بلدان الارض سواء أكان في الشرق أم في الغرب لا يكون حاجا الا اذا وقف مع كل حاج على صعيد واحد وفي يوم واحد ٠

أما الصلاة ، فنحن نعرف أن كل مسجد في كل حي ينفرد عن غيره في الزمن ، ويفرق عن غيره في الوقت ، فيصلي هذا المسجد قبل غيره أو بعده بدقائق ، وفوارق الزمن بين الاقطار ، فالمسلم الذى يصلي بمكة المكرمة حرسها الله ـ الظهر ، يصلي في هذا الوقت نفسه أخوه المسلم بأمريكا العشاء ٠

فالحج يرجح على الصلاة في أن كل مسلم يريد الحج يجتمع في يوم واحد وعلى صعيد واحد بأخيه واخوته ويشتركون جميعا في أداء هذه الفريضة ، فالحج ـ على هذا ـ أكبر ركن في الاسلام بعد الشهادة يدل على الوحدة ، لانه يوجب على المسلم في كل قطر من أقطار الارض أن يرحل الى مكة المكرمة ويقف مع اخوته الحاجين في عرفات في يوم واحد هو اليوم التاسع من شهر ذى الحجة ٠

وبغير الوقوف في اليوم الموقوت لا يكون حج ولا يسمى صاحبه حاجا ، ولا يجوز لمسلم أن ينفرد بوقت أو يوم ، وما دام الحج أكبر ركن

بعد الشهادة ـ لمظهر الوحـدة ، فان لنـا أن نسـأل : هل أفـاد المسلمون من الحج ؟!

وما ثم شك أن الفرد المسلم أفاد منه لانه أدى فرضا مكتوبا عليه ، أما فائدته بالنسبة للجمـاعة الاسلامية ، فأمر فيه نظر • واذا كان من مزايا الحج : الالفة والمحبة والتعارف بين الحجاج المسلمين الذين يفدون الى بيت الله الحرام من كل أقطار الارض ، فان هذه المزايا قد غفلنا عنها •

يجتمع المسلمون من مشارق الارض ومغاربها ، من الهند والصين واندونيسيا وباكستان وشـمال أفريقيـا ومن روسـيا وأوروبا وأمريكا وأفريقيا ومجاهلها ، ولا يسأل حاج عن حاج ، بل لا يسأل أبناء البـلد الواحد بعضهم عن بعض •

واذاكان السؤال والتعارف فرض كفاية اذا قام به بعضنا سقط عن بعضنا الآخر ، فانه يصبح فرض عين اذا تركه الحجاج جميعا فانهم يؤثمون على تركه لانه « تعطيل » لحكمة الحج •

بل هناك ما هو أدعى لتفكيرنا واهتمامنا ، ذلك هو اننا استبدلنـا بالمحبة والتعارف والالفة الخصومة والنفور والعداوة ، ففى الحجـاج من يتعصب لبلده أو حاكمه تعصبا شديدا وينتقص البـلد الآخر ، فينهض صاحبه بالدفاع عنه والتعصب له ، ويحضر الشيطان الرجيم فيورث بينهما العداوة والبغضاء ، ويتبادلان ما حرم الله على المسلم ويقضيان على بعض حكم الاسلام من الحج ، وقد ينضم الى كل واحد منهما جماعته فتشتعل نار الفتنة ، والاسلام لم يرد من الحج هذا الخصام ، بل أراد نقيضه ، وما دامت هذه الالفة أو هذا التعارف غير مضمون فان سائر المزايا والفوائد تتبعه في الضياع •

ان الحج فرصة تتاح لكل شعوب الاسلام وحكامهم وزعمائهم حتى يكشـف بعضهم لبعض عن أمورهم السـياسية والاقتصادية والثقافية والتجارية ويعرض بعضهم على بعض مشاكلهم الفكرية والاجتماعية والمادية والحربية ، ويتعاونوا فيما بينهم على التفكير في الحلول الصحيحة ، ويضعوا الخطط التى تكفل لهم القوة والاتحاد •

ولئن كان في الازمنة الماضية بعد الاقطار وصعوبة المواصلات ممـا يحول فان هذه الايام التى امتازت بتقارب الاقطار البعيدة وانطواء المسافات الشاسعة تهيىء الفرصة كلها للافادة من هذا المؤتمر الدينى العظيم •

وهذه البلاد المقدسة حريصة على الوحدة بين المسلمين ، وفي تعبئة كل نشاط أمم الاسلام ومواردها الضخمة لبناء « عالم اسلامى » قضاء على القلق الذي لم يدع كهفا من كهوف النفس الانسانية الا احتله ، ذلك القلق الذى أحدثه أصحاب مذاهب الهدم والتخريب والاستعمار .

وبلادنا بذلت من دخلها وأقوات أهلها ملايين وقفتها في سبيل راحة الحجاج وتهيئة السبل لهم حتى يؤدوا مناسك الحج كاملة ، ويجعلوا منه مؤتمرا اسلاميا عاما » ، كما أنفقت ملايين في سبيل الوحدة الاسلامية ، ولكن شجرة « الزيتون » تحتاج الى سنوات حتى تزكو وتثمر .

وجهود بلادنا وحدها لا تكفى ، لان الوحدة لا تتم بجهود امة أو اثنتين او ثلاث ، بل بجهود مجموعة الامم الاسلامية كلها حتى تكون وحدة عامة شاملة تنتظم كل المسلمين .

وان دين الاسلام الذى مكن لسلفنا الصالح أن يقود الحضارة الانسانية وكل قوى الانسان وطاقاته المادية والروحية قيادة صالحة ينعم بظلها البشر جميعا على اختلاف الالوان واللغات والاجناس والاديان ما يزال قويا قادرا على أن يقود الانسانية من جديد ، ولكن يجب أن نكون مثل سلفنا الصالح في الخلائق والصفات حتى نكون أهلا لهذه القيادة .

◎◎◎◎

حكمـــة الصوم

يقولون : ان أعظم الحكم والاسرار من تشريع الصوم في رمضان أن يشعر الغنى بالجوع ، فيرق قلبه على الفقير الجائع ويحسن اليه مما أنعم الله به عليه !

وما أظن الحكمة من صيام رمضان أن يجوع الغنى حتى يحس بلذعه فيتمثل شعور الفقير الدائم بالجوع ، لان الغنى يجوع في غير رمضان فلا يرق قلبه على الفقير •

ان الحكمة ـ كما أفهم ـ من الصيام أن يروض المسلم نفسه عـلى المكاره التى تجابهه في هذا الشهر ، وينمى ارادته حتى تستطيع أن تقول : لا ، وتقف عند قولها •

ان الحرية أثمن شيء في الحياة ، لان الحرية هى كرامة الانسان ، هو حر أن يأكل في أى وقت شاء ، حر أن يشرب وأن يفترش ، فاذا أمره مخلوق بألا يأكل ولا يشرب ولا يفترش خلال ساعات الامساك التى تبلغ أحيانـا أربع عشرة ساعة ، فانه لن يقبل هـذا الامر لان فيه حـدا من حريته الشخصية ، فاذا قبل فانما دل على الاستعباد الذى لا استعباد بعده ، ولكنه ـ هنا ـ عبودية لمن يفخر المرء بأنه عبده •

فالصيام عبودية الانسان لخالقه ، وامتحان منه لارادته ، واختبـار لصبره وجلده ، وحد من حريته ، أو استصفاء لها خلال ساعات طويلة •

الحكمة من الصيام أن تحد حرية الانسان في ضروراته حتى يعرف الصابر ، ويمتحن الشريف ، ويختبر الطائع ، فأحدنا لا يقبل الحد في أى لون من ألوان حريته من مخلوق مثله الا مجبرا وتحت رقابة دقيقة شديدة •

أما حد الحرية في الصوم فهو يقبله سعيدا مسرورا لانه ينفذ أمر ربه أمر خالقه ، تقربا منه وحده لا شريك له •

ثم الحكمة التى يتفق فيها الصوم مع غيره من أركان الاسلام الخمسة الظهور بمظهر الوحدة الشاملة ، فالصلاة وحدة لان النـاس يجتمعون في وقت واحد خلف امام واحد ، والحج اجتماع المسلمين من اقطار الارض على

صعيد واحد في وقت واحد ، والزكاة اجتماع أغنياء المسلمين على عمل واحد مبرور فيه خير المجتمع كله اغنياء وفقراء ، والشهادة كذلك ·

وفي هذه الاركان مظهر الوحدة القوى الذى يجمع كل المسلمين لا فرق بين غني وفقير ، وكبير وصغير ، وحاكم ومحكوم ·

وفي رمضان يتفق أغنياء المسلمين وفقراؤهم على الجوع في وقت واحد لا الحكمة التى تقول : ان القصد شعور الغنى بالجوع حتى يذكر الجائع

وشهر الصوم يتيح الفرصة للعمل الصالح والاكثار منه ، ويجتمع شمل المسلمين الاغنياء والفقراء نبلاء طيبين ، وليس بمطلوب من الغنى وحده أن يكون طيبا ، بل يجب أن يكون الفقير طيبا أيضا ، ذلك يرحم وهذا لا يحقد ، أما اذا منع الغنى فلا يلومن الا نفسه اذا حقد الفقير ، ومتى كان للحقد الكلمة الفاصلة فقد باء المجتمع كله بالخسران المبين ·

وما أدرى أى ذنب جنيت حتى يعاقبنى الله هذه العقوبة التى تهون بجانبها أى عقوبة مهما قست الا وهى البعد عن مكة المكرمة التى ادعو الله أن يعيدنى اليها ويميتنى فيها !

لو عرفت هذا الذنب لاقلعت عنه تائبا حتى أعود الى رحاب بلد الله المقدس ، ولكنى أجهله ، فلم يبق الا الابتهال الى الله الغفور الرحيم ·

كنت أود أن أصوم رمضان بمكة المكرمة ـ حرسها الله ـ بعد أن قضى على أن أصومه في غير مكة سنوات معدودات ، واضطررت في العام الماضى أن أفطر بعض أيام رمضان لاننى كنت مسافرا ، والى صيام بعض أيامه وأنا بسوريا ومصر ، فما التذذت بالصوم لاننى بعيد عن مكة ·

ما في العالم بلد ترى فيه جلال الصيام وجماله مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة ، حيث ترى في رحابهما الطاهرة كل معانى الصيام ، الناس جميعا لا يأكلون ، حتى الاطفال ، وترى ذلك في بعض البلدان مثل الرياض وينبع والطائف وغيرها من البلدان السعودية ، ولكن لن تجد قدسية مكة والمدينة ·

وكنت قبل خمس عشرة سنة أسمع دوى القرآن في رحاب مكة في شهر رمضان ، والمسجد الحرام يكاد يصم الآذان من دعاء الداعين وقراءة القارئين ، ولكن ما بال تلك الرحاب الطاهرة سكتت الا عن الهمس ؟ وما

الذى شغل جيران بيت الله الحرام عن القرآن يتلى في صوت مسموع من كل بيت ؟

انه « الراديو » يجلجل ، وكنا قبله سعداء بالقرآن نقرأه بأنفسنا قراءة عبادة وتمعن واستبصار ، أما الآن فقل أن نقرأه الا في الصلاة ، وما بقى فالراديو يقرأه عنا ٠

أنا أتحدث عن نفسى فأقول : كنت من قبل أختم في رمضان القرآن سبع مرات الى عشر ، أما في السنين الاخيرة فما أكاد أختمه بضع مرات الا بشق الانفس ، لماذا ؟ لاننى بعدت عن الله وشغلتنى الدنيا على تفاهة ما بيدى منها ٠

وما أعظم شقائى في هذه الحياة ! ان الواحد منا يألم اذا فقد قنية أو جنيها ، ولكن من الشقاء الكارب أن أفقد القرآن كله ولا أشعر بالخسارة ٠ لقد حفظنى أبى القرآن كله حتى استظهرته ، وكنت أتمتع بحافظة مضرب الامثال في الوعى والاستيعاب والذكر ، ولكن أصيبت الحافظة فلم تعد تمسك الا ببعض سور قصيرة ، وبعض آيات معدودات ٠

لقد فقدت حافظتى القرآن كله ، وفقدت مئات الاحاديث النبوية وآلاف الابيات الشعرية التى كانت تختزنها تلك الحافظة ٠

بدأت الآن أشعر بالشقاء لاننى أحسست بفدح ما خسرت ، وعظم ما أصبت به ، وأى خسارة أعظم من نسيان كتاب الله ؟ وأى مصيبة أشد من ضياع هذا الذخر الذى لا ذخر مثله ؟

ليتنى أستطيع في هذه السن استعادة ما فقدت ، واستظهار ما غاب عنى ! لو استطعت لكنت من المفلحين ، ولكن لا يأس من فضل الله الكريم الوهاب ، والرجاء كله في رحمته ومغفرته تسعان عباده الخاطئين ؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)

قيمة العمل والعمال
في الاسلام

ما تزال النظرة الى العامل في كثير من البلدان نظرة الى شيء يضطرب في الحضيض وتهبط قيمته الانسانية ، لان المجتمعات المختلفة تصنف الناس طبقات بعضها فوق بعض بنسبة قوى التملك والجاه ، ولهذا خفت موازين العمال بالنسبة للآخرين .

والذى جعل العامل مفقود المكانة أوذا مكان في الحضيض جهله وفقره اللذان منعاه من التجمل وحسن الظهور وجمال التعبير ، فكان نصيبه أن يعيش في الشقوق .

وبعض المذاهب الاجتماعية رفعت من قيمة العمل ومكانة العامل فظن الناس أن هذه الانسانية ميزة الحضارة الحديثة جاءت بها ابتداء .

ولو رجعنا الى الاسلام لوجدناه أسبق السابقين في هذا المضمار وميزته أنه يجمع بين باطن الانسان وظاهره فلا يكون أحدهما منفردا بالنظافة والجمال دون الآخر .

وقبل أن نقف مع الاسلام في هذه المزية بل في هذه الخاصة التى تفرد بها يجب أن نعرف أسباب هوان نظرة الناس الى العمال وانزالهم من حيث كان واجبا أن ينزلوا القمم لانهم هم البناة وهم قواعد المجتمع بل هم دسر السفينة التى لولاها لانفلقت كل قطعة من الخشب وغرقت السفينة .

وكان العمل في عصور التأخر في كل الاقطار الارض من نصيب العبيد أرقاء واسرى وكان مع هؤلاء الذين فقدوا كل مقومات الانسان وحقوقه وحرياته من كانوا يشبهونهم من الناس ، وهم العمال المساكين ، لأن السادة والاعلياء كانوا يأنفون من العمل وينظرون اليه في ازدراء وتحقير وهذا ما منعهم من مزاولته ، اذ كيف يزاولون مالا يليق بكرامتهم وعظمتهم فتركوا الهوان لأصحابها .

فقبل الاسلام ترك السادة والاعلياء وكل طبقات المجتمع ما عدا طبقة العبيد والمسخرين العمل وتفرغوا لأمورهم الخاصة اعتمادا على كدح الكادحين من العبيد ومن في طبقتهم من الأجراء ، فلا ينزل سيد الى الارض

بأيديهما ويزرعها بيده أو يحترف صناعة يقوم هو نفسه بها بل يدفع ذلك لغيره من الخدم والعبيد والأجراء .

ونجد تاريخ البشرية مكروبا من هذا الأمر الذى جعل العمــــل من العبيد وأشباههم وجعل الفوارق بين الطبقات قائمة على قوة السيادة والمال والنسب حتى جاء الاسلام ورفع للعمل مكانا عليا في شريعته وأبعــد عن العامل اصر الهوان ومجده وأكرمه وأكبره .

ولكن تاريخ البشرية لم يخل من سادة عملوا ليدفعــوا امثــالهم الى العمل ويبعدوا عن العمال الهوان بمشــاركتهم فيــه ، حتى يزول عنهم ما كانوا بسببه اذلاء خاملين ، الا ان عمل هؤلاء السادة العمال لم يكــن من القوة بحيث يكون اسوة للاعلياء من الناس ، فداود عليه الصلاة والســلام كان يأكل من كسب يده وشارك طبقة العمال وهو ذو مكان رفيع في مجتمعه وأمته ، ولكن لم يكن اسوة لمعاصريه من السادة والاغنياء أمثاله ، لأن العرف السائد عن العمل كان اقوى من ان يهزمه عمل فرد أو بضعة أفراد ، ولان سلطان التقاليد كان من الجبــــروت بحيث كان كل ما يخالفه منتهيا الى الشذوذ والانكار والاعراض والهزيمة في مجتمع يؤمن ايمانا عميقا بهــوان العمل وحقارة العمال .

الا أن الاسلام استطاع أن يغير نظرة الهوان هذه ويقــلب تاريخ الانسانية بأن جعل الناس جميعا عمالا يتفاوتون في الدرجة والاعتبــار بنسبة التجويد والاتقان والتقوى ، لا بنسبة العمل الذى يزاول .

والرسل والانبياء أرفع النماذج الانسانية طرا كانوا عمالا وأجراء ورعاة وسقاة ، وكانوا يمتهنون هذه المهن التى عرفت بالمهانة والسقوط ، وعرف أصحابها بالحقارة والهبوط ، يمتهنونها حتى يبعدوا عن الاذهـــان هوان الحرفة ويدفعوا الســـادة والأعليــاء والعبيــد والادنيــاء الى العمل مـــا دام العمل شريفا .

وكان محمد صلوات الله وســلامه عليه ـ وهو أعظم الانبياء وسيد الخلق ـ عاملا راعيا فتأسى به أتبــاعه وفيهم ســادة وعبـيد ومحكومون وضعفاء ، وبذلك انتهى عهد سوء النظرة الى العمل ، وكان الاسلام فاروقا عظيما بين عهدين : عهد سبقه كان يزرى بقيمة العمل والعمال ، وعهد رفع من قيمة العمل والعمــال .

وكان بناة الحضارة الاسـلامية من محمد صلى الله عليه وسلم والمبشرين بالجنة وأهل بدر وغيرهم كانوا جميعا عمالا في كل مهنة كان النظر الى بعضها من قبل مليئا بالمقت والاشمئزاز ٠

ثم بعد ثلاثة عشر قرنا من الزمان قامت في الارض مذاهب اجتماعية نادت بما سبق أن نادي به محمد عليه صلوات الله وسلامه ، وظن الناس أن رفع الاصر عن العمل والعمال من مفاخر الحضارة الحديثة ، وفاتهم أن الاسلام كـان أسبق الى فهم قيمة العمـل والعمال الحقيقية من حيث أن العمل عماد المجتمع وينبوع الثروة الذى لا ينقطع ٠

والاسلام لم يقف عند حد الفكرة وحدها ، بل أخذ بها واعتنقها ودعا اليها ونفذها ، وجعل كل مسلم عاملا في حقله الذي سخره الله له ، وعاد للعمل قيمته الفاضلة وللعامل مكانه في المجتمع ٠

الا أن رواسب النظرة الاولى ما تزال تعيش لانه ليس من المستطاع أن يقضى على كل الداء فلا يكون له وجود ٠

وسبب بقاء هذه النظرة الى العمل والعمـال ، أن أصحاب الثروات بما لديهم من نفوذ وجاه جعلوا هذه النظرة التى مكنتها من الحياة ٠

وان الاسلام بمـا فرض من المسـاواة قضى عـلى فوارق الطبقات والحروب التى تنجم من هذه الفوارق ، وبذلك لم يعد أى امتياز لفرد على فرد الا بالعمل الصالح ، ولهذا لا بد للمجتمع الذى يريد أن يكون قـوى البنيان وثيق التركيب أن يجعل للعمل قيمته الحقيقية ٠

وفطن العصر الحالى الى ذلك ، فجعل له هذه القيمة التي رفعت من شأن العمل ، ومجتمعنا الاسلامى الحاضر لا يزرى بالعـامل مهمـا كانت حرفته ، ومرد ذلك الى أن الاسلام جعل أساس التفاضل مكارم الاخـلاق التى تصدر من التقوى ، ومجتمعنا العربى الاسـلامى الحـاضر في بلادنا المقدسة يمتاز على سائر المجتمعات في هذا السبيل لانه يقدر العمل والعمال حق القدر ، وما صنع ذلك الا طاعة للدين الذى يفرض عليه هذا القدر ، ومن تركه يؤثم ، ومن أزرى به يحاسب، ومن أخذ به كان من حقه الثواب ٠

و « تقدير » العامل في بلادنا منطلق من الاسلام ، وما كانت نظرة السوء لتتبدل لولا ان الاسلام جعل المسـاواة شريفة متبعة بين الناس ، فالمسجد يجمع كل أصناف الناس ، وأفراد كل الطبقات ، لا فرق بين كبير

وصغير ، وغني وفقير ، وسيد ومملوك ، وعامل وحاكم ، ومن هنا كـــان التآخي الظل الذى يتفيئون

والاسلام يسمى الحكام عمالا ، لا ازراء بالحاكم الامير ، ولكن تقديرا وتكريما ، وما يرضى الاســـلام بهذه الفوارق بين النــاس ، ولا يهبط في شريعته بأحد نسبه أو نوع عمله ما كـــان شريفا ، فالحطاب الذى يأخذ حبله على غاربه مثل الغنى المحسين ، لا فرق بينهما أمام الشريعة ، ولا تفاضل الا في التقوى وبالتقوى .

ولا يشعر العامل في ظل الاسلام بمـــا يشـــعر بـــه العمال الذين يعيشون في أمة ماتزال تنظر الى العمل على أنه من خصائص الاجراء والعبيد . وما رفع دين أو مذهب من قيمة العمل والعمال مثل الاسلام ، وحسبنا أن يقول الله في محكم كتـــابه : « ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » ، و « ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

فالعامل في ظل الاسلام مقدور المكانة ، ساطع الجبين ، سامق الذرى ، والعمل زينة المسلم وعدته وثمرة جهاده ، وعماد المجتمع وثروة الشعب ، وكلاهما يبنى الحياة وينشىء المجتمع ويرفع المستويات ، والحياة من غيرهما عدم ، وبدونهما نقم ، وقيمتها في دين محمد من أغلى القيم ، لان العمل الصالح فيه أعظم النعم ، اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)

@@@@

الضمان الاجتماعي
والتأمين في الاسلام

الحضارة الحديثة تفخر علينا نحن المسلمين بأن الضمان الاجتماعي وليدها ، والتأمين من منبثقاتها ، وحق لهم أن يفخروا علينا نحن المسلمين الذين جئنا نقلد مصلحي الغرب من أبناء الحضارة الحديثة ، ونعتبرهم ائمة وسادة لانهم امنوا العاجز والمحتاج والفقير ٠٠ وجعلوا الضمان الاجتماعي من حق ذوى الحاجة ٠

لهم حق الفخر على المسلمين ولكن ليس من حقهم الفخر على الاسلام لان المسلمين تركوا دينهم فافتقروا فاخذوا يقترضون من الغرب نظمه وآراءه ويجرون وراءه ، وهم يكبرون شأنه وانسانيته ، وجهلوا أن في دينهم الذى تركوه غناء اي غناء من كل ضمان وكل تأمين ٠

هذا ضمان اجتماعي بدا حديثا ، وما اشد تعب المحتاج الذى يلزمه في الضمان عرض غير مقنع ، ولولا الحاجة ما بذل ماء وجهه ، واتعب نفسه وقدميه سعيا ٠

لو تدبرنا الاسلام لوجدنا فيه الضمان الانساني الرفيع ، والتامين الذى يحفظ ماء الوجه وشرف المحتاج ، ويأخذ كل حقه ، لا صدقة او حسنة بمعناها الذى يقطر منه الذل والانكسار والهوان ، يأخذ حقه عزيزا عزة المؤمن ، رافع الرأس رفعة المسلم ٠

الضمان الاجتماعى مأمون ، والتأمين مضمون ، وهما نظيفان من درن السؤال وقذر الذل ، لان حق المسلم على المجتمع واضح بين لا سبيل الى تجاهله ـ بله نكرانه ـ والمجتمع مسئول عن كل من فيه ، غنيا وفقيرا ، وموسرا ومعسرا ، كبيرا وصغيرا ٠

وليضمن الاسلام للمجتمع الذى يبنيه على قواعد الاخلاص وعلى اساس الانسانية المهذبة ، بنى للمسلمين بيتا جعل فيه لكل مسلم حقا يصل اليه دون سؤال أو سعى ، لان أولياء الامر يعرفون المحتاج فيؤدون اليه حقه ، ويعطونه نصيبه ٠

وفي هذا البيت حق كل محتاج ، يضمن له وسيلة العيش ، ويؤمن له سبل الحياة ، ولأكبر الاسر واعظم الناس نصيب فيه ، وأي أسرة أكبر من أسرة النبي صلى الله عليه وسلم ؟! وأي انسان أعظم من أبي بكر وعمر وعثمـــان وعـــلي ؟

كل امرىء له حق في بيت المال ، فمن أغناه الله فقط سقط حقه ، ولا ذل يغشي وجه من يأخذ حقه ، انما الذل في السؤال ، وأما من يأخذ حقه فلا سؤال ولا ذل ولا إذلال .

وتهدم بيت المال على يد من تملكوه فصرفوا ذوى الحق عن حقوقهم فتزعزع كيان المجتمع الاسلامي وتقوض بنـــــاؤه ، ولولا أن الله أودع في الاسلام قوة ، لما بقي حتى اليوم يزداد اتباعا .

واذا علمنا مهمة بيت المال أدركنا أن الاسلام قد سبق الى الضمان الاجتماعى والتأمين ضد الفقر والحاجة والشيخوخة ، وكلمة أمير المـؤمنين عمر بن الخطاب لليهودى الذى رآه يسأل في الاسواق يجمع الجزية يدفعها تبرهن على انسانية بيت مال المسلمين ، تلك الانسانية التى تفتح صدرها للانسان أيا كان دينه ما دام مشمولا برعاية الاسلام متفيئا ظلاله .

قال عمر : أكلنا شبيبته فلا يصح أن نأكل شيخوخته أو كما قال ، وفرض له في بيت المال فريضة .

ونستنبط من عمل أمير المؤمنين كثيرا ، فهو قد نزل عن قيمة حماية اليهودى وأبقى حقها على المسلمين ، كان يدفع الجزية تلقاء حياته آمنـــا مطمئنا في المجتمع الاسلامى ، في مجتمع المسلمين ، فلما عجز نزل عما كان يدفعه ، ولم يكفه ذلك بل رأى أمير المؤمنين أن من حق الشيخوخة تأمين صاحبها على معاشه بعد أمنه على حياته .

هذا مع خصم الاسلام ، مع يهودى ..

نعم ، يهودى يصبح له حق في بيت مال المسلمين ، فكيف بالمسلم اذا مرض أو عجز أو شاخ أو احتاج ؟!.

ان في بيت مال المسلمين لتامينا انسانيا رفيعا ضد أخطار العوز او الفقر او الشيخوخة او الحاجة ، وهو بعد الضمان الاجتماعى الظاهر التليف ..

فاذا فخر الغرب على المسلمين بنظمه وأعماله الانسانية فان الاسلام يخفى مفاخر الغرب في هذا السبيل بما أسس وقرر ونظم ..

فلنعد الى الاسلام في تحقيق العدالة الاجتماعية فهو صاحب خير ضمان اجتماعى يحفظ للمؤمن عزته ، وللمسلم اباءه ، وللانسان كرامته ، وللمجتمع كله سلامته من أن تتعاوره قذائف الشر .

الاسلام وحده هو الذى يملك الضمان الاجتماعى والتأمين بخير الوانهما ، فلنعتصم به ولننفذه .

ومتى اعتصمنا به ونفذناه كان مجتمعنا انسانيا مهذبا فاضلا .

نشرت بمجلة « الرائد » سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

المساواة في الاسلام

نحن نتكلم في أصول الحكم ، فالاصول الديمقراطية لا تناقض الاسلام ، والاسلام لا يعاديها ، لانه يتوخى العدل والاحسان (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) والاصول التى نراها في الديمقراطية هى التى أمر بها الاسلام وهى التي سبقها الاسلام فجعلها قواعد حكومته الاولى ، وبذها في جعل الاخاء العالمى ـ لا الاخاء الوطنى والقومى ـ روح دستوره ، واختار أفضل أنواع المساواة و « العدالة » والحرية لتكون قواعد حكومته •

ونظم الحكومات تختلف باختلاف البيئة ، والثقافة ، والغنى ، والفقر ، والصحة والمرض ، والعلم والجهل ، لان هذا الاختلاف طبيعى وان اتفقت في الاصول •

ونحن نرى أن كل حكومة في العالم ـ حتى الحكومة الشيوعية ـ تزعم أنها تكفل الحرية لجميع المواطنين ، وتبنى قواعدها على الاخاء والعدالة والمساواة •

والديمقراطيات هي أصدق الحكومات التزاما لمبادىء الحرية وأخذا بالمساواة والعدالة ، أما الديكتاتوريات فلا يعدم الانسان في ظلها القائم الحرية والمساواة والعدالة والاخاء الموجودة في السجون بين نزلائها •

أما الشيوعية فحققت المساواة على طريقتها ، فجعلت الناس على نمط واحد وفي مستوى واحد باستثناء الحكام ، جاءت بالناس الى صعيد واحد ، فاذا بينهما العملاق والطويل والاقصر منهما ، ورأت العمالقة والطوال شواذ والقصار الغالب ، وليس في وسعها أن تمط القصار وتجعلهم في مستوى العمالقة والطوال ، فجاءت الى هؤلاء الممتازين وقطعت أجزاءهم العليا ، وبذلك حققت المساواة •

هذه هى المساواة التى آمن بها الشيوعيون ، ولذلك قضوا على الاثرياء وأصحاب الاملاك والسادة وطحنتهم طحنا ، وأبقت الطبقة الدنيا حيث هى ، لان رفعهم جميعا الى مستوى السادة أو ذوى الامتياز مناقض للطبيعة وقوانينها الازلية •

أما الاسلام فضمن كل ذلك خير ضمان ، لا فرق بين السيد والعبد في الحقوق والواجبات العامة ، كلهم سواء ، وكذلك الحاكم والمحكوم ، وكذلك كل أفراد المجتمع ، والثواب والعقاب ليسا وقفا على طبقة مخصوصة أو أفراد مخصوصين ، بل هما من نصيب الطبقات جميعها (لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى) ، و « ان أكرمكم عند الله اتقاكم » .

المساواة عامة ، والامتياز فضل ينبثق من الكمال المعنوى .

والمساواة ـ بمعناها اللغوى ـ مستحيلة التحقيق بين بني الانسان ، بل هي مستحيلة في عالم النبات والحيوان ، لان الكائن الحى ليس كالعملة تكون كل قطعة منها مثل الاخرى في الوزن والشكل والمظهر والمادة والصناعة والقيمة والثمن .

وليس في الاستطاعة ضمان هذه المساواة وتحقيقها في عالم الواقع ، ومن يتوهم ذلك فقد جانب الحق وغفل عن فهم طبيعة الكائنات ، وجهل طبيعة الانسان نفسه ، لان الفوارق الطبيعية وغير الطبيعية ضرورة كالفروق المجتمعية ، لا يمكن القضاء عليها والتخلص منها تحقيقا للمساواة ، فأفراد الاسرة الواحدة لا يتساوون بل يتفاوتون في اللون والخلقة والطول والعرض والملامح والسمات والقوة والصوت ، وأبناء الاب الواحد لا يتساوون في المظهر والمورد والكفايات والمواهب والاتجاه في الحياة والعمل ، وأن تساووا في العمل اختلفوا في الكفاية والقدرة ، ولو تساووا فيهما لكان مجال الاختلاف أكبر الى حد بعيد من مجال المساواة والاتفاق .

فاذا لم تتحقق المساواة الشاملة في الاسرة الواحدة وبين أبناء الاب الواحد ، فأن من الطبيعي ألا تتم المساواة في مجتمع يختلف كل من فيه من الافراد والاسر والجماعات بعضهم عن بعض .

واذا كانت للمساواة ـ اذا سلمنا جدلا بامكان تحقيقها ـ مزية واحدة ، فان للاختلاف مزايا في تقدم الحياة وبناء الحضارة ، لان عن طريق هذا الاختلاف يتم للنوع الانساني البقاء والاستمرار والرقي .

وذوو الامتياز العقلى والخلقى والجسمى شذوذ في المجتمع لانهم قلة في المجتمع معدودة بين الكثرة الكاثرة ، تتم بجهودهم وعلى أيديهم أعمال كبيرة تكون سبب رقى النوع وتقدم الحياة .

ولو كان الناس كالعملة الواحدة ، لما كان هناك أي امتياز وتقدم ، ولو تمت المساواة لانتهت حتما الى انتفائها ، فلو فرضنا ان سكان مدينة تساووا في كل شيء ، وأرادوا أن « يصيفوا » جملة ، فهـــل يستطيعون أن يتساووا في الركوب في وقت واحـــد ، والجلوس في مكان واحـــد ؟ واذا استطاعوا ذلك ـ جدلا ـ فهل كل مقعد ككل مقعد في الاستمتاع بالنور والهواء ؟ وهل حاجة كل منهم اليهما مثل حاجة الآخر ؟

وهؤلاء المتساوون في كل شيء ، ماذا يكون حالهم لو تســـاووا في العمـــــل ونوعــــه ؟

حتى الافتراض في امكان المساواة ينتهي بنا الى التسليم بانتفائهـــا ووجـــود الاختـــلاف .

وما دام الامر لا يتم في عالم الفروض ، فان من البديهي ألا يتـــم في عالم الحقيقة والواقع .

ولكن أنترك الاختلاف يمشي على غير هـــدى الى آخر مدى يطيقه أن يمشي اليه دون أن نقلل من حدته لان المساواة التامة غير ممكنة ؟

أظن أنه لا يترك ، ويجب أن ندعو الى المساواة ونحققها بقدر مـــا تسمح به القوانين الطبيعية والوضعية والسماوية ، وإلا يحملنا علمنا بعدم تحقق المساواة كاملا الى الامعان في تغذية الفوارق والاختلاف ، بل يجب أن نسعى لضمان المساواة وتقليل آثار الفوارق وتخفيف حدة الخلاف .

واذا أطلقت « المساواة » أريدت بها المساواة في الحقوق والواجبات والمرافق العامة والانتفاع بها ، والتعليم ، والعلاج ، واتاحة فرص العمل ، الى غير ذلك مما يمكن فيه المساواة الممكنة .

فالدولة عندما تفتح مستشفى يباح للفقير والغنى الدخول اليه دون تمييز بينهما في الكشف والتشخيص ، والدواء الذى يعطاه كلاهما في مرض واحد يجب أن يكون واحدا .

والفرص المتاحة أمامهما في ميادين العمل يجب أن تكون واحدة ، يسمح للفقير أن يشتغل تاجرا اذا أراد كما يباح للغنى دون أن يحجر على احدهما لفوارق طبقيـــة أو غيرهـــا ، ويمنـــع الاحتـــكار لانـــه ابتناء لفرد على حســـاب مجموع .

. . وسقى الماء واستنشاق الهواء بالنسبة للعاجز والقادر والفقير والغنى يجب ان يكونا بالنسبة لهم على السواء لا أن يشرب الغنى ماء نظيفا ويستنشق هواء نقيا ويحرم منهما الفقير . والفوارق التي نراها في مثل هذه الاحوال ليست من فوارق الطبيعة . فالغني يستطيع أن « يكيف » الهواء ويعطر الماء ، وهذا ليس من الطبيعة التي فطر عليها الغنى ، بل هو من نتائج القدرة والسعة . وفي وسع الدولة امداد الفقير في حدود قدرته بأن تسهل له الامر حتى يرتفع مستواه .

فالمساواة في مثل هذه الامور جائزة وليست بالمستحيلة .

والمجتمع السليم الفاضل هو الذى يحقق المساواة فيما تتحقق فيه ، ويقلل من الفوارق دون مناهضة للطبيعة والفطرة ، لان هذه المناهضة مستحيلة وان زعم الزاعمون من الواهمين أو ذوى الهوى امكان تحقيقها .

ومن هنا كانت المساواة في الاسلام أصح وأشمل ، لانها مساواة يقتضيها بناء المجتمع وسلامته ، مساواة ممكنة لا تلغى الفوارق الا في الحدود التي تعيش فيها المجتمعات الانسانية . والاسلام يخفف العبء عن العاجز ويزيده على القادر ، وكلما زاد امتياز المرء في المجتمع الاسلامى زادت ــ تبعا لهذا الامتياز ــ تكاليفه وأعباؤه ، فللفقير نصيب في مال الغنى ، وللجاهل حق في علم العالم ، وهكذا .

والعدالة في الاسلام ليست عدالة الظاهر ، بل هى عدالة تصدر من أعماق الروح ، فعدل الموازين ظلم فاحش لانه عدل آلى ظاهرى لا يصدر عن الروح ، وبذلك يتساوى الحديد والجوهر ، لان الميزان الآلى لا يقصد منه الا الوزن المادى .

والاخاء الاسلامي رباط الناس جميعا ، وهو لون من ألوان المساواة الممكنة المحببة ، فبلال العبد الحبشى مثل أبى سفيان الرأسمالى الحاكم ، ولا تميز أبا سفيان أمواله وسلطانه وجاهه عن بلال الحبشى المملوك ، والامتياز الحق في الاسلام للمزايا والصفات الانسانية . وكلما زادت حصة الانسان منها كان نصيبه من القدر والتكريم أعظم « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » . والتقى هو الانسان الصالح الذى لا يبيح لنفسه الا الطيبات ولا يعمل غير الصالحات ، يقى الناس شره كما يقى نفسه منه . وبالتقوى تقدم بلال العبد الحبشى على أبى سفيان السيد العربى .

والاسلام ينكر أشد الانكار التمييز العنصرى أو الفوارق التى تقوم على الحسب والنسب أو التفضيل القائم على الانتماء الى أسرة أو قبيلة أو شعب ، وحينما ينكر هذا اللون من التمييز أشد الانكار يحـــاربه بالقول والعمل ، ويسميه عصبية جاهلة ، وفي حديث محمد عليـــه صلوات الله وسلامه : « من تعصب بعصبية الجاهلية فعضوه بهن أبيه » ، وليس ثمـة كلمة ادل على الغضب والتحقير والزراية والسخط من هذا الحديث الصغير في جملته ، الكبير في دلالته .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « كلكم آدم ، وآدم من تراب » الغـاء للتمييز العنصرى ، وتذكير بأن المتكبر وأباه من تراب ، فمـــا الحاجة الى هذا التكبر المهين .

وكل هذا مقصود منه ضمان الاخوة الانسانية بحيث تمحى الفوارق الهدامة التى تباعد بين النفوس بعضها عن بعض ، وتملؤها كراهية وحقدا .

وكل عمل في الاسلام يراد منه تطهير الروح والجوارح كلها حتى يكون مجتمعه الذى يبنيه مجتمعا فاضلا كريما تسوده المحبة والصفاء والسلام .

نشرت في جريدة « عكاظ » سنة ١٣٨٣ هـ

★ ★ ★

الامتياز الروحي

والمادي في الاسلام

الطبقة العامة هي أداة الدفاع ، ووقود الحرب ، ورأسمال الامة ، وينبوع الثروة ، ومصدر الموارد ، ويقع عليها الغرم أكثر من غيرها من الطبقات ، فالواجب ـ اذن ـ أن يكون لها من الحقوق كفاء ما للقادة والحكام ، وواجب أن يكون لها نصيب في الحكم ما دامت هي كل شيء في الدولة .

الا اننا لا ننسى أن افراد هذه الطبقة ليسوا أصحاب امتياز عقل يمكنهم من القيادة والتوجيه والحكم الا اذا تعلموا وتثقفوا ، وعندئذ يكون في استطاعتهم المشاركة الفعلية في تسيير دفة السلطة .

الا أن الشريعة الاسلامية لا تغفل الاستشارة ، بل هي ركن في الحكومة الاسلامية ، وهي ـ بعد ـ تحتفل برأى من يتطوع بالمشورة الحسنة رغبة في الصلاح والعدل ، لان الاسلام يعرف أن الحكمة قد تنطلق من فم مجهول ، أو عامي جهول ، وأن الجواهر كماتكون في الجيد والمعصم تكون بين الجنادل والصخور وتحت التراب ، وما يعيب الجوهرة أن تكون في التراب فلا تلتقط لانها لم تكن في الجيد والمعصم ، ولا نعدم رأيا صائبا عند من ليس بصاحب رأى ، فقد تصيب الساعة المعطلة عندما تخطىء الساعات الصحيحة ، وكان عمر بن الخطاب يستشير العامة والخاصة على السواء .

أما سبيل اشتراك العامة في الحكم واحتمال تبعاته فيأتى من تمثيلها فيه بوساطة ممتازين منتخبين أو معينين ترتضيهم الدولة (الحكومة والشعب) يكونون أهل الحل والعقد ، وهؤلاء ـ في الاسلام ـ ليس مشروطا فيهم أن يكونوا ذوى مال ، بل يشترط فيهم الفهم والعقل والدين والخلق والعدل والعلم والنزاهة ، يدركون حاجات الشعب ومطالبه فيحققونها ، وما ينفكون يعملون على رفع مستواه ، ويدفعون الحاكم الى العمل الصالح من أجله ، ويجعلون من أنفسهم رقباء يرصدون قول الحاكم وفعله ويحاسبون عماله ، ويدلونهم على الخير .

وبذلك يموت الحقد وتنتفى الكراهية والبغضاء من المجتمع ، وبغيره تكون هذه الآفات لبؤات ضارية تفترس كل القيم الانسانية ، وتهـــدم المجتمع ، وتستدعى ألوانا من الحكم الغشوم لتولى السلطة كمـا نرى في البلدان المتاخرة التى تملك زمام أمرها الشيوعيون ٠

وميزان تقدير الرجال في الاسلام ليس ضخامة المال ، ولكن ضخامة التقوى التى تتبطن كل عمل جليل صالح ، ومن هنـا لا يعترف الاسـلام بالرأسمالية التى تتكون من دماء أبناء الامة أو العمال أو من حسـاب اى فريق في الامة ، بل يحارب هذا اللون من الغنى كما يحارب الاحتكار والاثرة والانانية والاستغلال ، ولكنه لا يحد من الملكية ولا يقف في وجه التـنافس الشريف الذى ينبعث من النشاط المبرأ من النقائص والملمات ٠

وليس المال برافع وضيعا الى مقام العلية اذا لم يكن سواه الميزة التى يمتلكها صاحبها ، بل مرد الامتياز في حكومة الإسلام الاخلاق التى تحفـظ صاحبها من الزلل ، وتصونه من الانزلاق ، وتصده عن الجور ، وتدفعه الى نسيان نفسه وأهله ، والى نسـيان كل مصالحه الخـاصة ، وذكر الشعب ومصالحه كما كان يصنع الرأسماليون من صحابة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ٠

والاسلام لم يجهل قط قيمة المال ، بل عرف أنه « قيام » الحياة ، وخيرها اذا وجه الوجهة الصالحة التى تعمر وتصلح ، ووظف للصلاح : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعـل الله لكم قياما وارزقوهم فيها » ، و « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيرا الوصية » الخ ٠٠

فالمال خير اذا استعمل في وجوه الخير ، وهو « قيام » الحياة الانسانية كلها ، فلا بد أن يكون المال أداة عمران واصلاح ، وحق الشعب فيه عامة ، حتى الذى يكون في يد الغنى هو لاخوته من ابناء الشعب دون أن يظـلم أو يسلب ، بل حرم الله مال المسلم من العدوان ، والا يؤخذ الا بحقــه المشروع ، ولو كان لدى صاحبه ملايين ، والشرط أن تكون من حـلال لا مجموعا من طرق يأباها الاسلام ٠

اما أن مال الغنى له ولاخوته أبناء الشعب ، فهو في حالات نادرة ، مثل أن تخوض الامة حربا مقدسة ، وينفد مال الدولة ، ويقتضى الدفـاع أخذ كل مال لدى أفراد الامة ، فعندئذ تؤخذ الاموال ، وأظن أصحابهـا

يقدمونها طواعية واختيارا ؛ لان العدو متى احتل بلادهم لن يبقي على كل ثرواتهم ؛ فهم سعداء بتقديم ما يبقي على ارواحهم وذخائرهم وكثير من اموالهم

وكل عمال المسلمين ـ أو الامراء بلغة هذه الايام ـ في صدر الاسلام وفي عهد الراشدين كانوا فقراء ، ولكنهم كانوا ذوي امتياز خلقي وعقلي رفعهم الى مقام العلية الموجهين ٠

وليس بعيدا عنا قصة ذلك العامل الذي كان لا يملك غير قميص واحد يظهر به للناس ، وكان يعتزلهم شطرا من نهار الجمعة يقوم فيه بشؤون منزله وغسل قميصه وينتظر جفافه ثم يخرج للصلاة ٠

وملاك الامر في الحكومة الاسلامية : الامتياز الخلقي والعقلي ، ولكنه لا يغفل عن اثر المال في الحياة ، فهو يعرف حق المعرفة الآثار الطيبة التي تنبعث من الرخاء المادي والاقتصادي ، فهو صمام الامن : امن النفوس ، وامن الاسواق ، وامن المطالب ، وامن الاخلاق ، ويعرف ان الفقر أم كل أدواء المجتمع ، فالسرقة والقتل والكذب والجرائم الخلقية بعض مواليد العوز المشوهة ، ولهذا نجد الاسلام يعلن الحرب على الفقر في كل الوانه وصوره ، الفقر في العلم ، والفقر في الصحة ، والفقر عامة ، وواجه مشاكل المجتمع مواجهة الحكيم الخبير ، ووضع الموازين القسط للناس ٠

المال في الاسلام احدى وسائل الرغد والبناء والقوة ، ويجب الا يكون سلطانا يحكم النفوس والارواح ، بل عبدا يستخدم لقضاء المصالح وتحقيق الآراب التي تساعد على بناء المجتمع ورفاهيته وسعادته وأمنه ٠

ويجرنا الكلام في الاموال الى « التأميم » أهو حلال أم حرام ؟ أهو أمر ينكره الاسلام أم يعترف بـــه ؟

وقضايا الاسلام وسيره وتاريخه وأعماله تعترف بالتاميم في المصالح العامة كالطرق ـ مثلا ـ فلا يصح أن يملكها فرد أو فريق يقطعونها عندما يشاءون ، ويبيحونها عندما يريدون ٠ كما يعترف الاسلام بالحبوس (الاوقاف) ، وفيها ما يصح أن يكون من قبيل التأميم لانه وقف على مصالح الامة ٠

ولكن الاسلام لا يقر «التأميم» بالجملة كقانون عام ، لانه حينئذ يستلزم الغاء الملكية الفردية ، والدول الشيوعية التى تجعل التأميم من قواعد حكمها لا تعترف به اذا لم يكن التأميم عاما وملغيا الملكية الفردية .

والاسلام لا يقر تأميم التجارة والاقتصاد لأن ذلك يقضى على النشاط الفردى الذى يبنى المجتمعات الصالحة ، ولكن للحكومة الاسلامية تاميم ما تراه مما يدخل فى باب المصالح العامة كالطرق ـ وان شقها أفراد ـ بل كل طريق مشقوق ملك للأمة ولو كان صاحبها فرد .

نشرت بجريدة عكاظ سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

* * *

الحاكم
في شريعة الاسلام

اختيار الحاكم ـ أو الموظف ـ في الاسلام ذو دلالة على روحه واصوله وقواعده ، فالحاكم في الاسلام يجب أن يكون فيه خير المزايا وأكرم الصفات، ومن يكون سببا في تولية غير الصالح القدير بـاء بالخسران المبـين ولو كـان آكبر كبـير •

قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم : « من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منـه ، فقد خان الله ورسوله » • وفي حديث آخر : « فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » •

ويدل الحديث الشريف على أن من يلي من أمر المسلمين شيئا سواء أكان كبيرا أم صغيرا يجب أن يكون أصلح الموجود في الامة ، واختيـار الاصلح دفع للمجتمع الى الامام ، وضمان للعدل والصلاح والاحسـان في جميع الصور ، والا فهناك الخيانة العظمى ، وأى خيانة أعظم من خيانة الله التي تستوجب اللعنة : الطرد من رحمته ، وما أشد شقاء الطريد من رحمة الله ، وخيانة الرسول معصية لله ، وخيانة المؤمنين تقتضي العزل والعقوبة•

خيانة الله باسـناد أمر عبـاده الى غير الاصـلح ، وتولى غير الاصلح يعرض الناس للخطر في الانفس والاموال والثمرات ، ومتى حاق الخـطر بهذه الاشياء أو ببعضها فقد كتب على المجتمع أن يفسد : « والله لا يحب الفساد » ولا يحب للارض أن يتولاها غير عباده الصالحين : « ان الارض لله يرثها عبادى الصالحون » •

ودرجة الصلاح معروفة في الاسلام ، وتقديرها موكول الى أهل النظر من المسلمين ، وأهل النظر هم ذوو المكانة والحصافة والرأى ، وفي وسع كل مسلم صاحب امتياز خلقى وعقلى ـ مهما كانت درجته المادية من الهبوط ـ أن يصعد الى القمة ، بل يصح لكل مسلم أن يشترك في ابداء الرأى ، وعلى الحكومة أن تأخذ بـه ، بل هى ملزمة أن تهتم بـه وتنقده فان وجدته صالحا أخذت بـه •

وهؤلاء المتطوعون بالرأى من عامة المسلمين لهم مكانتهم ، وكان لهم في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أثر محمود بارز مشهود ، فقد قدم

الرسول آراءهم على رأيه فيما يختص بأمور الدنيا ، مثل نزوله في احـدى الغزوات ، فسأله سائل : أهـــذا منزل أنزلكه الله أم المكيدة والحرب ؟ فأجاب عليه الصلاة والســـلام : المكيدة والحرب ، فذكر الصحابى أنه لا يصلح لنزول الجيش ، ثم رأى موضعا آخر صالحا ، فرضى رسول الله •

وليس من الحتم اللازب في اختيار « الاصلح » الذى يسند اليه أمر من الامور أن يكون ورعا زاهدا تقيا ، اذا وجد فنعما هو ، والا فيجوز اختيار الفاجر اذا لم يكن سواه أصلح منه في الامر الذى يتولاه كأمور التجـــارة والصناعة والاقتصاد •

بل في الامور التى تعد أخطر من التجارة والصناعة والاقتصاد مثـــل القيادة الحربية لا يشترط في الاصلح التقوى •

ولو رشح اثنان لقيـــادة الجيش ــ مثـــلا ــ وكان أحدهما برا تقيا ضعيفا ، والآخر قويا فاجرا كان « الاصلح » هنا الثانى ، ويجب أن يتولى القيادة ، لان تقدير « الاصلح » نسبى ، ولكن هذا ليس قاعدة عامة الا في الحدود التى يكون فيها فجور الوالى القوى مقصورا عليه وحده •

سئل الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه عن الرجلين يكونان اميرين في الغزو ، أحدهما قوى فاجر ، والآخر صالح ضعيف ، مع أيهما يغزى ؟! فقال : أما الفاجر القوى فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه ، وأما الصالح الضعيف ، فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين ، فيغزى مع القوى الفاجر •

وهذا يدل أبلغ الدلالة على صحو ملكات الاسلام وصلاحه لكل زمان ومكان ، ورغبته في صلاح المجتمع وحراسته ، لانه يريد أن يفيد من الطاقات الصالحة والمواهب الناجحة أيا كان أصحابها ، لا يبعد أحدا من المشاركة في بناء المجتمع ما دام صالحا لان يعمل في أى ميدان من ميادينه الكثيرة ، حتى الفاجر القوى لايتركه لفجوره ، بل يستثمر قوته في بناء المجتمعونفعه •

ان الاسلام لا يقتل النحلة لانها تلسع ، ولا البقرة الحلوب لانهـــا ترفس ، ولا الحمار لانه يعض ، بل يفيد من كل هؤلاء فيما فيه نفع •

ولكن الاسلام يشترط في القيام بكل تكليف عبادى : الادراك والعقل ، والتمييز ، والا سقط التكليف بسقوط هذه الملكات والمواهب ويشترط في

« الامام » ما يشترط في كل تكليف عبادي ، ويزيد بأن نصيبه من الشروط كبير موفور ، فهو الى جانب الشروط التي يجب أن تكون في المسلم المكلف كالادراك والعقل والتمييز مشروط فيه أن يكون صاحي الملكات عدلا شهما صحيح الجسم شجاعا عابدا زاهدا رحيما مع الشدة على الخارجين ، دقيق الحساب ، ذا فراسة ويقظة وفهم صحيح للحياة ، تلتقي فيه أكرم الخلال وأفضل الخلائق والصفات ٠

وهي شروط لا نجد حكومة من الحكومات في العالم تشترطها في الحاكم الاعلى في غير الاسلام ، فجائز في كل حكومة نشهدها أن يكون رئيس حكومتها غير متدين ، وغير فاضل ، وقد نجد رئيس حكومة فاسقا فاجرا سكيرا ، ومع هذا يولى الحكم عن رضا وطواعية ، أو عن سخط وكراهية ٠ ويقال في تسويغ ذلك : ان المحكومين لا شأن لهم بأعماله الشخصية ٠

أما الاسلام فيوجب أن يكون الحاكم قدوة رائعة لجميع المحكومين ، وأى جرح خلقي فيه يخل بشرفه وسؤدده ، واذا أعلن المعصية عزل واذا أحل حراما أستتيب والا قتل ٠

ومن هنا تظهر عظمة الاسلام التي يتفرد بها في مجال الحكم وفي بناء المجتمع الذى يراد له في ظل الاسلام أن يكون مجتمعا سليما فاضلا ٠

وليس العثور على مثل هذا الحاكم بالمستحيل ، كالعثور على « خاتم سليمان » ، والمجتمع لا يجدب الى حد العقم ، بل في كل مجتمع عديد من الافراد الصالحين المثاليين ، الذين تتوافر فيهم الشروط المؤهلة لتحمل أعباء الحكم ٠

واعطاء الحكم لغير أهله خيانة لله وخيانة الناس لربهم لانهم يرضون بولاية من لا يصلح ، وهي خيانة تتجاوز الى العقيدة والعبادة ، لان من صميم العبادة اختيار الحاكم الصالح الذى يجعل هجيراه اعلاء كلمة الله ، واعلاء هذه الكلمة لا يتاح الا بالتحرر من العبودية لغير الله ٠

وهي في الوقت نفسه خيانة للرسول عليه الصلاة والسلام ، فلئن كانت تتجلى في الزيغ فان خيانة الرسول تتجلى فيه أيضا كما تتجلى خيانة الله ـ والرسول ـ في « خلخلة » قواعد المجتمع ، خلخلة النظم والاحكام وقواعدها التي أرسخها رسول الله بوحي من الله ٠

وأما خيانة الانسانية فهي تعريضها للاذى والفساد ٠

وكل هذه الخيانات أو واحدة منها هي ـ في وقت واحد ـ خيانة لله ولرسوله وللناس ، لأن الشر الذى يصيب انسانا مظلوما هو شر يغضب الله ورسوله والصالحين من البشر .

وليس بين كل خيانة من هـذه الخيانات حدود فاصلة ، فخيانة الله هى خيانة لرسوله وللناس ، وخيانة الرسـول هى خيـانة لله وللناس ، وخيانة الناس هى خيانة لله والرسول .

فاذا سلب حاكم عزة مؤمن فليس هو بخائن واجب الاخوة الانسانية أو الاسلامية وحدها أو خائن مخلوقا مثله ؟ بل هو خائن لله والرسول والمؤمنين : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

نشرت بجريدة « عكاظ » سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) .

* * *

الاسلام بين أعدائه

اذا كان الاستعمار الغربى اللعين قد استطاع أن يفرض ثقافته ونظرياته في الحكم والسياسة والمجتمع على المسلمين وبخاصة المثقفين ومن بيدهم الامر والنهى ، فان الشيوعية قد خلفته لتهدم ما بقى من شعار الاسلام والتوحيد •

استطاع الاستعمار الغربى أن يزين ثقافته أمام أنظار المسلمين ويغريهم بنظرياته في الحكم والسياسة وادارة الامور ، ويطرد الاسلام ، ويصوره صورة الدين العاجز السقيم الذى انتهى عهده الا في بعض نظريات أخلاقية •

استطاع أن يقضى على الثقافة الاسلامية بثقافة غربية ، ويستبدل بنظام الحكم الاسلامى حكما زعم أنه ديمقراطى ، ونشر كلمة الديمقراطية وجعلها بديلا من الاسلام ونظام حكمه ، حتى رأينا كل أجهزة الاعلام اذاعة وصحفا ومعها العلماء والكتاب والسياسيون والحكام المسلمون يزعمون أن حكمهم ديمقراطى ، والديمقراطية هى حكم الشعب لنفسه ، الى آخر نعوت الديمقراطية •

وأبحث بين هذه الهتافات عن الاسلام فلا أجده ، واذا قلت لهم : أيها الناس ، لا تنسوا الاسلام ، اتهموك بالرجعية والتخلف والجمود •

وان « اللادينية » تملك أجهزة الدعاية والاعلام ، تملك الصحافة العربية والاسلامية ، فليس بين من يملكون الصحف اليومية ـ باستثناء المملكة العربية السعودية ـ مسلم يؤدى فرائض الله حق الاداء ، وكل الصحف العربية والاسلامية تخضع لسلطات غير اسلامية ، سلطات معادية للاسلام ، تخضع لها لانها تأخذ منها الهبات والاعلانات •

وهذه الاجهزة الاعلامية الدعائية تهتف ليل نهار باسم الديمقراطية وبكلمة الديمقراطية ، حتى استقرت في الاذهان والقلوب ، وأخذت المساحيق والاصباغ التى زينها بها المستعمرون تخلب ألباب المسلمين ، فاذا هم ـ واقصدالطبقة المستنيرة ـ تعلن في زهو وكبرياء وافتخار أنهم

يؤمنون بالديمقراطية ، يؤمنـــون بثقـــافة الغرب ، ويشعرون بالخزى والعـــار من الاســـلام ٠

بل أن بعضهم له اسم اسلامى مثل محمد وأحمد ، فيحذف الاســم الاسلامى من اسمه مثل : « محمد أنيس منصور » أحد محررى دار أخبــار اليوم ، حذف كلمة « محمد » وأبقى « أنيس منصور » لانه من الاسماء التى يتفق فيها المسلمون وغير المسلمين ، لانه اسم يشعر بالتحرر مـــن الاسلام ويضعه مع المتحررين ٠

ان هذا الكاتب المصرى شعر بالخزى والعار من كلمة « محمد » لانه اسلامى محض فحذفه ثم رفع رأسه عاليا ٠

حتى هذه العلاقة اليسيرة قطعوها، حتى هذه السمة الضئيلة محوها٠

ووجــدوا من الاســتعمار ترحيبــا ورضا ، فزادوا فى عداء الاسلام ، وصوروا رجاله وعلمـــاءه صـــورة بشـــعة منفرة هزليـــة كما تفعل مجـــلة روز اليوسف وصباح الخير ٠

وهذه الصحف العربية تتلقف كل رأى يهدم الاسلام ، ومنذ سبع سنوات ـ على ما أذكر ـ رأى الشيخ بخيت ـ أحد علماء الازهر الشريف ـ رأيا فى الصيام لا يتفق مع الاسلام ، فاذا دار أخبار اليوم المصرية تتلقف رأيه ، وتصور الشيخ بخيتا بطلا من أبطال الاسلام وقائدا من قواد الفكر وزعيما من زعماء الاصلاح الدينى ، وسخرت كل صحفها للدعاية له والاكبار من شأنه وشأن رأيه السخيف ، ووقفت فى وجه معارضيه ، حتى اذا تــاب الشيخ الى رشده وأناب الى ربه وتاب عن رأيه حاربته هذه الصحف ٠

لماذا ؟ لانه رجع الى الاسلام ، ولو بقى على دعوته الباطلة لاصبح من كبار الابطال ، وبذلك يتاح له تضليل الناس ٠

والدنيا استعبدت علماء المسلمين وحكامهم ، والاســـتعمار مهد لهم سبيل التهالك عليها وشغلوهم بها ، ولو وجدنا بينهم أئمة مثل محمد بن عبد الوهاب وجمال الدين الافغانى ومحمد عبده لكان الاسلام والمسلمون بخير ، ولكان لهم ثقل فى الميزان الدولى ٠

أما الثقل الذى نراه اليوم لدول المسلمين والعرب ، فهو ثقل ليس فى مصلحتهم ومصلحة دينهم ، ولولا الخـــيرات التى تفيض بها أراضيهم ما كان لهم هذا الثقل ٠

كان الغرب قد أعلن علينا الحرب الصليبية . أعلنوها على المسلمين عامة في كل مكان ، ثم وضعت الحرب أوزارها من قبل الاستعمار ، ولا حرب صليبية الآن بالسلاح والحديد والنار .

وليس مرد ذلك الى يقظة المسلمين وقوتهم الحربية ، بل مرده الى ازدياد ضعفهم الروحى .

كان المسلمون أقوياء عقيدة فحاربهم الغرب الحرب الصليبية ، ولما ضعفوا في هذه الايام تركوا حربهم .

ونام الغرب ملء أجفانه عندما وسد أموره الاستعمارية الباطشة الى مسلمين اسما لا حقيقة ، وعرضا لا جوهرا ، فقام هؤلاء المسلمون ، وفيهم كبار رجال الفكر والقلم والدين والتجارة والصناعة والحكم ، يحطمون الاسلام ويزخرفون الباطل .

وجاء للاستعمار نصير جديد ، بل أنصار جدد ، هم الشيوعيون وأتباعهم الاشتراكيون ، وصار لهم أحزاب في العالم العربى والاسلامى ، أحزاب ذات سلطان وجاه وصولة ونفوذ ، وساعد الغرب والشرق هذه الاحزاب بالملايين من الجنيهات ، وملكوها وسائل النشر ، وأخذت تهدم الاسلام هدما .

وصرنا نرى في العالم العربى والاسلامى أسماء تلمع في سمائه حتى أن بلادا مسلمة يسكنها شعب مسلم مجاهد ضحى في سبيل استقلاله وتخلصه من الاستعمار ، تسمى حكومتها باسم غير اسلامى ، تسمى حكومتها الديمقراطية الشعبية .

وأصبحت « الاشتراكية » الدين الجديد للحكام وبخاصة حكام العرب في بعض الجمهوريات ، ويحاربون من أجل أن يجبروا الناس على الايمان بهذه الاشتراكية .

وأخفوا كلمة الاسلام واشمأزوا من « الاسلامية » صفة لاى حكومة أو حزب أو جماعة ، بل قضوا على الجماعات والجمعيات الاسلامية قضاء ماحقا .

قضوا على « الاخوان المسلمين » وأسرهم وأبطالهم ودعاتهم واستصفوا (صادروا) أموالهم وممتلكاتهم وأرواحهم .

ان هؤلاء الحكام أماتوا كلمة « الاسلام » بعـــد أن محـــوا شريعته ووضعوا « الاشتراكية » بديلا عن دين الله ٠

ولم يبق في العالم كله دولة اســــلامية حقيقية الا « البـــلاد العربية السعودية » هى وحدها التى تعلن في كبرياء ان الاسلام دينها ، وأن القرآن دستورها ، وأن شريعة الاسلام حكومتها ، وهى وحدها التى تنفذ الحدود كما أنزلت ، وتتمسك بالاسلام ظاهرا وباطنا ٠

ولو تسنى لهذه الدولة السعودية أن تقوم بالدعوة والتبليغ والتبشير وانشاء معاهد عليا لدراسة الاسلام دراسة صحيحة ، وتجرد الاسلام من الخرافات والقشور والسخافات التى ألحقها بهــا الجهــال وذوو الاهواء ، وتأليف كتب ورسالات عن نظريات الاسلام فيما يعرض للعالم اليوم مــن نظريات ومشاكل في السلام والحرب والسياسة والاقتصاد والتجارة ، لو تسنى لهذه الدولة هذا العمل الجليل لخدمت الاسلام أعظم خدمة ٠

ومن يخدم الاسلام ؟ أى دولة تجدده وترفع قواعده ؟ أهــذه الدول الاسلامية والعربية التى لا تعترف بشريعة الاسلام اعتراف قول وعمل ؟

ان كل الدول الاسلامية والعربية المسلمة لا تنفذ حدود الله ، فهى لن تنفذ شريعة الاسلام حق التنفيذ ، لن تحرم الخمر والفجور ، ولن تجلد السكران وتقطع يـــد الســـارق ، فكيــف نطـــلب اليـــها أن تقيم قواعد الاســـلام من جـــديد ؟

لم يبق بين أيدينا الا البلاد العربية السعودية التى تشعر بالشرف والعزة لانها تتقيد بالاسلام ، وتعلن ذلك في العالم كله حتى أن جوازات السفر السعودية لا تضع صورة المرأة السعودية دون أن تجـــد من دول العالم الا قبول ما رأته ٠

تتجه آمال المخلصين الى البلاد العربية السعودية وحدها لتحقيق هذه الآمال ، وهى ـ كما أرجو ـ ستعمل بجد واخلاص ٠

أمل الاسلام اليوم في دولة الاسلام : الدولة السعودية المسلمة ٠

دعاة الاسلام ودعاة اعدائه

اذا نظرنا الى دعاة المسيحيين ودعاة اليهود ودعاة الشيوعية ـ في هذه الايـام ـ وجدنا ان الدول هى التى تتولى احتمال النفقات مهمـا ضخمت وعظمت ، وان هناك جمعيات ومنظمات تقوم بالتبشـير في العـالم كله ، وتلقي المعونات التي لا تحصي من الدول والهيئات والافراد •

وعمل هؤلاء الدعاة قائم على اسس ودراسات وتنظيم رائـع دقيق ، حشدت له عشرات الملايين من الجنيهات كما حشد له الفكر العبقرى والقلم القوى والخلق الرضي وكل وسائل الاغراء •

أما نحن المسلمين فكل ما نعمله أعمال فردية ، وقـل في هذه الايام دعاة مسلمون كما كانوا منذ قرون بل منذ عشرين سنة وشـغلتنا الدنيا عـن الـدين •

ويرجع الفضل في انتشار الاسلام في كثـير من الاقطار الى أفراد من الرجال والنساء أخلصوا لله فربحت تجارة المال والعقيدة ونمت ، وكانوا تجارا ، لم تشغلهم تجارتهم عن الله ، بل استعانوها فكانوا من الناجحين •

وذكر مستر بلودن Blowden. P. 15 قنصل بريطانيا في الحبشه منذ مئة سنة وأكثر (١٨٤٤ ـ ١٨٦٠م) عن قبائل الحباب فقـال : « انهـم اعتنقوا الاسلام بسبب المسلمين الذين كانوا يتجرون معهم » •

وكان هؤلاء المسلمون التجار مثلا رفيعا في حسن الخلق وصـدق القول ودقة المواعيد والامانة والعفة والنزاهة فأثروا فيمن حولهم وعاملوهم أثرا جميلا رائعا ، وأخذوا أجمل صورة للاسلام منهم ، فآمنوا بدينـهم الذى طبعهم فكانوا آية في الخلائق الانسانية •

واذا درسنا تاريخ ظهور الاسلام وانتشاره في الصين وأندونيسـيا وفي أوروبا وأمريكا وأفريقيا وجدنا الفضل لله وحده ثم للتجار المسلمين الذين حملوا معهم دينهم الى كل مكان انتهوا اليه ، وكانوا نماذج عليا في الفضائل والمكرمات مما جعلـهم موضع المودة والتبجـيل ممن يهبطون ديارهم ، وجعل دينهم محل الاعجاب والاجلال منهم •

والعالم اليوم أشد استعدادا لاعتناق الاسلام لانه دين سمح سهل ، ولان العالم فريسة القلق النفسى ، ويعيش في فراغ روحي ، وقادة المسلمين يعرفون ذلك حق المعرفة ، ولكنهم يضنون على الاسلام بواحد في المئة من ميزانية دولهم ويجودون على وسائل تزجية الفراغ بأكثر من واحد في المئة ، كأن الدين لا يستحق منهم الاهتمام المادى .

راجع ميزانية أى دولة من دول الاسلام فانك لن تجد بابا من أبوابها الكثيرة للانفاق على دعوة الاسلام ، مع أن الواجب يقضي بتخصيص عشر الميزانية للدعوة اذا لم تكن أكثر .

واهمال الاسلام هذا الاهمال سبب سقوطنا وتأخرنا وفرقتنا وعداء بعضنا بعضا .

يضاف الى اهمالنا احتشاد قوى الغرب والشيوعية للقضاء على الاسلام ، وقد نجح الشيوعيون في القضاء عليه ، فلا تجد في ديار المسلمين التى يحتلها الشيوعيون الروس غير مئتى مسجد بعد أن كان بها خمسون ألف مسجد ، وفي مدينة واحدة من مدن طاشكند كان بها خمسون وأربعمائة مسجد ، أما اليوم فليس بها الا مسجدان اثنان .

وفي الصين الشيوعية قضى على الاسلام ، ففى التركستان الشرقية التى تسيطر عليها الشيوعية الصينية لا تجد الا أثرا عافيا للاسلام ، فبعد أن كان هذا الاقليم مزدحما بالمساجد الجامعة العظيمة صار خاليا منها لان الشيوعية حولت المساجد الى متاحف وحظائر وخمارات ودور لهو وفسق .

كان في اقليم تركستان وحده تسعة آلاف مسجد قبل الحكم الشيوعى ، أما بعده فلم يعد في هذا الاقليم الا ثمانية عشر مسجدا .

وما دخلت الاشتراكية الماركسية بلدا الا تضاءل فيه عدد المساجد والمدارس الاسلامية ونقص عدد المسلمين بنسبة ٧٠٪ .

أما شر الاستعمار الغربى فقد كان مستطيرا ، وهو نفسه أكبر سبب لانتشار الشيوعية ، فهو يحمل أكبر جانب من تبعة ما حدث للاسلام والمسلمين في المناطق الشيوعية ، أما تبعته المباشرة فهو غزوه للمسلمين في عقيدتهم ومشاعرهم الدينية وتراثهم الاسلامى حتى أصبحت كلمات الغرب

كالديمقراطية شعارا للمسلمين حكاما وكتابا ، فما من كاتب أو زعيم مسلم الا قدس الديمقراطية ٠

والمسلم الحريص على دينه لم يسلم من هذه العدوى ، فتراه يستعير كلمة الديمقراطية ويضيف اليها الاسلام كأنه خلا من مثل هذه الكلمات وخير منها ٠

وأصبحنا حتى اليوم نعيش في سحر الغرب ثم أضفنا اليه سحر الشيوعية فشرق منا من شرق وغرب منا من غرب ، وأصبح الاسلام مطاردا مضيقا عليه الخناق في كل بلد من بلدانه دون استثناء ٠

ولم يكن الاسلام في يوم من أيامه الماضية في حاجة الى أنصار ودعاة مخلصين حاجته اليوم ٠

انه في حاجة الى جهود مثمرة مخلصة تحشد ، ودعاة يجندون تجنيدا، وأنصار يجاهدون في الله حق الجهاد ، وحكومات تتحد من أجل الدعوة ٠

اننا مسئولون عن الاسلام ، ويجب علينا أن نبدأ الدعوة من جديد كما بدأها المسلمون عندما تلقوا الاسلام من محمد عليه صلوات الله وسلامه ، فلم يبالوا بأنفسهم وأموالهم وأولادهم وديارهم ، بل قدموها بين يدى الاسلام دفاعا عنه ونشرا له ، أما نحن فهتافون لا نملك الا الهتاف الذى لا خير فيه للاسلام ولا نفع فيه لنا ٠

ان الشيوعية اليوم تطرق أبواب كل البلدان والمدن الاسلامية ، وتتخذ كل سبيل يفضى بها الى السيطرة على المسلمين والقضاء عليهم ، وما أبقاه الاستعمار الغربى بدأ الوحش الشيوعى يلتهمه ، فواجبنا اليوم ليس سهلا ، وما أمتحن الاسلام يوما كما يمتحن اليوم ٠

ومحاربة الاسلام تتم علانية بين سمع العالم وبصره ، وصرعوه حتى قضوا عليه في كثير من البلدان آخرها زنجبار حيث أباد الشيوعيون فيها المسلمين ، ومن بقوا أحياء طردوهم شر طردة ٠

ان هزيمة الاسلام والمسلمين في الاندلس كانت هزيمة للاسلام والمسلمين في كل مكان في العالم واليوم نجد مئات من الاندلس ، ونحن نعبث ونلهو ٠

ان واجبنا أن نحشد آلاف الدعاة العلماء المخلصين في كل أقطار الارض يدعون الى الله ويؤيدون الاسلام ، والا فان عشر السنوات القادمة كفيلة بأن تزلزل قواعد الاسلام في دياره الاصيلة بعد أن وجد الشيطان الشيوعى طريقه الى العالم العربى والاسلامى فأخذ يجوس دياره آمنا مطمئنا .

يجب ألا ننام توكلا على قول الله عز وجل : « والله متم نوره ولو كره الكافرون » بل يجب أن نعلم أن هذه الآية الكريمة نزلت على رسول الله ، فلم ينم بسببها ، بل دفعته الى أن يكون هو وسيلة هذا النور الذى يتمه الله بوساطة عباده المؤمنين المجاهدين ولو كره الكافرون .

يجب ألا نكل الامر الى الله وننام ، بل يجب أن نقرن التوكل بعزائمنا وايماننا وأعمالنا لانها هى أداة تمام النور وحفظه ، والله ينصر من ينصرونه ، أما أن ننام فمعنى ذلك أن نعطى أعداءنا قيادنا يتصرفون في شئوننا وفينا وفي تراثنا وما أنعم الله علينا شر تصرف .

ان الله يتم نوره بوساطة عباده الصالحين ، فلنكن نحن هؤلاء العباد الصالحين ، ولنتخذ للامر عدته وأهبته ، ويجب أن نبدأ من اليوم ، لان كل يوم يمضى يضاعف تضحياتنا ويوعر طرقنا ويزيد في مهامنا .

يجب أن ننصر الله لينصرنا ، ولنبدأ نحن أولا ؟

نشرت بجريدة « المدينة » سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م) .

* * *

التعدد والاسلام

الاسلام أحل تعدد الزوجات ، وليس هو بدعا في هــذا بين الشرائع السماوية التي سبقته ، فالمسيحية واليهودية لم تحرماه ، وليس في التوراة والانجيل آيات بالتحريم ، وكتب العهد القديم والعهد الجديد خالية من نص بتحريم التعدد، بل كان التعدد معروفا عند أنبياء بني اسرائيل وملوكها .

والبدعة التي وجدت في المسيحية بالنسبة للتعدد هي استحباب عدم التعدد لرجل الدين ، واستحسان القناعة بواحدة ، والفضيلة ترك المرأة ، لان المرأة في نظر الكنيسة شر ، والاقلال من الشر واجب على قدر المستطاع، فاذا وجد من يستطيع ترك الشر فقد انتهى الى مرتبة الصالحين الذين لا يشركون في حياتهم امرأة تشغلهم عن العبادة .

فترك التعدد من قبل من ترك ليس احتراما للمرأة واكبارا لشأنهـا وتبجيلا لمقامها لانه لم يكن لها مقام معترف بــه ، بل الذى كــان معترفا بــه هو النقيض .

وأجد في هذه الايام علماء من رجال الدين يخجلون من مسألة التعدد ، ويريدون تبرئة ساحة الاسلام من هذا العار ـ في نظرهم ـ فيزعمون أن الاسلام حرم التعدد بدليل قوله تعالى : « فان خفتم فواحدة » ، ويزعمون أن العدل بين الزوجات غير ممكن ، وما دام العــدل غير ممــكن فالتعدد ليس مبــاحــا .

وهذا مؤسف من هؤلاء العلماء لانهم جهـلوا حقيـقة واقـع الحياة ، والسبب الذى من أجله أحل الاسلام التعدد ، وليس في الاسلام ما يبعث على الخجل ، ولا يتهم الاسلام بعيب أو نقيصة ، لان ما رآه في التعدد كمال يضاف الى كمال ، وليس نقيصة يجب أن نداريها ونخجل منها .

وفي الوقت الذى نجد مثل هؤلاء العلماء الضعــاف الذين يشعرون بالخجل من مسألة التعدد نجد عالما يعــد من أعظم العلمــاء في الارض في شؤون الزواج وهو « وسترماك » يذكر ان الكنيسة والدولة كانتا تقران

تعدد الزوجات الى منتصف القرن السابع عشر • ونجد فقيها متفيلعا هو « جروتيوس » يصوب فكرة التعدد •

وقال أحد الاساقفة الافريقيين الكبار واســـمه « أديتولا » في مؤتمر للكنائس الانجليكانية بأفريقيا : « عندما يقول الناس ان لكل رجل امرأة واحدة فان ذلك ليس صحيحا اذا أريد تحريم التعدد ، فتعدد الزوجـــات عندنا أمر شريف لا غبار عليه ، وان تزوج الافريقى بثلاث زوجات أو أربع أشرف مما يفعله الغربيون عندما يقتصرون على زوجة واحدة ثم يبيحون لانفسهم مئات النساء للزنا ، وان عمل الافريقيين أشرف وأعف وأنبل » •

واذا خلت شريعة من الشرائع من نص يبيح التعدد لكان ذلك دليلا على نقص هذه الشريعة ، أما اذا كان فيها فذلـــك آية على أن هذه الشريعة تنظر الى الواقع المشهود الذى يتفق معالطبيعة الانسانية فيفطرتها القويمة•

وجاءت امرأة في مصر هى « أمينة السعيد » تقول في عدد من مجلة « المصور » : « ان نظام تعدد الزوجات نظام همجى بدائى يجب أن نحاربه » فلما رد عليها بعض ذوى الغيرة على الدين قـالت في عـــدد آخر من مجلة « المصور » ما نصه : « تعدد الزوجـــات في رأيى أمر لا يتمشى مع قواعد الحضارة ولا ضرورات المدنية وسأظل أنادى بالغاء الحق الخ » •

ومثل هذه المرأة في ســفهها وجهلها رجـــال أرادوا أن ينافقوا المرأة فزعموا مثلها ، ومنهم من أيدها مثل « سامى داود » وأمثاله لانهم قوم فسقة فجرة يضمرون للاسلام كل شر وبغضاء •

وكل وجهة أمينة السعيدة وأمثالها أوروبا والبلدان التى حبس فيها الدين في الكنائس والبيع ، وتناسوا أن البلاد التى تحرم التعدد هى التى تبيح الزنا وان الدين الذى يبيح التعدد هو الذى يحرم الزنا •

وهؤلاء الفسقة الفجرة ـ وبخاصــة هـــذه المرأة التى تسمى أمينة السعيد ـ يودون مجتمعا يبيح الزنا فهم لهذا يحرمون التعدد ، يبيحون أن تكون المرأة متاعا حراما للرجال ، ويحرمون أن تكون سيدة في ظل رجل•

التعدد محرم في المجتمع الذى يبيح الزنا والخلاعة ، لانه يكفى عندئذ زوجة واحدة ، بل يستطيع أن يستغنى عنها الا اذا أراد الولد عـلى فراش الطهر ، والا ففى وسعه أن يجد نساء كثيرات معروضات كالسلع البـــائرة في كلمكان، ويختار منهنخليلةثميسرحها لتعيش عيشة البهائم والسوائم •

وهذه المرأة الفاسقة تتهم الاسلام بالهمجية لانه دين يصون كرامـــة المرأة ولا يرضى بابتذالها وتبذلها ، ولو كان الاسلام دينا أباحيا لخلـعت عليه كل ألقاب التمجيد التي تخلعها على الحضارة الحديثة التي شكا أهلها من بوائقها وأدوائها ، ولكن هذه المرأة تجـــد في هذه الحضارة الطمأنينة والامن والعزة والكرامة لانها تبيح لها تعدد الازواج والاخلاء .

ان الاسلام ـ يا مرأة ـ دين الحضارة الحقـــة والمدنية الصحيحة ، ولكن أنى لفاسقة أن تدرك عظمة الاسلام ! أنى لاميتة السعيد أن تدرك حقيقة الاسلام وعظمته ؟ ؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

* * *

محمد والاسلام

هـــدف سهام الملاحـــدة

محمد رسول الله زينة الخلق ورحمة الانسانية بل رحمة العـــالمين وداعية الخير والهدى والاحسان ٠

هذا الرسول الكريم ما ترك في دينه شـــيئا صالحا للانسان ـ اى انسان ـ الا جاء به ، حماه جنينا ، ورعاه وليدا ، ورباه يافعا ، وحرسه من يوم عقل حتى يوم يوارى في رمسه اذا كان هو نفسه واثقا من الاســـلام آخذا نفسه بآدابه وأوامره ونواهيه ٠

ولكننا استدبر نـــاه فأصبحنا رهائن للشر ، وفرائس للكفر ، ولعبة للاستعمار وكل مذاهب الهدم والتخريب ٠

محمد النبي الانساني الذى بلغ أرقى مرتبـــة في الانسانية بخلائقه المثلى نتنكر له ونؤذيه ونمتهنه لاننا جهلنا حقيقته فانتقصناه ٠

زعيم مسلم أو اسمه اسم اسلامى ، ويحكم بلدا مسلما يزيد ســكانه عن مئة مليون مسلم ، يقول في قحة : ان ثلاثة أثروا في حياته : صن‌يات‌صن بوطنيته ، وكارل ماركس بفلسفته ، ومحمد بصوفيته ٠

و « محمد » هذا الذى يقصده هذا الحاكم الزعيم المسلم هو محمد صلى الله عليه وسلم ، محمد خاتم الرسل ٠

انه يسحبه من رجليـــه مجردا من أى صـــفة من صفات التقديس والتكريم ، ويضعه في آخر الصف الذى اختاره ، ويقدم عليه اثنين ، احدهما بوذى لا يؤمن بوجود الله ، والآخر كافر ينكر وجود الله ٠

ولا يكفيه هذا بل يتهم رسولنا الكريم تهمة شنيعة حين يصفه بانه صوفي أو أن له صوفية ، وما كان محمد صوفيا بالمعنى الذى يفهمه هـــذا الزعيم الملحد الكفور ٠

ان محمدا عليه صلاة الله وسلامه رسول دنيا وحكم وآخرة ، رسول سوق ومسجد ، رسول الانســانية بمن تضم وبمـــا تحــوى من خــلائق لا عـــداد لهـــا ٠

ان محمدا صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين ، رحمة للمسلم وغير المسلم ، رحمة للكفار والمشركين ، وانسانيته اتسعت لغير أبناء دينه الحق ، وبره وسع المسلم والكافر واليهودى والمسيحى والمجوس وكل ذى نحلة واغلة وملة باطلة ، لانه رحمة للعالمين .

لكن فينا من يتسمون أسماء اسـلامية ويدعـون انهم مسلمون من يسخر بمحمد وآله وصحبه ودينه ، وفينا زعمـاء يسـتبدلون بدينه ملة الكفر كالشيوعية التى آثرها ذلك الزعيم على الاسلام واتخذها أساس حكمه وجوهر فلسفته وكعبة آماله .

ومع هذا يزعم أنه مسلم ويجد الاكبار والتبجيل .

ومثله برىء منه الاسلام ، لان من يؤمن بغيره ويتخذه شريعة ومنهاجا يمرق من دين الله كما يمرق السهم من الرمية .

ومع أن رسولنا صلى الله عليه وسلم رسول الرحمة ، بل الرسول المبعوث رحمة للعالمين فاننا نحن المسـلمين قـد ضاقت قلوبنـا فما تنبض بالرحمة ، يعادى بعضنا بعضا لغير سـبب الا اشـباع الهوى الغـادر والنفس الشريرة .

هذا ونحن نتعامل ، ونحن مسـلمون ، ولا يحب بعضـنا بعضا ، ونضبت نفوسنا من الانسانية لان ايماننا بهـذا الدين ضعيف عند أكثر المسلمين ، ومفقود عند بعضنا ، فكيف نرجو في الحياة نجاحا ونحن لا نتخذ أسبابه ؟ وكيف نريد من الله نصرا ونحن لا نطرق بابه ، وندعو الله غـير مخلصين ونريد منه أن يستجيب ومطعمنا ومشربنا وملبسنا حرام ، وحياتنا غريقة في الآثام ، ودماؤنا مسمومة ، وعقيدتنا كدرة أو ملوثة .

لنتدبر أمورنا ونحاسب أنفسنا ونتمسك باسلامنا وندافع عن دين الله لا نرقب غيره ولا نتقى سواه ، فقد أصبح اسلامنا في هـذه الايـام ألف اسلام كالفرق الضالة ، تزعم كل فرقة أنها المسـلمة ، وما فيها الا فرقة واحدة ـ كما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ـ هى الناجية لانها فرقة السنة والجماعة ، وكل يدعى أنه من الفرقة الناجية حتى كادت المعالم الصحيحة تضيع ، والصوى تدرس ، والعقيدة تتزعزع .

بل خرج من المسلمين وقحون يزعمون ان الاسلام صوفية لا تصلح لهذا العصر الذى يتطلع بالصواريخ ومراكب الفضاء الى السماء ، بل أعلن بعض الزعماء أن الشيوعية المذهب الصالح للحياة ودين المستقبل كذلك الزعيم الذى اتهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالصوفية وفضل الشيوعية على الاسلام ، وأعلن بعض كتاب المسلمين ورجال الصحافة منهم أن من نسميه « الله » لا وجود له ، وهزأوا بالشعور الدينى حتى زعم كاتب مصرى ملحد في مجلة « روز اليوسف » ان الشعور الدينى هو شعور الكلب عندما يرى ورقة طائرة ، وكثير أشادوا بالرذائل والكفر والموبقات وتباهوا بها •

كل هذا في بلدان اسلامية تدعى أن دستورها الاسلام ، فهل من الاسلام تحطيم الاسلام ؟ وهل من الدين تجريم الدين ؟

وأصبح الاسلام هدفا لسهام الملحدين وقذائف المارقين وسخرية العبيد المسخرين ، يفعلون ذلك بين المسلمين دون أن يثوروا في وجوههم مؤثرين رضا العبد على رضا الله ، وخوف الحاكم على الخوف من أحكم الحاكمين •

ان الاسلام يأمرنا بأن نتخذ القوة دفاعا عن العقيدة ، فمتى نتخذها ؟ والاسلام يأمرنا بأن نقصى الحاكم الكفور الظالم ونحن نتخذه ربا ونبتهل اليه ونؤيده ونجعل من أنفسنا عبيدا له وحراسا كما يصنع ملايين من المسلمين مع ذلك الزعيم الذى قدم صن يات صن وكارل ماركس على رسول الله في الذكر والفضل •

ان المسلمين استطابوا حياة الذلة فسلط الله عليهم من لا يخافه ولا يرحمهم ، ولو كانوا مسلمين حقا لثاروا في وجه الكفر والظلم والباطل ، وغيروا المنكر بقلوبهم وألسنتهم وأيديهم ، حتى يثبتوا أنهم مؤمنون حقا ، فالمسلم لن يكون مؤمنا حتى يثبت لنفسه العزة التى أثبتها الله في كتابه له وللمؤمنين اذ قال : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » •

الاسلام المضطهد

في كل مكان من هذا العالم المضطرب نرى الاسلام مضطهدا والمسلمون لا يعملون شـــيئا •

في قبرص يقوم اليونانيون بقتل المسلمين جماعات لا فرادى ، يدمر اليونانيون المساجد على من فيها ، ويغزون بيوت المسلمين يذبحون الرجال والنساء والاطفال ، ويفعلون المنكرات بالعذارى المسلمات ، ويحرقون منازل المسلمين وقراهم وأحياءهم والمسلمون في كل مكان لا يعملون شيئا !

وفي زنجبار قامت مذبحـة اسـتأصل الكفرة آلاف المسلمين ونهبوا أموالهم وأعراض بناتهم وذبحوا الاطفال الابرياء •

وفي الهند ، في كلكتا امتحن المسلمون شر امتحان •

ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل تجـاوزه الى بلدان العرب المسلمين حيث نجد حكام العرب والمسلمين ومن بيـدهم سلطة الحكم والصحافة يضطهدون الاسلام ويثخنونه جراحا ، ويشوهون محاسنه ، ويلصقون به التهم باسم حرية الفكر والبحث ، وأخذ كتاب ملاحدة يشككون المسلمين في قرآنهم الكريم باسم البحث العلمى، فزعم بعضهمأن في القرآن «أساطير»• وتعالى الله أن يكون في محكم كتابه مكان لاساطير •

وعلى سبيل الله أذكر كتاب « الفن القصصى في القرآن » لمن يسمى « مخلوفا » قدمه رسالة للجامعة المصرية منذ سنوات وأشرف على الرسالة وتأليفها الشـيخ أمين الخـولى الذى نصب نفسـه مدافعا عن هذا الكتاب ومحاميا عن المؤلف الخبيث ، وقامت صحف تدافع عن المخلوف وكتـابه وآرائه الباطلة •

هذا المخلوف زعم ان قصص القرآن أساطير ، ولما قام ذوو غيرة بمنع قبول الكتاب ثارت ثائرة الملحدين باسم حماية حرية الفكر والبحث •

هذا عندنا في العالم العربى ، وفي بلد كالقاهرة المسلمة ، وفي جامعة أساتذتها وطلابها مسلمون الا قليلا •

ولا يمكن أن ندعي أننا متقدمون أكثر من انجلترا التى تزدحم بالجامعات والمعاهد المشهودة في العالم .

هل جرؤ « مخلوق » انجليزى يقدم رسالة لجامعة لندن أو اكسفورد مثلا يكذب فيها الانجيل أو يهاجم بها المسيحية ؟

كل تاريخ الجامعات والرسالات المقدمة اليها ، والتى تبلغ الآلاف ، لا يذكر أن رسالة واحدة مماثلة لرسالة مخلوف قدمت اليها ، لان الجامعات في بريطانيا تحترم دينها وتقاليدها ، أما نحن فلا نحترم ديننا ، بل ننبرى للسخرية منه في حرم جامعاتنا .

والصحف التى تصدر في العالم العربى كله تضطهد الاسلام وتسخر به وتتهمه وتنتقص قدره ، بل وصل الزحف اللادينى الى بعض صحفنا السعودية فأخذت تتجنى على الله وعلى الاسلام وعلى الانبياء والمرسلين في وضح النهار ونحن غافلون عما يراد بديننا .

اننا اذا كنا نشكو اضطهاد الاسلام في خارج عالمنا العربى فان الحق يجبرنا على أن نقول : ان الاسلام مضطهد في العالم العربى أشد من اضطهاده في قبرص وزنجبار والهند ، لان الاضطهاد هناك قائم على ذبح المسلمين ، أما في العالم العربى فعلى ذبح الاسلام .

وشتان بين هذا وذاك ..

فما الذى أعددناه نحن الذين ندعى أننا حماة الاسلام والذائدون عن حماه ؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

* * *

المسيح في نظر الاسلام

بدأت السنة الميلادية الجديدة منذ أيام ، واستقبلها المسيحيون في مشارق الأرض ومغاربها في شيء كثير من السرور الممزوج بالقلق .

وكانت الورقة الاخيرة في التقويم قد نزعت ليلقى آخر يوم في السنة الميلادية في فم الماضي الكبير الذى التهم ملايين السنين ، ولكن التقويم لم يقرر ـ بعد ـ اليوم الاخير .

والمسيح عليه الصلاة والسلام من رسل الله الكرام ذوى العزم ، وكان صلى الله عليه وسلم من الرسل الذين امتلأت قلوبهم بالرحمة ، وكان حريا بأتباعه أن يكونوا رحماء ، ولكن ـ واأسفاه ـ هم الذين أورثوا العالم الحاضر الشقاء المبيد والقلق المدمر .

لقد نشروا الفساد ، و « بوظوا » المثل ، ودمروا القيم ، وأعلنوا الحروب ، وقاتل بعضهم بعضا ، وبثوا الرعب في كل مكان ، ومع هذا يزعمون أنهم أتباع الرسول الرحيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

والفارق بين المسلمين والمسيحيين كبير ، فما من مسلم على وجه الأرض الا وهو مؤمن برسالة المسيح ، ومن يشك في رسالته من المسلمين فقد كفر بالاسلام كله ، ويأمر الاسلام بقتله .

ولكن المسيحيين لا يؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي المسيحيين من ينكرون رسالته ، وفيهم من يتطاول على مقام هذا الرسول الكريم الامين الذى جاء رحمة وهدى للعالمين .

ان المسلمين جميعا يؤمنون برسول المسيحيين عليه الصلاة والسلام ، وليس فيهم من يشك في رسالته ، أما المسيحيون فلا يؤمنون .

ومن هنا يظهر لنا الفارق بين أتباع محمد وأتباع عيسى .

وقد دار بيني وبين كثير من المسيحيين ـ أذكر منهم الدكتور رمسيس جرجس ـ أحاديث شتى عن الرسولين الكريمين عيسى ومحمد .

والدكتور رمسيس جرجس من أعضاء المجمع اللغوى بمصر ، وهو من أقطاب اللغويين ، ولا يفارق القرآن الكريم مكتبه وغرفة نومه ، فهو يضع القرآن على يمينه والإنجيل على شماله ، ويستفتح يومه بآى الذكر الحكيم .

وفي مثل هذه الايام من احدى السنين القريبة - وقبل وفاته - كنت في منزله فدار بيني وبينه حديث ، فقلت له :

- قال الله تعالى : « انى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرىء الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » .

فذهل الرجل ، وقال : تالله ، انني مررت على هذه الآية كثيرا ، ولكنى لم أفطن اليها ، وكأننى أسمعها أول مرة .

وكانت معنا ضيفة مسيحية - وهى شابة - فقالت لى : ان محمدا - وتقصد رسولنا صلى الله عليه وسلم - متعصب ، فأباح للمسلم أن يتزوج مسيحية ولم يبح للمسيحى أن يتزوج بمسلمة ، وهذا لا يصح .

فقلت لها : ليس محمد صلى الله عليه وسلم بمتعصب ، فهو رحمة العالمين ، والسبب في اباحة زواج المسلم من المسيحية ومنع المسيحى هو أن المسلم مؤمن برسالة المسيح ودينه ، فمباح له أن يتزوج مسيحية ، أما المسيحى فليس بمؤمن بمحمد ولهذا لا يحل له زواج المسلمة ، أما اذا آمن حق الايمان برسالة محمد فحلال له زواج المسلمة .

وان آلاف المسيحيين في أوروبا قد دخلوا الاسلام عن فهم وبصيرة ، وأصبحوا دعاة له في تلك البقاع .

وما ثم وقت أصلح من هذا الوقت لنشر الاسلام والدعاية له في الغرب حيث أن الكنيسة أثبتت عجزها عن بث الطمأنينة في النفوس ، ولكن المسلمين نائمون لا يعلمون .

ان العالم المسيحى يعيش في قلق ، ولم يجد في المسيحية ما يطفىء ظمأه ، والاسلام قادر على أن يرويه ويهديه ، ولكننا نحن المسلمين لا نؤدى هذا الواجب ، وقد آن لنا أن نؤديه .

نحن نائمون ٠

نعم، نحن نائمون ، وأقصد بكلمة « نحن » العرب جميعا ٠ فالعرب نائمون ، واليقظ فرد أو أفراد لا يملكون الا صوتا قد يضيع ، وقلما لا يجد القوة حتى يصل ما يكتب الى العرب جميعا ٠

ولكننا نذكر ، لعل الذكرى تنفع المؤمنين ؟

* * *

الاسلام دين النظافة

الاسلام دين النظافة روحا ومادة ، ومن نظافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كـــان عرقه ينضح كالمسك ، ولا يجوز للمســلم أن يؤدى صلاته وفي ثوبه دم أو أى قذر يخرج من ابن آدم ولو كان رضيعا •

وما شهدت صلاة الجمعة أو الجماعة الا وتقطعت نفسى حسرات على المسلمين الذين تنكروا لايسر تعاليم الاسلام ، ويا ويلى اذا جاء مقعدي في المسجد الحرام بجانب أحد ممن لا أسمي أجناسهم حتى لا أؤذى مسلما !

ان النظافة لا تكلف ، فالماء رخيص ، والغسل للجمعة سنة حتى يكون البدن نظيفا لا تنبعث منه روائح كريهة تضايق المصلين ، والثوب يجب أن يكون نظيفا •

ولكن نرى عكس ذلك في بعض المقبلين الى المســجد للصلاة ، جسم قذر ، وثوب كريه ،وأنا لا أطلب اليه أن يلبس من « القماش » الغالى ، بل في وسعه أن يجعل ثوبه نظيفا ، بل لا بد للمسلم أن يخصص له ثوبا لصلاة الجمعة والجماعة يكون أبيض نظيفا لئلا يؤذى جاره اذا ارتدى ثوبا مهلهلا أو متراكما عليه الاوساخ •

في الصحابة كان من لا يملك غير ثوب واحد يغسله ثم ينزل للصلاة •

واذاكان النهي واردا فيمن أكل الثوم ألا يقرب المسجد حرصا عـلى ذوق المصلين وراحتهم وطمأنينتهم ، فان من الضرورى أن يبتعد عن المسجد من لا يعنى بنظافة جسمه وثوبه •

كنت ذات مرة في مصر أدخل مسجد الكخيا للصلاة ، فاذا عالم يمنع دخول مسلم في المســجد للصــلاة ، واستعان بالشرطـة وطرده ، فغضبت ـ لجهلي وتسرعى ـ وقلت لذلك العالم : كيف تطرد مسلما من بيت الله ؟ وكيف تمنعه من أداء الصلاة جماعة ؟ ألانه فقير ؟

وهدرت كالبعير ، حتى اذا انتهيت من ثورتي قال العالم المصرى : أنا يا بنى لم أطرد المسلم ولم أمنعه من الصلاة جماعة ، بل منعت الوساخة والقذر والحشرات من الدخول الى بيت الله ، ان أحدنا حريص على نظافة

بيته ، فكيف لا نحرص على نظافة بيت الله • ان هذا الرجل ملابسه غاية في القذارة ومليئة مع جسمه بالقمل ، واذا دخل المسجد ترك مما يحمل كثيرا ، وان ديننا يأمر بالنظافة ويعاقب من لا يعنى بها •

وقنعت من العالم ، وكان الشيخ عبد الرحمن تــاج أحد شيوخ الأزهر الســابقين •

وتذكرته وأنا في الطائف ، دخلت مسجد محمد سرور باليمانية ، فاذا هو مزدحم باخواننا اليمنيين الزيود ، وكل منهم يحمل عددا لا يحصى من القمل والبق ، وهذه الحشرات تمرح في المسجد وتبحث عن الأجسام السليمة • وعدت الى البيت وأنا أكاد أدمي جسمي من الحك بل ادميته حقا ، وظننت « طيشة دم » وهرعت الى طبيب •

ولكن صديقا قابلني فشكوت له ، فكشف لي السر • لم يكن طيشة دم بل بق وقمل فتكا بي شر فتك •

وعــدت الى منزلي ونزعت ملابسي فاذا قول صديقي هــو الحق ، أفي منع مثل هؤلاء حرج ؟

انني أرى أن يمنع أمثال هؤلاء من المساجد حفظا لنظافتها وحرصا على المصلين من الاذى •

تذكرت الشيخ « تاج » وأدركت صواب عمله اذ طرد ذلك المسلم من بيت الله ومنعه من دخوله ، لان المسجد ليس ملك هذا القذر يطلق فيه ما يحمل من أقذار وحشرات •

ولو كان لي من الامر شيء ، أو لو كنت « هيئة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر » لطلبت الى المسلم الذي يقصد المسجد أن يكون نظيفا في جســمه وثوبه ، وأنذرت بأن كل من لا يرتدي ثوبا نظيفا يمنع من دخول المسجد •

والذي دفعني الى كتابة هــذه الكلمة انني كنت في الحرم الشريف ووقفنا لصلاة الجماعة ، فاذا رجل يزحمني أنا وجاري حتى يتخذ له مكانا بيننا ، وكنا قد دخلنا في الصلاة ، وشغلني الرجل بروائحه القذرة ، وما كدت أسجد حتى كدت ألفظ نفسي ، كدت أستفرغ ، ولهاني عن الصلاة •

وبينما أنا في حالي يرثي كان جاري الذي فرقني الدخيل عنه قــد أخرج منديله على فمه ثم ترك الصف ومضى لانه ملأ منديله قيئا •

وما كدت أنتهي من الصلاة حتى تناولت « سجادتي » وانفلتت من الصف . ومن حسن حظي أنني ما كدت أغادر باب الحرم حتى استفرغت .

ان الصلاة سكون وتأمل واتصال بالسماء ، ووقوف بين يدي الله ، ومن يقف هذا الموقف وجب أن يكون نظيفا ، وأن يكون هادئا ومتجها الى الله بقلب سليم لا يشغله شاغل ، وهذا يحتم ألا ندع في صفوفنا مكانا لمن لا يسمع لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « النظافة من الإيمان » .

اننا حين نمنع من تكون ملابسه قذرة وجسمه وسخا ، عن دخـول المسجد والمشاركة في أداء الصلاة جماعة لا نمنع الا القذارة والوسخ عـن دخول بيوت الله كما قال الشيخ « عبد الرحمن تاج » .

واذا كان سيدنا عمر بن الخطاب يخرج من المسجد رجلا لانه قائم فيه في أوقات العمل والمعاش وقال له : لا تمت ديننا فان من حقنا أن نخرج من لا يتنظـــف ؟

نشرت في جريدة « عكاظ » سنة ١٣٨٣ هـ

* * *

القتال المأجور

أنواع القتال كثيرة في هذه الحياة ، هذا يقاتل عن دنيا يصيبها ، وذلك عن فكرة خبيثة يحملها ، وثالث يقاتل عن القومية ، ورابع عن مذهب هدام يطليه بطلاء الاسلام حتى يتم له الخداع والتضليل ، وخامس يقاتل حمية ، وآخر رياء . وهكذا ..

فأى هذه الانواع القتال المأجور ؟

والجواب الصحيح ان كل هذه الانواع عدوان لا يرضى به الاسلام ، وقتال حرام في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ، لانه قتال في سبيل الشيطان منزوع المثوبة مقرون بغضب الله وسخطه وعقوبته ، ومافيه الا هلاك الانفس وخسارة الاموال ، وشيوع المخافة والقلق في صفوف الناس .

عن أبى موسى قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ما القتال في سبيل الله ؟ ان أحدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية ! فرفع اليه رأسه وقال : وما رفع اليه رأسه الا أنه كان قائما فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو في سبيل الله عز وجل .

وهذا كلام واضح لا لبس فيه ، فالقتال الحق هو أن يكون لاعلاء كلمة الله وحده ، لا اعلاء لكلمة حاكم ، أو حمية من أجل جاه أو سلطة ، أو غضبا لدنيا ، أو تأييدا لمذهب من هذه المذاهب التى لا يعترف بها الاسلام .

وهذا القتال المنتشر في بعض بلدان العالم العربى الذى يدخل فيه حرب السلاح ، وحرب الصحافة والاذاعة ، وحرب المؤامرات انما هو قتال شيطانى بعيد عن اعلاء كلمة الله بعد الشيطان عن الله .

وكل هذا القتال الباغى الذى نشهده ونسمع قعقعة سلاحه ليل نهار انما هو قتال اجرامى من أجل مصالح أفراد وأحزاب انتزعوا السلطة بدون حق انتزاعا لا يقره الاسلام لانهم جاءوا الى الحكم طمعا في السيطرة والنهب والسلب والقضاء على دين الله .

وليس بين هؤلاء الزعماء المقاتلين حاكم ينفذ شريعة الله ويغار على الاسلام ويفقه أوامره ونواهيه ، بل يجهلون فروض الوضوء وينادون بشعارتا ما أنزل الله بها من سلطان ليخفوا فيها الاسلام ويحطموه ويشغلوا الامم المسلمة بأضاليل وأباطيل وترهات يزعمون أنها من الاسلام وما هى من الاسلام في شيء ٠

يزعمون ذلك ليسوغوا قتالهم الاجرامى ويسوقون اليه شعوبهم سوقا ٠

ان كل قتالهم حرام وباطل لانه ليس القتال المشروع ، والقتال المشروع ـ كما حدده محمد صلى الله عليه وسلم ـ هو القتال لتكون كلمة الله هى العليا ٠

ومما لا شك فيه أن قتالهم الذى نشهده ليس في سبيل الله ، لان الله لا يرضى العدوان ولا يرضى الظلم ٠

وتاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم بين أيدينا وليس فيه قتال الا لاعلاء كلمة الله ، لم ينشدوا من قتالهم دنيا يصيبونها ، أو حكم يثبون اليه وثبا ، أو سيطرة يبذلون من أجلها كل شيء ٠

ويجب على المسلمين الا يخضعوا لمطامع حكامهم للدخول في معارك وقتال وحروب عدوانية كالقتال الناشب في بعض البلدان العربية ، ويجب عليهم أن يمتنعوا عن مقاتلة اخوانهم ارضاء لشهوات الحكام الضالين الذين لا يؤمنون بالله الا رياء والا عندما يكربون ، والا فسيكونون شركاءهم في الاثم والعار ؟

نشرت بمجلة « الرائد » سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٥٩ م) ٠

* * *

العـالم
يسير الى الوحدة

في الناس من يعتقد أن الاسلام حلم جميل حين يدعو الى الانسانية والعالمية ووحدة بنى الانسان شعورا وعقيدة ووجدانا وأمنيات وأهدافا ولغة ، وبين من يعتقدون هذا الاعتقاد مخلصون للاسلام حقا .

وهناك من يرون الإسلام حلما جميلا يتبدد حينما يصطدم بالصحو والواقع . ومن ذوى الهوى والحقد على الاسلام أو الجاهلين بحقيقته يرون هذا الرأى لا حبا في الاسلام وقدرا له واعجابا به بل يرونه ليخلصوا منه الى أن الاسلام لا يصلح للواقع ، فهو جدير أن يبقى حلما ، ويقصدون منه « تعطيل » الاسلام وابعاده عن المجتمع وزيه في الضمير ، وبذلك يقضون عليه .

والإسلام — أولا — ليس حلما جميلا ، بل هو واقع جميل ، وهو — ثانيا — ليس دينا يراد منه أن يفصل صاحبه عن الحياة والمجتمع ، بل يقذف به في غمارها ليعمل ويكافح ويجاهد ويبنى ، فهو دين الانسانية .

وعندما نقول دين الانسانية نجد أولئك الذين يزعمون أن الإسلام حلم جميل يبرزون بدليلهم الذى يظنون أنه يثبت ما زعموا وهو أن من الاحلام أن يقال : دين الانسانية لان من المستحيل أن يتحد العالم في دين واحد ، أو أن يكون أكثر سكانه معتنقيه .

ونحن حينما نقول : ان الاسلام دين الانسانية وما يدعو اليه من الوحدة الانسانية العامة أو العالمية لا نذهب مع الخيال والوهم ، لان الحقيقة تنهض معنا لاثبات ما ذهبنا اليه ، فالاسلام استطاع أن يجمع مئات الشعوب والقبائل والامم والجماعات التى كانت معزولة ومحصورة في حدود ضيقة ، ويوحد بينهم ، ويعمق فيهم الشعور الانسانى حين يصبح الزنجى شقيقا للعربى ، والعربى شقيقا للهندى والصينى والتركى ، وهؤلاء أشقاء للفارسى والاوروبى ، ويقضى على التفرقة العنصرية وتفوق الدم وسيادة سلالات معينة خاصة ، ويجعلهم جميعا اخوة متحابين في الله ، لا فضل لاحد على أحد الا بالتقوى .

فاذا استطاع الاسلام خير سبيل الى هذه الوحدة وتحقيقها في عصر انقطاع السبل والعصبيات والجهل والضيق والفقر فانه مستطيع تحقيقها في هذا العصر الذى تقاربت فيه الابعاد وانطوت المسافات حتى أصبح العالم أكثر ترابطا ووحدة وتماسكا وتشابكا ومعرفة من أبناء الشعب الواحد في العصر الذى جاء فيه الاسلام ٠

وليس تحقيق ذلك بمستحيل ، فكل شيء في هذا العصر يقرب الابعاد ويدفع الى الاعتقاد بأن من الممكن تحقيق الوحدة العالمية ، فهذه الصناعة الآلية استطاعت توحيد العالم كله في عصرنا الحاضر ، فأدوات المواصلات من طائرات وسيارات وقطر ، وكل ما يستعمل في المنزل الحديث وآلات الزراعة والنسج ـ مثلا ـ واحدة في بلدان الارض ، في أمريكا وفي الصين وجزيرة العرب وفي الصحارى والمدن والقرى ٠

فاذا استطاعت الصناعة المادية أن تصنع كل هذه الوحدة وتربط العالم بعضه ببعض ربطا محكما فان الدين الاسلامى لن يعجز عن توحيد العالم لخير سكانه ، لانه استطاع الى التوحيد سبيلا واضحا مستقيما سهلا في ظروف غاية في الصعوبة والتفكك والانحلال ٠

وان انصراف المسلمين عن دينهم ، وقصرهم الدين على العقيدة تقليدا للغرب دون تطبيقه ، وتأخرهم ، وبعدهم عنه وجهلهم به ، كل ذلك كان من أسباب ضعف الثقة في قوة الاسلام وقدرته على تحقيق الوحدة العالمية وعلى بناء المجتمعات وتسيير المعاملات ٠

والاسلام قادر كل القدرة على هذا وأكثر منه ، قادر أن يجمع شمل الانسانية الشتيت ، ولكن أين من يعرضون حقائقه ويصقلون جوهره ويطبقونه أحسن تطبيق في عالم الواقع ؟

لا بد من العمل ومن اجماع قادة الفكر الاسلامي وزعماء المسلمين وأئمة الدين والفقهاء على عرض حقائق الاسلام عرضا صحيحا سليما يتفق مع جوهره وجلاله وجماله ، وعلى تطبيقه اذا أردنا أن نقنع العالم أن الاسلام دين انسانى عالمى ، واذا أردنا انقاذ العالم من القلق الذى يدمر الروح ، وأردنا أن يعيش في أمن وسلام واخاء ورخاء ٠

ان الاسلام قادر على تحقيق الوحدة العالمية ، ولكن أين من يؤمنون به ولديهم المقدرة على الفهم والتحقيق والتطبيق ؟ وأغلب الظن أننا نحن المسلمين نعرقل سير الاسلام ونحول دون أن يكون دين الانسانية ! ؟

ليس من الاسلام

قال الصحابى الجليل أبو ذر رضى الله عنه : « لقد حدثت أعمـــال ما أعرفها ، والله ، ما هى في كتاب الله ولا سنة نبيه ! والله انى لارى حقا يطفأ ، وباطلا يحيا ، وصادقا يكذب ، وصالحا مستأثرا عليه !! » •

رحم الله أبا ذر وأسكنه الفردوس ، ما كان يقول لو كان في أيامنا ؟! والله ، لهلكت نفسه مما يسمع ويرى مما لا يتفق مع الاسلام الحق •

انه كان في عصر النبوة ، ومع هذا قال : « حدثت أعمال ما أعرفها » •

وأنا عندما أرى أحوالنا أكاد أهلك من الالم ، الله جل جلاله نعصيه علانية وفي كل وقت ونركب الباطل ، ونعمل أعمال الشرك ، ونقول غـير الحق ، ونأكل الرشـــوة ، ونؤذى الجـار والبعــيد والقريب ، ونبيح جميع المحرمـــات •

نعم ، نبيح جميع المحرمات : الخمور نصنعها ونتاجر فيها ، وما أكثر من يقبض عليهم ، ولكن دابر صانعي الخمور لا ينقطع •

ولئن كان أكثر من يصنعها غير سعوديين أصلا الا أنهم مسلمون عرب •

لقد بعدنا عن الاسلام كثيرا ، ولا ندين الله في أعمالنـــا وأقوالنا ، وكأننا لا نؤمن بآخرة • واتهمنا الدين بالنقص كأنه ليس دين الله ، وأمحى خوف الله من القلوب ، وحاربنا الله ورسوله •

لقد عاد الاسلام غريبا في كل أوطانه ، وفي وطنه الاول ، وأمرنـــا بالمنكر ، ونهينا عن المعروف •

كلنا نكذب ، نكذب على الله والرسول ، ويكذب بعضنا على بعض ، ويكذب بعضنا بعضا تكذيبا ، ونكذب تظرفا ، ونكذب في كل شيء •

وكل علامات المنافق فينا ، فاذا تحدثنا كذبنا ، واذا ائتمنا خنا ، واذا وعدنـــــا أخلفنا •

وندر فينا من ليس فيه هذه المذمومات المحرمات •

وكلنا في سبيل لقمة العيش نعصى الله ، ولو كنـــا مسـلمين حقا وحاسبنا أنفسنا حسابا صحيحا لوجدنـــا أنفســـنا في طريق والاسـلام في طريق ..

نحن مسلمون اسما ، ولو كنا مسلمين حقا لكنا أعظم الناس خلقا وفضلا وكمالا ، وأكثرهم غنى ، وأحسنهم عملا ، وأشد تقدمـــا وفلاحا ، ولكن نحن لسنا كذلك ، لاننا لم ننفذ شريعة الاسلام ، ولم نأخذ أنفسنا بدين الله .

الاسلام يأمر بالصلاة ، والصلاة عمود الدين أو عماده ، بل همـــا معا ، فمن منا الذى يصلى صلاة كاملة ؟ اننا نؤدى الصلاة ـ اذا أديناها ـ وكأن حملا ثقيلا نريد أن نتخلص منه .

ولو كانت صلاتنا كاملة ، لنهتنا عن الفحشاء والمنكر ، ولكننا نكون في الصلاة ونحن نفكر في منكر وأذى .

وكثير منا لا يصلون ، فاذا أمر أحد بالصلاة استكبر ، واذا نصـح تضجر ، وقال : يكفى أن يكون الانسان صافي القلب، نقى الضمير، لايؤذى.

ويغفل عن أن محمدا عليه صلوات الله وسـلامه كـان أصفى الخلق قلبا ، وأنقاهم ضميرا ، وأبعـــدهم عن الاذى ، ومع ذلـك كان أكثر من في الارض صلاة وركوعا وسجودا .

ان الصلاة آية المسلم ، فمن تركها عامدا فهو كافر ، وما أكثر مـن يتركونها عمدا !! وما أكثر من يناقشونك ليسوغوا ترك الصلاة .

نصحت ادارة بالصلاة فتكبر المدير ، وناقش في أن الصلاة تضيـع من العمال نصف ساعة .

كنت أعرف منذ قريب كل ادارة تصلى ، أما اليوم فلا الا القليل .

واني أشكر الله وأحمده ثم أشكر وزير الصحة على أمره القاطع بأداء الصلاة جماعة من قبل موظفى الصحـــة ، وقد رأيت مستشـفى أجيـاد ومستشفى الزاهر ومستشفى الولادة بمكة وكلـــها تؤدى صـلاة الظهر جمـــاعة ، فسررت .

فلماذا لا يكون هذا عاما في كل ادارة ٠

ولماذا لا يكون هذا في الشركات والمصالح والبنوك ٠

انني سررت ذات يوم وأنا في محل تجارى بجدة ، ما كـاد المؤذن يؤذن لصلاة المغرب حتى ترك الموظفون أعمالهم ومضوا الى الصلاة في المحل نفسه ، ثم عادوا الى أعمالهم بعد الصلاة ٠

وأعرف أناسا صالحين ، ولكن لهم أولادا لا يصلون ، وأعرف أسرا لا تقيم الصلاة وهى تنعم بخيرات الاسلام ٠

ان واجب الحكومة أن تأمر بالصلاة ، وتضرب عليها ، وتبعث بدعاتها الى جميـع الادارات والمدارس والمصـالح الحـكومية والاهليـة ليراقبوا أداء هذه الفريضة ٠

وكان لى صديق حميم من أعز الخلق على ، وجميع أعماله صالحـة ، ولكنه لا يصلى ، فنصحته حتى تعبت ، فاضطررت الى قطيعته ، وما زلت مقاطعه لانه لا يصلى ٠

وكان لى صديق آخر ، هو امام في الادب الحديث ، ونابغة وعبقرى ونصحته بالصلاة فانتصح ، حتى أصبح من أعظم أئمة المسلمين ٠

ولا أقبل أن يخدم في بيتيأحد ـ سواء كنت في بلدى أم في غير بلدى ـ اذا كان تارك صلاة ٠

ولكن في أيامناهذه قل اهتمام الناس بالصلاة ، فالمحلات التجارية لا ينهض من بها للصلاة اذا جاء وقتها ، وماأكثر الخصومات بينهم وبين الدعاة٠

ان الصلاة هى « العلامة الفارقة » بين المسلمين وغير المسلمين ، فاذا تركنا الصلاة فما الفرق بيننا وبين غيرنا ؟

والقرآن لا نقرؤه ، وندر من يستقبل يومه بقراءته ، مع أن بلادنـا كانت منذ عشرين سنة تدوى كل صـباح بالقرآن ، ولكن الآن تمشى في الشوارع والازقة فلا تسمع الا غناء وأناشيد ٠

كانوا ينشئون الاطفال على الصلاة والقرآن ، ولكن اليوم اختلف الامر وهـذا نذير بسوء يجب أن نتلافاه بالعودة الى الدين ٠

كل يوم جديد تشرق شمسه ونحن نزداد عن الاسلام بعدا ، فهذه الصلاة قد تركناها ، وما أكثر المفطرين في رمضان ! وما أكثر من يحج منا بقصد تغيير المنظر والتنزه لا العبادة ، ولهذا نسمع في عرفات عند ساعة الاستغفار والنفرة الاغاني الخليعة .

وأقسم بالله ، أنني كنت أصلي في المسجد الحرام منذ أيام عند باب « دريبة » فاذا الراديو يصلىء منه صوت مغنية تتكسر وتغني غناء جنسيا مثيرا .

والرشوة قد عمت ، والفساد قد انتشر ، وما أظن هذا الا خرابا للدولة ، فاذا لم ننهض لمحاربة الرشوة والفساد فقد خسرنا ديننا وآخرتنا .

وهنا ـ في بلادنا المقدسة ـ من ينتقص الاسلام لانه يأمر بحجاب المرأة وأدبها ، فاذا قام من يدعو الى الحد من تبرج المرأة حورب ورمي بالرجعية .

وحادث المطاف أعظم دليل ، ذلك الحادث الذى نشرت عنه جريدة « الندوة » منذ أيام ، وخلاصته ان نسوة أربعا أردن الطواف وكن في مظهر لا يليق أن يظهرن به في أقدس مكان ، فلما نصحهن ناصح استكبرن وأحلن مكان العبادة ميدانا للصياح .

والمرأة في السوق وفي الشارع تمشي والعطر ينبثق منها ويسطع ، ومشيتها مشية يبغضها الله ورسوله ، وأحاديثها فسق ومجون ، وكلماتها اغراء وفتون .

وهذا انحلال خلقي يجب أن نحاربه .

وفي هذه الايام بدأت البدعة تظهر من جديد ، بدعة ظهور الاجنبيات في الشوارع وهن سافرات .

ومن شر الاعمال بيع الصحف الخليعة الماجنة عيانا ، فبعض المكتبات تبيع مجلات فرنسية تصدر في باريس ، ورأيت في بعضها صورا للعملية الجنسية ، وهذه المجلات تمنعها بلدان أوروبة ، ولكنها تباع في بلادنا المسلمة علانية وجهارا . والكتب الجنسية تباع كل سنة بالآلاف في بلادنا المقدسة .

وكل هذا في حاجة الى قوة تنهض لمحاربته حماية للاخلاق ، وصونا للعفة .

وشي من ذلك أن « صالحا مستأثرا عليه » كما قال أبو ذر رضى الله عنه ، الصالح ضعيف لا صوت له ، لانه لا يجد طريقا ، ولأن ألف فاسد يحجبونه لئلا يظهر ، ولأن غير الصالح يستطيع أن يرضى أصحاب النزوات فهم يقدمونه لأنه يحقق لهم المآرب وغذاء الشهوات •

ان مثل هؤلاء كمثل مائة بائع « حليب » فهم يوجدون الكلمة ضد هذا « الواحد » الامين ويتهمونه أو يترك مهنته •

انني أقول كما قال أبو ذر رضى الله عنه : « لقد حدثت أعمال ما أعرفها ! والله ، ما هى في كتاب الله ولا سنة نبيه ! والله ، انى لأرى حقا يطفأ ، وباطلا يحيا ، وصادقا يكذب ، وصالحا مستأثرا عليه » •

رحم الله أبا ذر ، لو كان في أيامنا لمات حزنا وهلعا ، فاذا كان في عصر النبوة ورأى في الشام بعض أعمال ، فقال ما قال مما يدل على ألم بالغ وفجيعة لا تطاق ، فكيف يكون حاله لو رأى ما نحن عليه الآن ؟!

ان الإسلام ـ يا قوم ـ لم يستنفد أغراضه لانه دين حي خالد صالح لكل زمان ومكان ، وما ثم دين أو مذهب ضمن السعادة لمن يعتنقونه في الحاضر والمستقبل مثله ! انه ضمن المستقبل البعيد الذي لا يعلمه غير الله ، انه الآخرة ، ومع هذا نجد بين ظهرانينا من يتهمه بالرجعية وفقدان صلاحه للعصر الحاضر •

ان أول شيء يجب أن نهتم به هو « الصلاة » ، ولكننا قد حاربنا هيئات الامر بشتى الطرق وقاومنا الدعاة الذين ينبهوننا للخير ، وأي خير أعظم من الدعوة الى الصلاة •

انني أرجو من الحكومة أن تهتم بالدين حق الاهتمام فتأمر الدعاة أن يجوبوا الادارات والمصالح سواء أكانت حكومية أم أهلية ، وينبهوا الناس للصلاة ، فمن أطاع فالحمد لله ، ومن عصى سيق الى العقوبة ، لاننا لا نقبل أن يمشي على أرضنا تارك صلاة أو متهاون أو كسول عنها •

صحيح ، ان الحكومة مشغولة ليل نهار ، ولكن خير ما يشغل به الحاكم نفسه أن يدعو الى الله ، وعلى الاخص « الصلاة » ، والحاكم لم يشغله الحكم عن الصلاة جماعة في حين أن موظفين يتخلفون ، وكأنه ليس أسوة •

وبعد الصلاة أمور الحياة الاخرى التى أشرت الى بعضها في مقالى هذا ، فقد استشرى البلاء واستفحل الداء ، وان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

أما الرشوة فلا يقضى عليها ألا منا نحن قبل الحكام ، فاذا امتنعنا عن الرشوة وقاومنا المرتشين وشكوناهم اذا عطلوا أعمالنا أو قاموا ضدنا فاننا نكون قد قضينا على الرشوة والمرتشين .

ان الراشى المضطر محاسب أمام الله ، وعذره بأنه يخاف على مصلحته غير مقبول ، لأن الخشية على الدين أولى .

ومع هذا لا أعفى الحكام ، فهم أقدر على تغيير المنكر ، وفي وسعهم أن يقيموا عيونا لهم ترقب كل موظف وتتصل به وكأنه صاحب معاملة ليضبطه في حالة قبض الرشوة .

اننى أرجو من الحكام أن يحاربوا المناكر التى تمرح في بلادنا ، ويقفوا في وجه الثقافة اللادينية ، ويحموا أرض الاخلاق من الفساد .

واننى اعرف أنهم يعملون ليل نهار في سبيل الله ، ولكنى ارجو مضاعفة الجهود ، والاكثار من الدعاة والمرشدين والمجاهدين .

وليوفق الله المخلصين لدينه ، ولينصر الله حزبه ، الا أن حزب الله هم الغالبون ؟

نشرت بجريدة عكاظ سنة ١٣٨٠ هـ

* * *

غربة الاسلام

« بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا » •

حديث شريف مر بى منذ ثلاثين سنة ، وكنت لا أفهم معناه ، لاننى كنت أرى الناس شديدى التمسك بالدين ، حريصين على الصلاة والصيام والحج •

وفي خلال هذه السنين تغير شيء كثير في حياتنا ، وفهمت معنى الحديث ، فصوت الاسلام صار مخنوقا ، وأنكره أهله ، وابتعد عنه ذووه ، وصار المتمسك بدين الله رجعيا ، والخارج عليه متحررا تقدميا •

ويستطيع المرء أن يكون بين يوم وليلة رجعيا أو تقدميا ، اذا أنكر ما أنكره الاسلام صار رجعيا ، واذا تسامح في الفروض أو تركها ودعا الى ما فيه خروج على الاسلام أصبح متحررا تقدميا •

وصار المتمسك بدينه مسبوبا مشتوما محتقرا ، والداعى اليه بصلابة وقوة منبوذا يكاد له ويدس •

ويعلم الله أن الدهشة تصيبني أحيانا الى حد الهلع والخبال من جراء ما أجد في بعض صحفنا من كفر بواح يعلن على رؤوس الاشهاد ، ودعوة الى الرذيلة ، وتحبيب للشر ، وهتاف بأسماء قوم مقتهم الاسلام ويعاقبهم على أعمالهم وأقوالهم •

يا قوم ، ماذا بقى لنا من أمر السماء غير هذا الدين الذى أخذنا ننقضه بأعمالنا وأقوالنا ، ونترك أوامره ونأتى نواهيه ، كأن بيننا وبين الاسلام ثأرا ، ما يأمر به ندعه ظهريا ، وما ينهى عنه نتمسك به •

أالى بلادنا تصل أمواج هذا التحرر المقيت ؟

ليت شعرى ماذا نصنع للمحافظة على دين الله الذى أخذنا نضيعه ؟ وكيف نصونه ونؤدى حقه ؟

لا بد من قوة ترد عن دين الله ما يراد به ، والا فان مصابنا فيه سيكون أليما •

ان الاستعمار وكل قوى الشر أرادت هدم الاسلام منذ مئات السنين ، ولكن كتاب الله كان يجمعنا لاننا كنا نؤمن به حقا ، نعمل ما يأمر به ، ونتجنب ما ينهى عنه ، أما اليوم ، فقد تغير الامر وصرنا نحن الذين نهدم الاسلام أشد من هدم أعدائه العتاة الظالمين ٠

اللهم احفظ دينك وانصر عبادك المؤمنين ٠

نشرت في « عكاظ » سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤م)

★ ★ ★

الاســـلام

غريب بين أهله

نعم ، هو غريب بين أهله الاصلاء ودياره الاولى ، ونقول ذلك ونحن نتقرب الى الله بقول الحق ولا نخشى على الاســـلام قوة عسكرية أو قوة معنوية تغزوه من الخـــارج لتقضى عليه ، فنحن رأينـا الحروب الصليبية المشنونة على الاسلام في شدة ضعف أهله وهزال معتنقيه أعجز ما تكون عن تقويض الاسلام ٠

ورأينا الضراوة الشيوعية التى فتكت بأكثر من عشرين مليونا مـــن المسلمين وأحرقت أكثر من مائة مليـــون مصحف في الدول الاسلامية التى احتلتها ، وسجنت وضربت كل مســـلم يأخذ نفســـه بدينه ويحرص على الفرائض ٠٠ لم تستطع أن تقضى على الاسلام لانه ما زال يعيش على رغم الوحش الشـــيوعى ٠

وان خمسا وأربعين سنة التى مضت على الشيوعية وهى تتسـلط على بلاد اسلامية شاسعة وعلى أكثر من ثلاثين مليونا من المسلمين وتبالغ في محاربة الاسلام وقتل المسلمين ، فشلت أن تقلب كل الناشئة الاسلامية شيوعيين ، بل رأت شبانا مسلمين روسيين حريصين على الاسلام ، فشلت أن تجعلهم شيوعيين مع أنهم ولدوا في عهدها وتربوا على يديها ٠

لم أرهم في موسكو ، لانى لم أدخلها ، ولا أريد أن أدخلها ان شاء الله، بل رأيتهم في بعض بلدان أوروبا وفي العالم العربى ٠

وفي الهند التى يتوحش بعض البـوذيين ويفتـــكون بالمسلمين زاد الاســـلام رسوخا ٠

وفي الحبشة وأرتيريا حيث تضطهد الحكومة الاثيوبية المسلمين مـــا استطاعت الا الاخفاق ٠

وفي اندونيسيا حيث الشيوعية تستأسد ، ما يزال الاسلام بخير ،

بل الاسلام في الصين الشيوعية الذى تعرض لاقسى امتحان عرفه التاريخ هو بخير أيضا ، برغم فتك الشيوعيين بملايين المسلمين •

وفي وسط هذه الحروب المشنونة على الاسلام نجده ما يزال على رغمها يزداد رسوخـــا •

والخطر اليوم على الاسلام يكمن في دياره الاولى ، ويتجول شبحه في بيوت الله ليلتهم العقائد أو يستلبها من بين الضلوع ، لان بعض الحكومات العربية وضعت « مخططات » يراد منها هدم الاسلام بشتى الطرق •

أولا : باخلاء مناهج التعليم وبرامجه من دروس الدين •
ثانيا : اضعاف اللغة العربية وآدابها وعلومها •
ثالثا : احالة المعاهد الدينية الى معاهد مدنية •
رابعا : السخرية برجال الدين ، وتصويرهم صورا بشعة •
خامسا : تسلم ملاحدة وكفرة وشيوعيين زمام السلطة والحكم •
سادسا : تسلط هـؤلاء الحـكام على أجهزة الدعاية والاعـلام وتسخيرها ضد الاسلام •
سابعا : اتهام الاسلام بالتأخر والجمود •

والبلد الوحيد الذى يقيد نفســه بالاسلام حكما ودستورا ونظاما ومظهرا وجوهرا هو هــذا البـلد ، وحكومته هى وحدها الحـكومة الاسلامية في العالم •

وفي الوقت الذى يخجل الحكام من أن يعـلنوا أنهم مسلمون ، وأن الاسلام شريعتهم ودستورهم ، نجد حكام هذه البلاد يعلنون دائما في عزة وثقة أنهم مسلمون ، ويحـكمون بالاسـلام ، ويدعـون الله أن يوفقهم لاعـــلاء كلمته •

وفي حفل أهل مكة التاريخى للامير فيصل أعلن ان حكومة هذه البلاد حكومة اسلامية ، أعلن ذلك في ثقة وعزة وكبرياء •

ثم أشار سموه الى ضعف الدراسة الدينية ضعفا عاما ، وطلب الى العلماء أن يتخصصوا في دراسته وبحثه لانه الدين الصالح لكل زمـــان ومكان ، الصالح للتطبيق في جميع البلدان والبيئات •

وما ذهب اليه الامير فيصل حق ، فليس لدينا من درس الاســلام دراسة صميمة مستوعبة شاملة ، لان العلم بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وحفظ القرآن والالمام بالصحيحين والامهات وبالفقه ليس كافيا لان يكون هذا العلم دراسة وبحثا وثقافة ٠

وينقصنا جميعا العلم بمــا عنـــد الآخرين من علوم وشرائع ونظم وقوانين ، حتى نعرف فضل الاسلام بعد البحث والموازنة والنقد ، اذ لا يكفى ان اقول : الاسلام دين خير ، ولا أبرهن على هذا الخير برهانا يقنع غــير المسلمين أو يقنع ملايين من المسلمين الذين رضعوا لبان الثقافة الغربية ٠

اننى أشعر بخجل عندما يسألنى بعض علماء الديانات الاخرى عن حلول الاسلام لمشاكل العصر وقضاياه ، وعن آرائــه فيمــا جــد فيه من النظم والقوانين ٠

أعرف أشياء كثيرة في الفقه الاسلامى ، ولكن هذه المعرفة لا تجدى نفعا في مجال الدعوة والتبليغ ، وقدرتى في المنطق ضئيــلة ، فاذا سألنى سائل عن الحـــكمة في الحـــدود كالقطع في السرقة ، رددت ما تعلمت في المدرسة ، وهو كلام قد يقنعنى أنا ولكنه لا يقنع كثيرا غيرى ٠

ويسألنى سائل عن « الرق » ويأخذ في مهاجمة الاسلام ، فاذا جئت بما تعلمت في المدرسة أو علمت من الناس في بلدى ، كان ذلك في صلاح خصمى ، لانه لا يقنعه ، بل يكون سلاحا ضدى ٠

فاذا جئت له بما كتب عباس محمود العقاد في كتابه « الفلســـفة القرآنية » في الرق والحدود وجدت من السائل اقتناعا ورضا لان العقاد يستنبط ، ويهتم بالادلة العقلية ، وعقد الموازنات بين أعمال الاسلام وأعمال الشرائع الاخرى ، وأعمال العصر الحاضر ، ولان العقاد لا يقف علمه الواسع على علوم الاسلام وحدها ، بل يعرف معرفة فقه واستيعاب علوم العصر الحاضر التى تعينه على كشف أسرار الاسلام وبيان عظمته ٠

وكما قلت : لا يخشى على الاســـلام من عــدو يزحف اليه بطائراته وصواريخه وقنابله وجيوشـــه ، بل يخشى عليــه من أهله الذين يشعرون بالخجــل عندمــا يتحـــدثون الى غربى في « الرق » و « تعدد الزوجات » و الطلاق » و « الحدود » كأن ذلك سبة تبعث على الحياء أو الخجل ٠

نريد باحثين دارسين مثل العقاد وسـيد قطب وصبحى المحمصانى وعبد القـادر عودة ، يظهرون حقيقة الاسلام وعظمته في منطق غـلاب وبيـان خـلاب •

نريد باحثين كهؤلاء لا كأولئـك الذين يحفظون قليلا من النصوص يفسرونها تفسيرا ضيقا لا غناء فيه لباحث عصرى أو مناقش يعلم كثيرا من العـلوم الحديثـة •

فحصت ما ظهر من مؤلفات سعودية فلم أجد بينها كتابا واحدا يبحث في بعض نظريات الاسلام التجـارية والسـياسية والاقتصـادية والمالية والزراعية والقـانونية والاجتماعية ، الا « رسـالة صغيرة » للاستاذ أبى سليمان عن نظرية الاسلام الاقتصادية ، وهى رسـالة بمثـابة مفتاح أو مقدمة أو عنوان •

ولكن أبا سليمان شغلته أعمال « الوظيفة » عن متابعة دراسـاته ولو تفرغ لافـاد •

لنتجه الى الدراسة : دراسة الاسلامدراسة واعية مستوعبة، ولنصحب دعوانا أن الاسلام خـير دين بالبراهين التى تقـنع ، فكل دعوى تفتقر الى الدليل والبينة تسقط ، وان كانت دعوى حق ؟

نشرت بجريدة « عكاظ » سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

* * *

وظيفة المساجد

كل الارض مسجد ، حتى السوق ، ما عدا مواضع كالقبر ومعاطن الابل وأمكنة القذارة تنزيها للصلاة •

والصلاة عمود الدين ، وهى الفارق بين المسلم وغيره ، وهى الناهية عن الفحشاء والمنكر ، ومجددة روابط المسلمين وموثقتها •

وان جعل كل أرض مكانا صالحا لاداء هذه الفريضة يوحى بأن دين الاسلام ليس دين الحجر والضيق والمعبد ، بل هو دين السعة والحرية ، دين ينتظم العقيدة الخفية والعمل الظاهر ، ينتظم هذه الحياة وما وراءها •

والجامع الذى يصلى فيه الناس انما اختير ليكون مجتمعا للمسلمين وناديا لهم ، ومؤتمرا وجامعة ومدرسة ، موضعا لعبادة الله وحده ، ومكانا لتلاقى الناس يعرضون فيه قضاياهم ومشاكلهم ويستقبل الوالى الوفود والسفراء ويعرض من فوق منبره أهم ما يشغل الاسلام والمسلمين ، ويلقى من فوقه ما يسمى « خطاب العرش » بلغة هذه الايام ، ويخبر الشعب بما يجرى من أمور سياسية أو حربية •

ولما أشتد الكرب بالمسلمين في غزوة مؤتة ، وقتل قادة المسلمين ذهب النبى صلى الله عليه وسلم الى المسجد ونودى : الصلاة جامة ، فلما اجتمع المسلمون وقف رسول الله في الشعب خطيبا ، وأخبرهم بخبر الحرب بين المسلمين والروم واستشهاد قادته زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة ، وبتولى خالد بن الوليد القيادة ولقبه رسول الله في موقفه هذا « سيف الله » •

أخبر الرسول بخبر المعركة وهى دائرة ، ويبعد موقعها عن المدينة بمئات الاميال وتقرب من ألف ميل •

وعندما نقضت بكر وقريش العهد الذى بينهم وبين رسول الله بما استحلت من خزاعة خرج عمرو بن سالم الخزاعى من مكة الى المدينة ولقى رسول الله في المسجد فوقف عليه وانشده قصيده شرح له فيها ما حدث •

وعندما مرض النبي مرض موته أقبل الى المسجد يسنده الفضل بن العباس وعلى بن ابى طالب وصعد المنبر ونودى الناس فاجتمعوا ، والقى عليه الصلاة والسلام خطبة الوداع ، يودع فيها اصحابه ، ويودع الحياة بما فيها وبمن فيها ويعرض نفسه للناس أن يأخذ منه كل ذى حق من أذى أو ضرب أو شتم .

كان المسجد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم محلا عاما لعبادة الله ومكانا لادارة الامور الحربية والسياسية والدينية واستقبال الوفود والسفراء والافراد والاسرى والقواد المحاربين ، كان المسجد بيت الحكم ونادى الامة ومكان العبادة .

وكان المسجد في عهد أبى بكر الصديق كما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كان في عهد عمر .

كان منبر المسجد للدعوة والنصح والقاء أوامر الدولة وبيان نهج الحاكم وسياسة الحكومة سلما وحربا ، وكان الخليفه يخبر الشعب بأنباء الحرب ويقدم لهم الاخبار .

ولما اتهم عثمان بن عفان رضى الله عنه بما اتهم به من توليه الاقارب وغير ذلك خرج الى المسجد واعتلى منبره واخذ يدافع عن نفسه وبين سياسته وخطته ووازن بين من سبقه وبين نفسه ، وأعطى الحق من نفسه ، ولكن لا راد لما قضى الله عز وجل

ولم تقف مهمة المساجد على أن تكون مكانا لانطلاق الدولة و « برلمانا » ودارا للحكم ، وناديا ، ومعرضا للآراء والقضايا بل تطورت واضيف اليها مهام جديدة ، فكانت مدارس وجامعات ، تضم مكتبات ، ومجالس للقضاء .

ولكن كل ذلك انتهى فأصبحت المساجد أمكنة للصلاة ، ولا شيء سوى الصلاة ، ولم تعد مركزا للسياسة ونشاط الدولة ، بل افضى الامر بالمساجد الى أن تستحيل منابرها للوعظ في أسلوب متكلف مصنوع .

ونرى في هذه الايام تجديدا في خطبة الجمعة حيث تتناول مشاكل الساعة وقضايا الامة ، ولكن وظيفة المساجد لم تعد كما كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الاسلام الزاهر ، فلا تفتح الا وقت الصلاة ثم تغلق ابوابها .

وان قصر مهمة المسجد على الصلاة تقليد أعمى لغير المسلمين الذين فصلوا بين الدين والسياسة ، ولهذا نرى كل حكام العالم الاسلامى من غير رجال الدين ، وبذلك تم انفصال الدين عن السياسة وعزله في المسجد وفي بعض الدروس الدينية التى تلقى •

وأفظع كارثة حلت بالمسلمين هذا الفصل ، وهو قصر الدين على المسجد ، وجعل المسجد مكانا للصلاة ليس غير الصلاة ، مع ان المسجد في الاسلام مركز للنشاط السياسى والحكومي والشعبى والدينى ولكل أنواع النشاط التى تدفع المجتمع الى الامام •

حتى المسجد الحرام الذى لا تغلق ابوابه ليلا قد تضاءل أثره في تعليم الناس ، فلم نعد نشهد العلماء والمدرسين ، ولم نعد نسمع دوى القراء والطلبة ، مع اننى أخذت تسعة اعشار علمي وانا طالب من الحرم الشريف درست فيه الفقه على غير مذهب واحد ، درست الفقه الحنفى ،وسمعت الفقه الشافعي بالحرم ، والفقه الحنبلي بالمدرسة ،ودرست النحو والصرف والبلاغة والفلك وبعض العلوم الاخرى في الحرم الشريف •

أما اليوم فقد ندر العلماء والمحدثون فيه •

ويجب على المسلمين وحكامهم أن يعيدوا الى المسجد الاسلامى كل حقوقه ووظائفه ومهامه التى أضاعها ضعف المسلمين ، وعندما يعيدونها اليه يعود الى حياتنا العقلية والفكرية والادبية النشاط الذى يعين على بناء المجتمع على أساس اخلاقى وعقلى •

وارجو من حكومتنا المسلمة الرشيدة أن تبدأ هذا العمل ، فتفتح أبواب المساجد لطلاب العلم ومذاكرته وللعلماء والخطباء وتوظف الدعاة والوعاظ والمرشدين والادباء والكتاب والمفكرين ليختلفوا الى المساجد ويخطبوا فيها ، ويعرضوا المشاكل وحلولها ، ويتصدوا لما يشغل الناس ويبينوا لهم رأى الاسلام فيه •

ليكن المسجد الحرام جامعا وجامعة ، ولتكن اروقته كليات ، وليجند له رجال العلم والادب ، ولتعقد به المؤتمرات ، ولنعد اليه مهامه التى كانت له في ماضيه المشرق لنزداد به نفعا ، ولنصنع ذلك مع المسجد

نشرت في « عكاظ » سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م) •

دائرة معارف الاسلام

ليس في العربية « دائرة معـــارف اســـلامية » من تأليـف العرب والمسلمين في حين أن لكل أمة دائرة معارف ، فللانجليز دائرة معارفهم ، وللفرنسيين والالمان والامريكيين دوائر معارف استوعبت الاشارة الواعية الشاملة الى كل علوم الانسان حتى الآن ، فما من علم الا وفيها خلاصةوافية عنه ، أما نحن فلا دائرة معارف لنا اذا استثنينا دائرة وجدى والبستانى ، وهما لا غناء فيهما •

وهى سبة لا تفارقنا حتى ننتهى من تأليفها وطبعها ونشرها •

وان من الغضاضة على الامة الاسلامية كلها أن يؤلف بضعة مستشرقين « دائرة معارف اسلامية » لم تسلم من بعض النظريات الخاطئة والاوهـام الباطلة ، والغمزات الشائنة الكاذبة والفهم الغالط لبعض أمور الاسلام ، ومع هذا فان جهود هؤلاء المستشرقين مبعث اعجابى وقدرى وتبجيلى ، لانهم قاموا ـ وهم نفر معدود ـ بما كان فرضا على الامة الاسلامية كلها •

وترجمت أجزاء من هـــذه الدائرة بوساطة بعض اخواننا المصريين المثقفـين ، وهم : عبـد الحميـد يونس ، وأحمد الشـــنتاوى ، وابراهيم خورشيد ، وحافظ جلال ، وان عملهم يكاد يساوى عمل المؤلفين أنفسهم ، لاسباب أهمها : ان المترجم هو المؤلف الثانى • وان الاطلاع على مصـادر المؤلفين يكلف من الامر عسرا شديدا • واعادة الترتيب ـ لان بعض المواد المذكورة في الطبعة الانجليزية تحتـاج الى تقديم أو تأخير في الطبعة العربية ، لان ترتيب الحروف الهجائية في العربية مخالف ترتيبها في الانجليزيـة ـ ولان كثيرا من المواد المبدوءة في الانجليزية بحرف الالف ، يجب أن يذكر في العربية في حرف العين ، مثل مادة « عبد العزيز » في الانجليزية مذكـورة في الاول في حرف الالف ، ويجب في العربيـــة أن تذكر في حرف العين ، ومادة « يبرين » في الانجليزية مذكورة في حرف الجيم وحقها في العربية أن تذكر في حرف الياء ، وهكذا •

ثم ان مؤلفى الدائرة من الفرنجة نقلوا نصوصا من القرآن والسنة وكتب الاقدمين من المؤلفين العرب مترجمة الى لغتهم • ولا تصح ترجمـــة النصوص ثانية من الانجليزية الى العربية ، بل لا بد من الرجوع الى المصادر

العربية ونقل تلك النصوص المستشهد بها كما جاءت في القرآن أو السنة وكما كتبها مؤلفوها أنفسهم ، وفي هذا عنت وتعب على المترجمين لا يعرفهما الا من قام بمثل هذا العمل الجليل •

والمترجمون الفضلاء لا يجدون عونا من الحكومات والهيئات ، أما المؤلفون فحكوماتهم تسخو عليهم في الانفاق حتى يكون عملهم وافيا دقيقا ، والقوم لا يبخلون ، أما نحن فلا نجود في هذا السبيل •

عظمة عمل المستشرقين المؤلفين واضحة ، ويزيدها قدرا وفخارا أنهم أخرجوا دائرة معارفهم في ثلاث لغات : الانجليزية ، والفرنسية ، والالمانية ، وكلما زاد عمل هؤلاء عظما ورفعة زاد عمل المترجمين نفسه • وما أظن التبعة تبتعد عنا والغضاضة تفارقنا الا اذا قمنا بتأليف دائرة معارف اسلامية ، والطريقة المثلى لاخراج هذا المشروع الى الوجود اجتماع كل الدول الاسلامية والعربية الاسلامية والانفاق عليه من قبلها ، وانشاء لجنة عليا منها جميعا تفرغ لهذا العمل الجليل ، وانشاء لجان فرعية بكل قطر تقوم بتحقيق هذه المهمة العظيمة • ولكن من يتبنى هذه الفكرة ؟

لا أجد الا الحكومات ، فاذا تبنت حكومة اسلامية أخذت على عاتقها السعي والعمل ، وأخلصت حقا كان لنا أن نطمئن الى ميلاد هذا المشروع ميلادا سليما •

وأرى أن تقوم بهذا العمل « الحكومة العربية السعودية » •

واني لادعو الله أن يدفع المخلصين لربهم ودينهم وثقافتهم الاسلامية أن يتجهوا الى الخير والبناء ويدفعوا عنا العار من جراء تقصيرنا حتى الآن في تأليف دائرة معارف لنا بعد أن أعادت الامم الغربية طبع دوائر معارفها كثيرا ، ونحن المسلمون ـ والحمد لله ـ لا نشكو فاقة في مواردنا ، وهي ـ والله ـ أكثر من حاجتنا ، فلننفق بعضها لله ثم لنا ، لان ما كان لله فهو لخلقه ، ولدى المسلمين من العلماء والادباء من يستطيعون أن يكتبوا لدوائر المعارف •

نشرت بجريدة « الندوة » سنة ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م)

★ ★ ★

معجم الاسلام

كان أسلافنا أشد الناس عنـــاية بالمعجمات ودوائر المعارف وكتب اللغة التى تقدم للمثقف ذخيرة علمية ما تنفذ ، ولم تكن دوائر المعارف مثل دوائر المعارف الحديثة لان الفارق بين أزمانهم وزمانا كبير ، ومع هـــذا وضعوا الخطوط الاولى للتأليف في هذا السبيل ، ثم انقطع بسبب ضعف الامم العربية والاسلامية حيث انتقل النشاط الى الاقوياء •

دائرة المعارف العربية في قسم الحـــيوان دائرة جليلة مملوءة علما ، ـ وهذا على سبيل المثال ـ وهذه الدائرة تجمع مئـــات الرسائل والكتب المؤلفة فيه ، وأئمة اللغويين ألفوا في « الحيوان » تآليف رائعة جليلة •

وكذلك في النبات •

كان ذلك عندما كان الفكر العربى الاسلامى نشيطا ، ثم لما ضعف انقطع التأليف المبتكر ، وانقطع ظهور أئمة كأبى عمرو بن العلاء ، والخليل ، والجوهرى ، وابن فارس ، وابن دريد ، وأبو عبيد ، والاصمعى وغيرهم ممن لا يحصرهم العد ممن وضعوا قواعد المعجمات ودوائر المعارف ، وحتى يومنـــا هـــذا لم نجـد معجمات في الحيوان والنبات الا بضع معجمـــات غـــير مســتوعبة •

وهذا نقص خطير ما له نظير ، ولا يرود صعب النهضة للامة الا اذا عنيت بهذا الحقل من النشاط الفكرى •

والكتب المؤلفة من قبل الغرب عن ديننـــا ولغتنا وآدابنا وعلومنا وفنوننا واوطاننا وتربتنا وزراعتنـــا وحياتنا ، تعد بعشرات الآلاف ، بل ألف الغرب معجمات عن ديننا لم يخطر ببال أحد منا مثله الا عند بعض الراسخين في العلم من أبناء العربية ، ولو كان عندنا مثلها لاصبح لدينا ألف عالم وألف فقيه • وما قلت :ألف وأنا أريد الاحصاء ،بل أردت به الرقم الخيالى الذى يصعد الى المليون وأكثر •

نعم ، لو كان عندنا لكان لدى العرب مليون فقيـــه في الدين ، اذ يستطيع كل مثقف أن يفتى عن علم وفقه ، ولا يدهش أحد لذلك فسأذكر ما يبدد الدهشة :

أمضى القس توماس باتريك هيوز زمنا طويلا في الهند يعاشر المسلمين والبوذيين والبراهمة وغيرهم ، ودرس مذاهبهم جميعا ، كما درس الاسلام وكل ما انبثق عنه من علوم ومعارف وفنون ، وألف معجما سماه :« معجم الاسلام » لا شبيه له في العربية ولا في كل لغات المسلمين ، ولم يؤلف مثله على شدة الحاجة اليه .

قد تريد مسألة في الفقه الاسلامي وأنت عجل لا وقت عندك تضيعه في البحث عن المراجع أو فيها ، أو لا تجد الفقيه العلامة الذى يدلك ويفتيك، واذا اردت ذلك ذهب من وقتك ما لا تجده ، فاذا رجعت الى « معجم الاسلام » تأليف القس هيوز دلك في ثوان وقدم لك خلاصة دقيقة موجزة أو دلك على المراجع التى تستقصى فيها طلبتك .

مثل هذا المعجم لم يؤلف للمسلمين كما قال المؤلف نفسه ، بل ألفه للمبشرين والمستعمرين وغيرهم ، ولا يخلو من غمزات وهمزات ، ومع هذا يجد فيه الباحث ما يريد في ثوان .

وهو جدير أن يترجم الى العربية ، ولكن أين من ينفق ؟

المترجمون موجودون ، ولكن أين المنفقون ؟

وفي اللغات الاوروبية كثير مثل هذا المعجم ، وأما في العربية فلا .

واذا كنا نعتذر بأن العلوم العصرية جديدة ونعزو الى جدتها تخلفنا في التأليف ، فما عذر التخلف في الدين الاسلامي نفسه ؟

ان بعض الناس يسألوننى في الدين والفقه والتوحيد ، واحضار الجواب السديد يقتضينى زمنا طويلا أنفقه في الرجوع الى المظان الكبيرة والفقهاء والمحدثين والعلماء ، وقد يستغرق اعداد جواب واحد شهرا ، ولو كان بمكتبتى « معجم الاسلام » وكنت أنا نفسى أجيد الانجليزية لاستطعت اعداد الجواب في دقائق ، ولافدت من الزمن في منافع أخرى .

وهذا الفقر المدقع في مكتبتنا العربية يحطم قوى الباحث ، لانه يكلفه مالا طائلا وجهدا عظيما ووقتا طويلا ، ومكتبتنا العربية أفقر المكتبات في علوم الدين نفسها ، فأسلافنا ألفوا فيها خير التأليف على منهج أزمانهم ، ولو نشرت لافادتنا ، ولكنها لم تنشر ، ولو أردنا تعميم الثقافة الدينية

لكان في وسعنا ذلـك بتأليـف كتب عصرية موجزة • وتواليفنـا الدينية القديمة ليست في مكتباتنا العربية والاســلامية ، بل خيرهـا وأكثرها في مكتبات الغرب ، وهم الذين يعنون بحفظها والافادة منها وترجمتها ونشرها في لغاتهم ولغتنـــا •

و « القرآن الكريم » نفسه الذى نحمله في صدورنا لا نفيد منه ، لاننا لا نعرف معانيه ، وفي العربية تكاد تبلغ المكتبة القرآنية عشرات الآلاف من الكتب ، ومع هذا أين هذه الكتب ؟ انها في ظلام المكتبات في الشرق الاسلامى وفي مكتبات الغرب حيث يفيـــد القوم منهـا هنـــاك كل الفائدة ونحن نحرم تلك الفائدة •

قال الله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وهو حق ، فاصول العلوم والفنون والآداب في كتاب الله ، فعلوم النبات والحيوان والانسان ، والفقه والتوحيد والحساب والهندسة والرياضيات وغيرها نجد فيه الاصل ولو تناول القرآن بالشرح والتفسير والدراسة كل جماعة من العلماء مختصة في علم لخرجوا من القرآن بثروات علمية وأدبية لا تنتهى •

في الغرب بذلوا كل عناية بالانجيل ، وألفوا فيه آلاف الاسفار ، ومن هذه الاسفار كتب في أسماء الحيوان التى ذكرها ، وقد تناول هذا الموضوع كثير من العلماء فجاءوا فيه بعلم غزير •

ألف عالم غربى كتابا موضوعه : « الحيوان المذكور في الانجيل » ، وهو موضوع خاص ، كما يبدو لاول وهلة به ، ولكنه ، وان كان موضوعه خاصا بالحيوان ، الا أن ما فيه من علم غزير يتناول غير علوم الاحياء فهو اذ ذكر « الخروف » ـ مثلا ـ ذكر خصائصه وعاداته وفصيلته ، ومواطنه ، وطعامه وشرابه ، وذكر خلاصات دقيقة موجزة عن هذا الحيوان وتاريخه القديم ، وتجد في هذه الخلاصات جغرافية مواطنه ، وتجد كثيرا من علم النبات عندما يذكر طعامه ، وكثيرا من علم النفس وغيره •

فهو ليس خاصابموضوع دينى يقف في حدوده ، بل يتناول كثيرا من المعارف الانسانية مما يخرج به عن محيطه الضيق ، وكأنه في مادته « دائرة معارف » شاملة ، بل هو كذلك حقا •

وما كان قرآننا الكريم الا أجـدر بهـــذا النشاط لانـه خير الكتب السماوية وأعظمها ، وهو الكتاب الوحيد الذى لم يدخله تحريف أو سقط أو تصحيف ، بل بقى كما أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم •

ان قرآننا لم نعن به نحن المعاصرين بعض عناية أسلافنا • ولو عنينا به لخرج لنا منه علم كثير جد كثير • تناول العلامة العظيم الدكتور مصطفى مشرفة باشا رحمه الله آية قرآنية بنى عليها رأيا علميا جميلا في هندسة الكون ، وكان بحثه من الرياضيات العليا ، ولو اتجـــه اليه الرياضيون لوجدوا فيه علما كثيرا •

وتناول بعض آياته الطب الحديث ، فوقف على أسرار عجيبة مدهشة تثبت سبق القرآن وصحته وصدقه وزخوره بالعـــلم ، ولو كانت للقرآن معجمات خاصة وعامة كما للانجيل لافاد العلم ولافاد العرب والمسلمون ، ولكننا نائمون ونريد المجد والحياة والسيادة والقوة والثراء •

حتى فهرس ألفاظ القرآن ألفه لنا المستشرق الالمانى « فلوجل » منذ تسعين سنة ، ولم يكن لنا معجم قبله كما يذكرون ؟ وان كنت أخالف هذا الرأى ، فقد اشتريت معجما لالفاظ القرآن ألف في القرن الثامن وطريقته مثل طريقة فلوجل وأدق منه – في بعض نواحيه – وهو مجهول المؤلف ، وقد بعته على أحد السعوديين عنـــدما أحوجتـنى الظروف الى بيعـــه ، وهـــو بمكتبته •

ان القرآن لم يخدمه علماء هذا الزمـــان ، حتى كتب التفسير التى ألفوها لا تدل على تطور الزمن ، باستثناء تفسير الامام الجليل الاســـتاذ سيد قطب المسمى « ظلال القرآن » •

ان العلوم اللسانية لم توجد في العربية الا لخدمة القرآن ، ومع هذا لم نجد القواعد المبنية على أساس القرآن ، بل بنى على أساس كلام العرب ثم القرآن ، مع أن كلام العرب لم يخل من اللحن والخطأ في الرواية والنقل والتصحيف والتحريف والنحل والوضع وغير ذلك •

وعلوم الدين جميعها من القرآن ، وعلوم الدنيا لم يحاربها القرآن بل حض على العلم ما دام فيه نفع ، ومجد العقل تمجيدا كثيرا ، ورفع شـــأن « اللب » الذى هو جوهر العقل مكانا عليا •

هذا القرآن الكريم أهملناه في حين أن أصحاب الانجيل يعنون به ، مع وقوف العمل به في الحياة الغربية بخلاف قرآننا الذى تتمسك به أمم مسلمة ، ومن المؤسف أن يعنى بالقرآن والسنة هؤلاء الغربيون فيترجمون

القرآن وصحيح البخاري وغيره من كتب الحديث وكثيرا من التراث الاسلامي والعربي ، ونحن لا ندرى عما يجرى حولنا .

بل لم يعن الغرب بانجيله وتوراته فحسب ، بل عنى بالقرآن أعظم عناية ، ولم تقف عنايته على الكتب الدينية فعني بمفـــكريه ، وعلى سبيل المثال نذكر شكسبير .

كنت ذات مساء عند الاستاذ العظيم عباس محمود العقاد نتحدث في هذا الموضوع ، وعرضنا للفقر الفكرى والجدب الشعورى في العالم العربى والاسلامي المعاصر ، والثراء الفكرى عند غيرنا ، وذكر لى : ان معجما عظيما ألف في مؤلفات شكسبير ، ولا يخطر ببالك لفظ اســـتعمله شـكسبير الا وجدته في هذا المعجم ووجدت المواضع التى استعمله فيها بكل مؤلفاته ، وطلب أن أذكر له على سبيل المثال كلمة مما استعمل شكسبير فقلت : بيرد Bird بمعنى طائر ، فأخرج هذا المعجم ، وأخرج هذه المادة ، فاذا هو يذكر الروايات التى جاءت فيها الكلمة مذكورة في جملة مفيدة ، حتى يقف القارىء على ظلال الكلمة في كل جملة ويحس معناها .

والمعجم المخطوط لالفاظ القرآن الذى أشرت اليه ، صنع مؤلفه هذا الصنيع ، ولمؤلفه فضل السبق .

هذا بعض جهود الغرب بكتبه المقدسة وأقطاب مفكريه ، ونحن لـــم نعن بالقرآن الذى هو معجزة نبينا عليه الصلاة والسلام ومفخرة العروبة والاسلام والانسانية ، وكان بوسعنا أن نؤلف معاجم صغيرة عن حيوانـــه ونباته والانبياء والمرسلين والنســاء والفقه والتوحيـد والفلـــك والنجوم والهيئة والاجتماع وعلم النفس والفلسفة وغير ذلك .

اننا نحن المسلمين أغفلنا القرآن الكريم والاسلام كل الاغفال ، فلا نرى بين الكتب التى تقذفها المطابع العربية كل يوم معجما من هذه المعجمات في حين أننا نرى كتبا كثيرة تضر ولا تنفع ، ونرى كتبا كثيرة تشيد بالمذاهب الهدامة وتدعو لها وتزخرف الباطل والمنكرات والسوء ..

ان هذا الاغفال لن يمكننا من النهضة مهما أعددنا لها ولا تصح لنـا نهضة صحيحة الا بعد أن نجعل القرآن أساسها ونجعل كل ألوان نشاطنا منبعثة من القرآن والا فلا فائدة من دوى يصم آذاننا عن نداء الله وقوله ودعوته : « آلر ، كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور » ؟

نشرت بجريدة « الندوة » سنة ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م)

لنعد الى الاسلام

لولا الأذان الذى يشنف أسماعنا ليـل نهـار ، ولولا الصلاة التى يحرص عليها المسلمون هنا ، ولولا المحاكم الشرعية ، لظننت نفسي في بلد كتلك البلدان التي نجد فيها مسلمين ولا نجد اسلاما .

ولخير لنا ان نتصارح بعيوبنـا وأمراضنا الاخلاقية والاجتماعية ، ويبصر بعضنا بعضا بالكوارث التي تقترن بضياع الدين أو غربته .

ونحن بماذا نفخر ؟ أبالحضارة الحديثة ، ونحن ضيوف عليها ، ولم ننقل منها الا ما يشغلنا من حياتنا المثل ويقذف بنا الى الاوحال التى غرق فيهـا كثـير منـا ؟

أبالمـال ؟
أبالجـاه ؟
أبالعـلم ؟

لا ، نحن في كل هذا فقراء أو مستورو الحال .

واذا رجعنا الى ماضي الاسلام وجدناه يفتخر بالصـلاح ، صـلاح القلب والروح الذى يقوم عليه صلاح الدنيا بأجمعها .

في القرآن الكريم أمنيـة للمؤمن أن يكون صالحـا : « هب لى من الصالحين » ، و « ألحقني بالصالحين » ، و « انه من الصالحين » ، و « وهو يتولى الصالحين » الخ ..

والرسل أرقى نماذج البشرية ، وأعظم مثل الانسانية ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ لا ينظرون الى مادة ولا يفتنون بدنيا ، بل كل همهم صلاح القلب والتعلق بالله ، فجاءتهم الدنيا تخدمهم وترتمي تحت أقدامهم .

ونحن على النقيض منهم ، جعلنا أكبر همنا الدنيا ، وكل افتتاننـا وتعلقنا بحطامها وتسابقنا في جنون لنقبض على ما نظنه نجاحا وما هو الا سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء .

... كانوا سادة الدنيا لانهم استصغروا شأنها فارتمت تحت أقدامهم ، ونحن جعلناها أكبر همنا فاستعبدتنا فأصبحنا كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى .

ومجتمعنا اليوم تعرض لكثير من الفتن والغزوات زلزل بنيانه وقضى على خير ما منحه اياه الاسلام ، فالعلوم الدينية لم يبق منها غير رسومها ، واذا قبض بعض علمائنا الكبار ضاعت معالم علوم الاسلام من فقه وتوحيد وتفسير ومصطلح الخ ..

والمؤسف في أمر مجتمعنا أنه لا شيء في علوم الدين ولا شيء في علوم الدنيا فلم نصب منها ما يضعنـــا في صف المجتمعات التى أخذت بنصيب طلب المسلم الدنيا لانها طريق الآخرة : « واتقوا الله ويعلمكم الله » .

ان مجتمعنا يعيش في وهم كبير ، يظن أنه حاز الدنيا والآخرة ، أمـا الدنيـا فلم نصب منها ما يضعنا في صف المجتمـعات التى أخذت بنصيب يسير من الحضارة ، بل نأتى مع المتخلفين .

أما الآخرة ، فسبيلها واضح ، وهو أن نتقي الله ، وأعتقد أن ما نعمله لا يتفق مـــع تقوى الله ، نكذب ، ونلـعن ، ونغش ، ونعصي الله ، ونامر بالمنـــكر ، وننـهى عن المعروف ، ونأتى الفواحش ، ونشرك بالله ، ونهب أنفسنا ونشاطنا وقوانا وجهودنا للشيطان .

يجب ألا نغالط أنفسنا وندفن رؤسنا في الرمال لئلا نرى الخـــطر والموت ، بل يجب أن نفهم الحقيقة ونكون صادقين مع أنفسنا ونعرف اين نحن اليوم ، وفي أى مكان نقف ؟!

نحن اليوم فقراء في المجد الروحى والمادى ، ونقف على أرض غير ثابتة، لاننا ضعفاء في الايمان بالله ، نعم ضعفاء في الايمان بالله ، ضعفاء الثقة في الاسلام ضعفا انتهى بنا الى اتهام الاسلام بالنقص لاننا جهلاء بحقيقته .

ان كل العالم الاسلامى لا يصحو ولا ينجح الا بنجاح بلادنا أولا ، لانها بلد الاســلام الاول واليـــه يأرز الايمـــان ، فاذا نجحت نجـــح العـــالم الاسلامى .

وإذا كنا غافلين فيجب أن توقظنا النذر التى تطرق أبواب بلادنـــا بعنف ، وتزحف جيوش الشيطان خفاء تارة وجهارا تارة أخرى ٠

ان مجتمعنا الحاضر أوبقه الشرحين بعد عن الاسلام الحق ، فالاقلام تنغمس في مداد الباطل ، والقلوب تخفق بمـــا حاربه الاسلام من المناكر والموبقات ، والالسنة تقذف بما لو سمعه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لحارب أصحابها ٠ وأبحنا ما حرم الله ، وألفنا البغى والفساد والمنكر والرذيلة ، وتداولناها وكأنها مما لا حرج فيه ٠

فاذا لم يصح مجتمعنا من غفلته ويحاسب نفسه فانه منته الى مـــا نستعيذ الله منه ٠

وأى شقاء أبشع من أن يكون الاسلام غريبا بيننا ، ونحن أهله ؟ لا نأتمر بأوامره ولا ننتهى بنواهيه ، ونزعم اننا المسلمون حقا ، وما نحن كذلك ، لان أعمالنا الحاضرة ممـــا يكرهه دين الله الذى ارتضاه لعباده ، والله لا يرضى الا الطيب لعباده المؤمنين ٠٠

أفما نعمله ونقدم من أفعال وأقوال من هذه الطيــبات ؟ اذا كانت طيبات ، فلماذا نجدنا متأخرين ؟

الاسلام هدف كل المذاهب التى تتناوله بالتجنى والهجوم والتجريح ، فواجبنا أن نقف في وجــه هـــذه المذاهب ونحن مســلمون مؤمنون حقا ، لا مسلمين قولا ، مؤمنين تبجحا ٠

لنعد الى الاسلام من جديد ، ولنثبت أنه ليس غريبا بين أهله ودياره ، ولنبرهن قولا وعملا أن الاسلام خير دين ، لانه دين الانسانية جمعاء ، ولانه الدين الصالح لكل زمان ومكان ؟

نشرت بجريدة « عكاظ » سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

توحيد اول رمضان

أول يوم من رمضان غير موحد في العالم الاسلامي ، بل غير موحد في بلدان العالم العربي المتجاورة ، ويتبع الاختلاف في تحديد غرة شهر الصوم اختلاف في أيام أخر ، كعيد الفطر ، وعيد الاضحى ، وأشد من ذلك هو الاختلاف في تحديد يوم عرفة حيث يقف الحجاج في يوم التاسع من شهر ذى الحجة .

واذا نظرنا الى غاية الاسلام من أركانه الخمسة وجدنا أن من أعظمها : الوحدة العامة بين المسلمين جميعا ، الشهادة تجمعهم قبل كل شيء ، والصلاة توحد صفوفهم ، والزكاة تربط بين الموسرين والمعسرين برباط المحبة والوفاء ، والصوم تكرار للاركان الثلاثة السابقة وتضخيم لها وتعويد النفس صدق العزيمة وتقوية الارادة وربط الظاهر بالباطن .

والركن الخامس ـ وهو الحج ـ جمع شمل المسلمين في صعيد واحد ليأتمروا فيما بينهم فيما فيه صلاح المسلمين عامة .

فكل ركن من أركان الاسلام مظهر من مظاهر الوحدة العامة الشاملة ، واجتماعها اجتماع لكل القوى والطاقات الاسلامية .

واذاكنا في ركنين من أركان الاسلام لا نتفق على تحديد أول رمضان والتاسع من ذى الحجة ، فان في هذا الاختلاف ما لا يتفق مع « الوحدة » التى يحققها الاسلام من أركانه .

ركنان من أركان الاسلام يقع فيهما اضطراب بين المسلمين ، فقد يصوم أهل قطر يوم الجمعة ويصوم أهل قطر آخر يوم السبت أو الخميس ، وفي هذا اختلاف غير محمود .

وهذا الاختلاف الذى أراه غير حميد ، وهذا الاضطراب في تحديد غرة رمضان ليس بجديد على المسلمين ، فهو قديم منذ فرض الصوم في الاسلام « صوموا لرؤيته » .

فمن ير الهلال وجب عليه أن يصوم ، والا أكمل شعبان ثلاثين ، ثم يبتدىء في الصوم باعتبار غرة رمضان بعد تكملة شعبان ثلاثين .

وهذا ولا شـك من اليسر الذى يتوخـاه الاسـلام في أداء الفروض والقيام بالواجب ، غير أن توحيد أول رمضان لا يخالف اليسر الذى يمتاز به ديننا الحنيف .

واذا كانت الظروف أجبرت على اتخاذ ذلك الموقف ، فان هذهالظروف نفسها تحملنا على اتخاذ موقف موحد .

كانت المواصلات صعبة كل الصعوبة ، ولم تكن البـلدان متصـلة بعضها ببعض باللاسلكى والتلفون ،ومن هنا كانت استحالة ربط الامـة الاسلامية بيوم موحد في الصيام .

بل كان الاختلاف في تحديد غرة رمضان يقع بين بلدين متجاورين مثل مكة المكرمة وجدة ـ على قرب المسافة بينهما ـ لصعوبة المواصلات وفقدان الهاتف السلكى واللاسلكى قبل استعمالهما .

واذا جاز لنا في المملكة العربية السعودية ان تصوم كل قراها ومدنها برؤية قرية ـ كما يحدث غالبا أو دائما ـ أو برؤية اثنين في الصحراء ، فلماذا لا يجوز أن تتسع دائرة الانتفاع بهذه الرؤية فيصوم العالم الاسلامى كلـه لرؤيـة بلـد .

ان العلم قد ربط بين الامم ، فأصبحت وكأنها أسرة واحدة ، بالنسبة للعالم القديم ، بـل أقرب من الاسرة التى تسـكن مدينـة كبـيرة ، وذلك بوسـاطة الهـاتف .

وما دام العـلم نعمـة من نعم الله أفضل بهـا على الانسان ، فان من الطبيعى أن نفيد منها في عباداتنا وأعمالنا جميعها .

وهذا العلم قد ابتكر وسائل دقيقة لرصد الهلال بحيث لا تخطئـه الدلالة عليه ، وبحيث تستطيع تحديد مدى ظهوره في أى ليلة بالدقيقـة والثانية ، تحديدا لا عسر فيه ولا مشقة .

وما دام الامر قد أصبح سهلا بحيث لا مجال للاختلاف فيه ولا مدعاة به للشك فان ابتغاء الوحدة يجبرنا عـلى أن نسـتعين بالمرصد في الصوم تحديدا لغرة رمضان حتى يتفق المسلمون في صيام أول يوم منه .

ان المرصد يستطيع تحديد غرة الشهر ، وتحديد ميلاد قمرها بدقة بالغة ، بالدقيقة والثانية ، وأقل من الثانية .

والمرصد أقوى من العين المجردة .

وما دام كل ذلك حقا وواقعا ، وما دامت الهواتف من لاسلكي وتلفون وراديو جعلت العالم كله وحدة ، فلماذا لا نعتمد المرصد في تحديد أول رمضان ؟ ثم لماذا لا نعمم الخبر في الامة الاسلامية بوساطة الهواتف فيصوم المسلمون جميعا أول رمضان في يوم واحد ؟

وان حكمة الاسلام أو جوهره الوحدة في المظهر والمخبر ، ومن هذه الوحدة توحيد المواقيت في ركنين من أركان الاسلام حتى نقضي على الاختلاف والاضطراب اللذين يحملان على البلبلة والتفكك ، بل أن صحة ركن الصوم وركن الحج لا تتم مع هذا الاضطراب .

وعلى سبيل المثال نذكر يوم الوقفة في السنة الماضية ، فقد وقف المسلمون يوم الجمعة باعتباره التاسع من ذى الحجة ، في حين أن بعض البلدان الاسلامية مثل تونس اعتبرت الخميس تاسع ذى الحجة ، واضطرب بعض الحجاج العائدون الى بلادهم عندما علموا بهذا الاختلاف ، ومع أن علماء أجلاء أفتوهم بصحة حجهم ويوم وقفتهم الا أن شيئا بقى في بعض النفوس .

واختلف المسلمون في العام الماضى في تحديد غرة رمضان وغرة شوال وغرة ذى الحجة ويوم عرفات ، فاضطربوا في عيد الفطر وفي عيد الاضحى كما اضطربوا في تحديد أول رمضان وأول ذى الحجة .

كل هذا الاختلاف بسبب اكتفاء كل قطر برؤية الهلال ، وهذا الاضطراب نجمت عنه الفرقة .

وما دمنا أجزنا أن تصوم مكة المكرمة والمدينة المنورة والرياض وجدة وكل المملكة برؤية قادمة من تبوك أو الدوادمى ـ مثلا ـ برؤية قرية من القرى أو خدر من الخدور ، فلماذا لا يجوز اتحاد العالم الاسلامى في تحديد أول رمضان ؟

وان غاية الاسلام وحدة المجتمع الاسلامى كله ، وهو اليوم أشد حاجة الى هذه الوحدة ، وان في جمعه على ميقات واحد في الصوم والحج تحدده المراصد أو غير المراصد تحقيقا لهذه الغاية المثلى ، وهى توحيد المسلمين أجمعين في المواقيت التى يتبعه توحيدهم في المشاعر والعبادات .

هذا رأى أعرضه للعلماء رجاء أن يبحثوه ، فاذا كان حقا دعوا اليه ، والا رجعت عنه اذا كان فيه ما يخالف الاسلام ٠

وهذا رأى سبقني اليه بعض علماء مصر ، وقرأته في بعض صحفها منذ سنوات ، فاقتبست منه ما رأيته صوابا ٠
والله الموفق لما نصمد له ؟

نشر في عكاظ سنة ١٣٨٣ هـ

* * *

البدعة والاجتهاد

ما أدرى أتفتقت العبقريات في بلادنا دفعة واحدة ، فرأينا العباقرة الملهمين يملأون بأسمائهم وكتاباتهم الصحف الكثيرة ! مـــا أدرى أتفتقت هذه العبقريات بعد طول احتباس فصار كل من هب ودب عبقريا وشاعرا وكاتبا وأديبا وعالما ومجتهدا ٠

قرأت منذ مدة آراء شاذة لكاتب أهوج أرعن رمى غيره بالتقليد وادعى لنفسه الاجتهاد والتجديد ، وأسمع آراء من أناس يزعمون أنهم مجتهدون ، ويقولون تواضعا : للمجتهد أجران ، وللمخطىء أجر !

وهؤلاء المجتهدون كثيرون في بلادنا وفي العالم العربى كله ، وكلـــهم يدعى الاجتهاد حتى وصلوا الى الدين فزعموا أن باب الاجتهاد لم يغلق ، وهو حـــق ، وزعموا أن لهم حق الاجتـــهاد ، ثم زعموا أنهم مجتهدون ، وهـــــذا باطل ٠

ان هناك فرقا بين الاجتهاد والبدعة ، فاذا جاء أمرؤ لا حظ له من العلم الا التافه اليسير ورأى رأيا فائلا سقيما فهل نعد ذلك اجتهادا ؟ واذا أبدع عالم عظيم ضليع بدعة لا يقره عليها الدين ، أفيكون عمله اجتهادا يثـــاب عليـــه ؟

وكل من عن له رأى مهما كان سقيما ظن في نفسه القدرة على الاجتهاد جاهلا أن الاجتهاد في الدين لا يتأتى الا لمن كان سليم العقيدة واسع الاطلاع صاحي الذهن باحثا علامة دارسا فقيها نزيها ذا خلق ودين وصلاح وتقوى وثقافة وادراك صحيـــح ، عارفـــا بالقرآن والحـــديث واقوال الصحابة والائمـــة والفقهـــاء ٠

لقد كثر المبتدعون الضالون وندر المجتهدون ، وقل أن يدعى المجتهد أنه مجتهد ، ولكن المبتـــدع يدفعه غروره الاجـــوف الى ادعاء الاجتهـــاد وهو ليس بمجتهد ٠

نشرت بمجلة « قريش » سنة ١٣٨٣ هـ

المجتمع الذي نريده

المجتمع الذى نريد بناءه من جديد يجب ألا يكون مجتمعا غريبــا عن بيئتنا الاســـلامية ٠

كان المجتمع الاسلامى في هذه البلاد مجتمعا فاضلا كريما اجتمعت له كل مزايا الانسانية، فكانت له قيادة المجتمعات والشعوب في العالم المتحضر ٠

والاساس الذى يقوم عليه مجتمعنا هو الاسلام ، دين الانســـانية الخالد ، ونفيد من وعى الامة وصحوهـــا ، ونستغل كل نشاط انسانى تقدمى في صالح مجتمعنا الجديد ٠

والقاعدة الروحية يجب أن تكون هى القاعدة الكبرى لهذا المجتمع ، اما القواعد السياسية والاقتصادية والتجارية وغيرها فيجب أن تأتى بعد القاعدة الروحية ، لان المجتمع الذى يقوم بناؤه على قواعد السياسة والتجارة والاقتصاد والمصالح الدنيوية وحدها مجتمع قوى من غير شك ولكنه ليس بمجتمع فاضل كريم ، وأفراد المجتمع المبنى على المصالح الدنيوية وحدهـــا يتعاونون بالضرورة التى تحتم عليهم هذا التعاون وتحملهم على الاجتـماع والتكتل ليقيموا من الجهود المشتركة « بناء » يأوون اليه ، وليتمكنوا من استغلال القوى الطبيعية الناشـــئة من هـــذا التـعاون المشترك المنبعث مـــن الضرورة ٠

والضرورة تفقد الصفات والاعمال مهـــما بلغت من القوة والروعـة والجمال مزايا الكمال والفضيلة ، وان كـانت نتـــائج الضرورة والكمال ـ أحيانا ـ واحدة ، فالجبان الذى يبدى أرفع ألوان الشجاعة والبطولة عندما يقتحم حرمه ساط أثيم لا يعد شـــجاعا ، لان هذه الشجاعة كانت وليد الضرورة التى جعلته يبدى ما أبدى ٠

أما الانسان غير المضطر المتطوع للدفاع عن حرم الجبان فهو الشجاع الحق ، لانه ليس ثمة ضرورة تلجئه على غير وعى منه أن يدافع عن عرض غيره ويعرض نفسه للفـتك والضراوة ، والتـــعاون الجـبرى المنبعث من الضرورة ليس مجردا من المزايا ولكنها مثل مزايا ذلك الجبان « الشجاع » ٠

ولئن كان من مزايا التعاون الجبرى : النظام والاثمار ، فانه لاشيه ما يكون بالتعاون بين السجناء الذين يتقيدون بنظام دقيق لا حيدة عنــه قيد شعرة ، ولكنه نظام لا يحســب من المزايــا الانســانية ، لان النظام الجبرى أو التعاون الجبرى ــ وان كان فيه بعض المزايا ــ مفض الى اضرار أكثر من المزايا التى تظهر على حقيقتها عند زوال الضغط والاكراه •

وعندما يكون المجتمع قائما على أساس التعاون الجبرى يفقد انسانيته •

أما اذا كان المجتمع قائما على أساس الاسلام الذى يملك ويحـكم ويبنى ويهدم ، ويعنى بالروح والجســم ، ويجــعل السياسة والاقتصاد والتجارة والمال والمعارف وساطات لتقوية الروح الانسانية حتى تستطيع أن تحتفظ لنفسها بالقوة فان أفراد هــذا المجتمع يكونون اخـوة في أسرة عميدهــا حــاكمها •

ان السياسة والاقتصاد والمال والتجارة والمعارف الانسانية ضرورات المجتمع ــ كل مجتمع ــ ولكنها ليســت هى كل شيء ، بل هى ضرورات كضرورات الجسم الانسانى الذى فيه من الحيوان جسده ومن الملاك روحه •

فاذا كانت ضرورات هذا الجسم توجب تأمين الشبع المادى له فان كمال الروح يوجب أن تكون المعانى والفضائل في صميمه ، لان الرغبة في ملء المعدة مطلب حيوانى ، وملء المعدة غاية الجسد ، أما الفضائل والمزايا والمعانى فهى غاية هذا الانسان ذى الاشواق العليا •

والانسان ليس كالحيوان ، بل هو مزيج منهما ، وما دام الانسان جسما وروحا ولا يمكن فصلهما في الانسان الحى فالشبع المادى ضرورة لحفظ الكيان البشرى ، والخلائق والاشواق العلــيا كمال يصبح ضرورة للانسان حتى يجد الروح شبعا وريا •

والروح الدينية ضرورة للانســان ، ولازمــة من لوازم الســلوك الانسانى للفرد والجماعة والمجتمع ، ولا بــد أن تتبــطن الروح الدينيــة الحياة العقلية والسياسية والاقتصادية والتجــارية والماليــة حتى يكون الضابط الرقيب من داخل النفس ممثلا في الدين ، ومن الخارج ممثــلا في الحكومة التى تقوم على أساس الاسلام •

ونحن الآن مقدمون على نهضة شاملة أتاحتها لنا حياتنا الجــديدة لبناء مجتمع جديد ، ولكنى أخشى أن نجعل المادة قوام هذا المجتمع فنفقد

مزايا الروح ، وعندما يفقد مجتمع مزايـــا الروح لا يستطيع أن يصارع الزمن والاحداث وغزوات الحضارة والمذاهب ، ولهذا يجب أن نفكر في أن نرسى قواعد المجتمع على أسس الاسلام الذى بنى أفضل مجتمع على الاطلاق، ذلك المجتمع الذى قامت فيه السوق بجـوار المســجد دون أن يختصما ، وصــافح الخبز الحرية والكرامة الانســانية دون أن يتنـكر لهما ، وعاش الجسد والروح معا عيشة الصفاء والمحبة دون أن يطغى الجانب المادى على الجـــانب الروحى .

ومتى ضمن المجتمع لافراده الخبز والحرية والكرامة فقد أصبـــح مجتمعـــا انســـانيا فاضـــلا كريمـــا ، وهـــذا هو المجتمع الذى يجب أن نبنيه اذا أردنا أن نحيا سعداء ؟

نشرت بجريدة « البلاد » سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م)

* * *

منطقة الأمن العالمية

الاسلام لا نعرفه الا باسمه ، هذه هى الحقيقة التي يجب أن نعترف بها ، ولا تعوزنا الادلة على اثبات ما ندعيه ، وأول ما نراه محاولة بعض الحكام اخفاء كلمة « الاسلام » باستعمال ألفاظ ذات دلالات خاصة كالديمقراطية والاشتراكية ، وقد وفقوا لهذا العمل أعظم توفيق ، فكل وسائل الاعلام تشيد صروح المديح للديمقراطية والاشتراكية ، أما الاسلام فلا ٠

والاسلام أحق أن يعنوا به ويهتموا ، فهو دين الانسانية ، لانه لا يدعو الا الى الخير ، وخلاصة هذا الدين « الامر بالمعروف والنهى عن المنكر » بعد الايمان بالله ٠

وكل عمل فيه خير الانسان فردا وجماعة ومجتمعا ودولة وعالما انما هو معروف أمر به الاسلام ، وما فيه أذى فهو منكر نهى عنه ٠

فالاسلام ليس دينا صعبا بل سهل كل السهولة ، ولكننا فقدنا الثقة فيه فاندفعنا الى الحضارة الغربية والى الشيوعية ـ أخيرا ـ ناخذ منهما ما نريد ونطبقه في مجتمعاتنا المختلفة ، فبعضنا يؤمن بالغرب وبعضنا يؤمن بالشيوعية ، واعترفنا بسلطانهما ونفوذهما وانهما هما اللذان يصلحان لبناء المجتمعات والرقى والتقدم ، لان حواسنا لم تعد تبصر الا المادة ، أما الروح فلا تحس به ٠

وأشد من هذا أن خصومات الاشقاء لا يحلها الا الغربيون والشيوعيون ، فاذا اختلفت أمتان مسلمتان أو أكثر جاءت « هيئة الامم » للاصلاح والتوفيق ، كأن الامم الاسلامية وحكامها وزعماءها وقادتها ومصلحيها لا قيمة لهم في الميزان الدولى ٠

بل الحكومات الاسلامية لا ترضى الا بغربيين وشيوعيين ولا تثق في مسلمين ، وبذلك تقدم الدليل على تجهمها للاسلام وعدم احترامها اياه مع أنه « الدين الرسمى » لبعض هذه الحكومات ٠

ان من الفرض في عصرنا هذا وفي أيامنا هذه أن نجعل في بلادنا الاسلامية المقدسة منطقة أمن دولية أو عالمية ليفىء اليها كل هارب من الظلم

مهما كان جنسه ولونه ولغته ، وأن ننشيء لجنة توفيق اسلامية تنظر فيما يشجر من خلاف بين الدول الاسلامية ، بشرط أن يكون قرارها ملزما ، ويكون أعضاؤها مجردين من صبغة الوطن أو الجنسية ٠

واذا انشئت هذه اللجنة واحترمنا أعضاءها ونفذنا قراراتها فاننا نمهد لان تصبح لجنة دولية ، على أن يكون كل أعضائها مسلمين مؤمنين محسنين ، وتفتح بذلك للاسلام عصرا جديدا ؟

نشرت بجريدة « الندوة » سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م) ٠

* * *

الحمد لله رب العالمين

قال النحاة : لا يجمع عالم وشمس وقمر لان كل هؤلاء افراد لا جمع لها ، فليس الا عالم واحد وشمس واحدة وقمر واحد ، ولكن جاء جمع العالم في القرآن الكريم : « الحمد لله رب العالمين » ، وجمع الشعراء الشمس والقمر ، ولم يأخذوا برأى النحاة .

لقد صدق الله العظيم ، ففى « الوجود » عالمون كثير لا تحصى ، وشموس لا تستسلم للعدد الا اذا كان من يعد صيرفيا روضت أعداده ، ففى الوجود ما لا يقل عن مائة ألف مليون عالم ، ومائة ألف مليون شمس كما ذكر العلماء منذ عشرين سنة .

الله أكبر ، هذا ما يقوله الرياضيون العلماء ، وهو حق يدل على عظمة هذا الوجود ، وعظمة خالق الوجود .

وان هناك شموسا تتضاءل بجانبها هذه الشمس التى نشهدها .

وأنا في دهشة من أمر هؤلاء الملحدين الذين ينكرون وجود الله وهم يقررون أن محيط العالم يقدر بسبعة آلاف مليون سنة ضوئية . والضوء يقطع في الثانية ١٨٦٠٠٠ ميل ، وفي الدقيقة الواحدة ٠٠٠ر١٦٠ر١١ ميل ، ويقررون أن في الوجود ما لا يقل عن مائة الف مليون عالم .

ولكن صدق الله العظيم اذ يقول في محكم كتابه : « افرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله » .

لا أحد يهدى بعد الله فهو وحده الهادى .

وهؤلاء العلماء الرياضيون الذين يقررون ما يقررون كيف يجرءون على انكار وجود الله .

ما أشد غرور الانسان اللئيم ! أيثبت وجوده لانه صنع « شيئا » لم يبتكره من العدم ، واكتشف شيئا موجودا ؟ ومع هذا ينكر وجود الله الذى خلق العالمين وأبدع هذا الكون ويثبت لنفسه وجودا أكثر من هذا الوجود .

ان بعض الاغنياء من اليهود اتهموا الله بالفقر لانه حضهم على البذل .

والعلماء الشيوعيون يزعمون أن الله غير موجود لانه سبحانه وتعالى منعهم عن الظلم وأمرهم بالخير .

بل أعتقد أن العلماء أنفسهم لا ينكرون وجود الله بعد أن رأوا الاعاجيب المذهلة في الكون ، ولكن الشيوعيين وأتباعهم ينكرون لانهم ليسوا علماء يدركون ما أدركه أولئك ، وغرتهم أنفسهم وأعمتهم السلطة فظنوا أنهم أقوياء ، مع أنهم رأوا ستالين الذى عبدوه من دون الله وآمنوا بقدرة هذا الطاغية يتلوى على فراشه ألما وسقما ويعجز عن دفع ذلك عن نفسه حتى أطبق الموت عليه بفكيه .

ولكن هؤلاء الضالين لا يتعظون حتى يقعوا في الهاوية .

واذا كان النحاة العرب جهلوا سبب جمع « العالم » في القرآن الكريم فمنعوا جمع ما لا يعرفون ان له « اخوة » فان لهم عذرهم ، لان العلم لم يكتشف الملايين من العالمين في ذلك الزمان ، ولكن ما عذر هؤلاء « التقدميين » الذين أنكروا وجود الله بعد هذه الكشوف ؟

أذكر أن صحف مصر نشرت على رؤوس الاشهاد ـ عندما بعث الروس اول قمر صناعى ـ ما فيه انكار وجود الله ، وبعضها نشر ما فيه تحد صارخ للخالق العظيم جهلا وكفرا والحادا .

هل الطبيعة هى التى خلقت آلاف الملايين من العالمين والشموس ؟

انهم يزعمون أن « الطبيعة » هى « الخالق » ويا سوء ما يزعمون ، فلماذا يجهدون أنفسهم في الاختراع والابتكار ؟ لماذا لا ينتظرون الطبيعة تخلق لهم هذه « المركبات » الفضائية ؟

تعالى الله عما يصفون ، وتبارك الله أحسن الخالقين ؟

نشرت بجريدة « الندوة » سنة ١٣٧٩ هـ (١٩٥٨ م)

الدين شيء
والسياسة شيء آخر

تمر هذه الكلمة على ألسنة الكتاب وأقلامهم كثيرا ، وهم بهذا فصلوا الدين عن الدولة ، وكتبوا على الدين أن يبقى في معزل عن الحياة ، وفي ذلك اتهام صريح للدين بأنه لا يصلح للحياة الحاضرة، وأن زمانه انتهى .

ومصدر هذا الشعور وهذا الفهم أوروبا ، والعلماء من العرب والمسلمين الذين يزعمون أن السياسة شيء والدين شيء آخر نقلوا هذه الكلمة من الغرب الى الشرق الاسلامى تقليدا له وشعورا منهم بالضعة والهوان والتأخر ، فزعموا ذلك حتى يزووا الدين ويفصلوه عن حكم المجتمع كما فعلت أوروبا .

وفي هؤلاء العلماء بعض أقطاب الفكر العربى ، وسبب زعمهم هو أنهم جهلوا حقيقة الاسلام ، وانهم تعبدوا الثقافة الاوروبية والحياة الاوروبية ، فأنكروا على الاسلام ما أنكره الغرب على المسيحية ، ولو درسوا الاسلام على حقيقته لوجدوا أن الاسلام دين السياسة لانه يأمر بالعدل والخير وينهى عن المنكر والظلم ، ويبنى أفضل المجتمعات ، ولا يصح أن نصنع بالاسلام ما صنع الغرب بدينه حيث فصله وزواه وتنكر له ، لان الاسلام لم يعلن عجزه عن حل مشكلة من مشاكل الحياة والوجود ، بل يستطيع أن يقدم الحلول السليمة التى تضمن للانسان كل ما يتمناه من الخير .

وان تاريخ الاسلام الاول يذكر أن الاسلام قابل الحياة بكل ما فيها من مشكلات وعقد وسيطر عليها وعالجها في حكمة ما أتيحت للعصر الحديث الذى تقدم على سائر العصور في العلم ، فهو دين سياسة وحكم ومجتمع ، والزعم أنه شيء والسياسة شي آخر زعم باطل ، لان ديننا الحنيف غير الاديان جميعها ، فهو يحمل كل قوى الحياة التقدمية ، والسياسية بعض ما جاء به ووضع له من الخطط والقواعد ما جعله أمثل ما عرف في بابه .

وهؤلاء العلماء الذين قلدوا الغرب ونشروا أفكارهم السيئة في العالم العربى والاسلامى ضللوا كثيرا من الناس وبعض الحكومات التى استدبرت

الدين فلم تجعل له شأنا الا يسيرا في الشؤون الزوجية وبعض مسائل الاوقاف ، وأخذت فيما عدا ذلك بالقوانين الاوروبية ، ووجد بعضهم من الجراة على الحق أن يتهم الاسلام بالعجز والقصور عيانا بيانا ، ويفخر بأن الحكم في بلاده « لا ديني » ويتهم الحكومات الدينية بالهمجية ٠

وهذا وأمثاله ولا شك جهلاء بالاسلام وعبيد مسخرون للثقافة الغربية والشيوعية ، وهلا لا يبصروا عظمة الاسلام الذي تتجلى في رحبته كل نواحي الحياة والفكر والاجتماع وكل شئون السياسة والاقتصاد والمال والتجارة وغيرها ، واذا صح على دين تلك القالة السيئة فانها لا تصح على الاسلام بحال من الاحوال لانه دين ودولة ، ومسجد وسوق ؟

(نشرت بجريدة «الدعوة» سنة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م)

العودة الى الدين

في الوقت الذي ينادي فيه المصلحون والمفكرون في أوروبا وأمريكا بالعودة الى رحاب الدين والتحرر من العبودية للمادة والشهوات والباطل والفساد والرذيلة التي يزخرفها دعاة السوء في العالم ، نجد العالم العربي يجرى بكل سرعة فيما تريد أوروبا وأمريكا التخلص منه لتحصيد حيلة لا يعرضها القلق .

هناك المصلحون يدعون الى العودة الى الدين والى التمسك بالفضيلة والمحافظة على كيان الاسرة والمجتمع ، ونريد نحن العرب المسلمين أن نبدأ من حيث انتهى الغرب وغرق فيه مما أدى الى انهياره الاخلاقي .

هناك أدركوا أن تحرر المرأة نقلها من عالمها الطاهر الجميل ، من منزلها وأولادها الى الشارع والنادي والمويقات ، وبدأ المصلحون ينادون ويعملون لاعادة المرأة الى عالم الطهر والفضيلة .

أما نحن ، في بلاد الاسلام ، في بلاد الاخلاق ، ندعو الى التحرر الذى يودى بالمرأة ، ونضع قياد تحررها في يد المفسدين ، ونكل أمر تقدمها الى الذين لا يؤمنون بالاسلام ، واذا آمنوا بـه تقليدا ووراثة فانهم لا يؤدون شعائره وفرائضه .

بل هؤلاء هم الدعاة الى تحرير المرأة في بلادنا ، وما بينهم - والله - من يؤتمن على تربية نفسه والاضطلاع بمهمة اصلاح أمره .

ولقد رأينا امرأة استبدت بها الفرحة ، فدعت في بعض صحفنا الى ما يهدم الاسلام ، هذه المرأة تعلمت قليلا فخيل اليها أن الحضارة والعلم والتقدم والمدنية أن تمزق المرأة حجابها وتخرج الى الناس وتبرز مفاتنها وتغري الشباب وتشعل الغرائز .

هذه المرأة لم تفهم من التقدم الا أن تبرز للرجال بعورانها ومفاتن جسدها ، لا باخلاقها ودينها ، وحسبت أن هذا هو التقدم المنشود ، وغاب عنها أن هذا تقدم الى الفجور والتهتك .

ونحن نجهل ديننا الذي ارتضاه الله لنـــا ، ونجهل محمدا عليه صلوات الله وسلامه ، ونجهل أمهات المؤمنين وسيرهن وسير المؤمنـــات القانتات اللاتي شاركن في بناء المجتمع الاسلامي ، شاركن في بناء افضل مجتمع قام على وجه الارض ، وجئنا نحن وأمثالنا وهدمناه لنبني على أنقاضه مجتمعا داعرا فاسقا ، ثم ظننا انفسنا اننا صرنا متقدمين متحضرين .

نحن نجهل ديننا ، وهذا الجهل حملنا على استصغار أنفسنا واحتقار اسلامنا والجري وراء الحضارة الغربية ، واخترنا منها طرقها التي تفضي بنا الى المنكر والى ما يهدم النخوة والمروءة والخلائق الانسانية الفاضلة .

وزعم دعاة تحرير المرأة في بلادنا أن نصف المجتمع في بلادنا معطل ، وقصدوا من زعمهم ان المرأة لا عمل لها في مجتمعنا انهم لم يروها متأثرة في المكتب ، وفي الاوتوبيس ، وسيارات الاجرة ، والشارع .. ولم يروهـا تصاحب الاجنبي كما تصنع المرأة في بعض البلدان العربية .

وهؤلاء الدعاة جاهلون ، فنصف المجتمع عنـــدنا ليس معطـلا كما يزعمون ، لان المرأة في بلادنا تعمل في عالمها الساحر الخلاب ، وتقوم بتدبير شؤون منزلها ورعاية أطفالها وتربيتهم وخدمة زوجها .

ولو خرجت هذه المرأة للعمل خارج منزلهـا لتهـــدم المنزل عـلى رؤوس من فيه .

وهذه الدعوات الهدامة التي يتبناها دعـــاة متهـمون في دينهم وفي خلقهم ، لا تجد من يقف في وجهها وقفة قوة ويقظة ..

رجـــــال الدين ؟!

لا ، لم اجد منهم الا نفرا معدودا ..

وكان فرضا على رجال الدين أن يقفوا في وجه هذه الدعوات ويبينون خطرها على القيم الانسانية والمثل العليا والاشواق الروحية ويحموا المجتمع المسلم من غزوات الهدم والتخريب على أيدي دعاة منا عاشوا في غير مجتمعنا وتخلقوا بأخلاقه ، فهم عبيد مسخرون لخدمة المجتمعات الداعرة التي تحل كل ما حرم الله باسم المدنية الزائفة .

ان مسؤولية الحكام ، ورجال الدين عظيمة ، أعظم منها في أى وقت مضى ، فقد اصطنعت المذاهب الهدامة زخارف وبهارج تبهر العقول الضالة وذوى النفوس المريضة •

ان الغرب الذى ينظر اليه دعاة تحرير المرأة وأدعياء التقدم الكاذب أخذ الآن يشعر بما انتهى اليه أمره من التحطيم والفســـاد وتمزق العفة ، وانهيار الاخلاق ، ويستجمع قواه للعودة الى حياة الفضيلة ، في الوقت الذى بدأنا نحن نمزق أثوابها لتبرز سوءاتنا •

ولقد آن الاوان لنصحو من غفلتنـــا ونحمى مجتمعنـا بتأييد ديننا وتثبيت قواعده ، والا جرفنا التيار وقذف بنا في مهاوى الخراب والدمار •

اليقظة •• اليقظة يا حماة الاسلام !؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٣ ـ (١٩٦٤ م)

★ ★ ★

الايمان بالبعث نعمة

أيكفي المسلم أن يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ، ويعمل بأركان الاسلام أو يؤمن بأنها حق ثم لا يتجاوز ايمانه « المعلومات » التي يعرفها كل واحـــد منـــا ؟

أيكفي المؤمن أن يؤمن بأركـان الايمـان دون أن يتجـاوز هـذا الايمان حـدود القول ؟

ما أكثر المسلمين حين نعدهم ، ولكن في الحقيقة أقل من القليل !

وان كثيرا من الناس لا يؤمنون ايمانا حقا بالبعث ، بل أكاد أقول اننا جميعا لم يبلغ فينا الايمان بالبعث حد اليقين المصحوب بالعمل ٠

وأعتقد أن ايماننا بالبعث ايمان لا يتجاوز القول ، والا فما تفسير كل ما نفعله في جرأة وقحة ، في حياتنا ، ليلا ونهارا ؟

ان الايمان بالبعث يقتضينا أن نفكر في موقفنا أمام الله والحساب العسير الذى ينتظرنا وما أعد الله للصالحين وما أعد للمذنبين ، وأن نؤمن بأننا محاسبون عن كل صغيرة وكبيرة وعن كل كلمة ٠

ولو صح أننا نؤمن بكل ذلك لابتعدنا عن الشر والغش والمنـــكر والصغائر والكبائر ، ولكن اسرافنا في معصية الله وارضاء شهواتنا يجعل ايماننا بالبعث مفقود الاثر بحيث يكون هذا الايمان نفسه مفقودا ٠

ان أحدنا لا يرتكب المخالفة ، لانه يدرك أنه متى ضبط بها عوقب ، والموظف يعمـــل الشـــهر كلـــه انتـــظارا ليـــوم الحســـاب ٠٠ ليقبض المثوبة وهي راتبـــه ٠

ولو أننا فكرنا في يوم البعث كما يفكر الموظف لواظبنا على العمـــل الصالح ، ولكننا غرقنا في المادية حتى نسينا الروح والايمان ، وأدت بنـــا المادية الى نكران غد هذه الدنيا أو تجاهله ٠

لكل شيء غد . فلهذا اليوم غد نؤمن جميعا بوجوده وان كان في عالم الغيب ، وللانسان نفسه غد غير هـذا المعروف في الزمن ، وهذا الغد هو ذريته التى تعقبه فتكون له بمثابة الغد الزمنى .

وهذه الدنيا لها غد وهو المتمثل في الآخرة .

فلماذا نؤمن بالغد الذى نعرفه وندركه بعقولنا وحواسنا فنعمل له ونستعد ، و لانؤمن بيوم البعث ونستعد له بحواسنا وعقولنا وضمائرنا ونعمل لـــــه ؟

اذا كان يوم البعث مجهولا في ضمير الغيب ، فان كل غد مجهول ، وفي ضمير الغيب أيضا ، فلماذا نؤمن بهذا الغد ولا نؤمن بيوم البعث ؟..

السبب أن المادية أغرقتنا في أوحالها فانستنا يوم البعث واضعفت ايماننا به فصرنا لا نباليه ولا نفكر فيه ، بل تدل أعمالنا على الكفر به أو على ضعف الايمان به ضعفا يحملنا على الاســـتزادة من الشر والحرام .. والاندفاع الى المنكر والغرق في معصية الله .

ان البعث نعمة من نعم الله على البشرية حتى لايضيع احسان المحسن، وحتى ينال الجانى جزاء ما قدمت يداه ، والا لو لم يكن البعث حقا لتساوى الخير والشر ، والحق والباطل .

وان ما نرى من استسلام الناس لشــــهواتهم واندفاعهم الى الشر وانكبابهم على الحرام مرده الى فقدان ــ أو ضعف ــ عقيدتهم في البعث ، فهم يسرفون في الشر في هذه الحياة وكأن لا حياة بعدها ، ويمعنــون في حيازة الدنيا وكأن لا آخرة تنتظرهم ، ولذلك كثر الحرام والشر والباطل كثرة ضاع معها المؤمنون .

وكان ايمان الناس بالبعث يدفعهم الى التــماس رضـــا الله واتقاء سخطه ، فلما فقـــدوه لم تكن أمامهم ــ في عقيدتهم المادية ــ جنة يعملون الصالحات لتكون طريقهم اليها .. ولم تكن هناك نار يخشونها تبعدهم عن المحرمات التى تجرهم الى النار جرا .

وتبع ذلك التهالك على الدنيا وموبقاتها حتى لم يعــــد أمامهم وبين أيديهم الا الشر .

وان تبعة كفر الناس بالبعث أو ضعف ايمانهم به تقع على الفلاسفة والادباء الماديين الملحدين الذين حملوا على الاديان حتى شوهوها ومسخوها وحملوا الناس على البعد عن الدين والارتماء في أحضان الدنيا يعانقون واقعها ويعتنقونه كدين جديد ، ثم جاءت الشيوعية فأنكرت وجود الله أشد الانكار وزعموا ألا اله الا المادة .

وجاء كثير من المسلمين الذين لم يفهموا الاسلام الى هذه المذاهب واختدعوا بها وظنوا الا آخرة ولا بعث ولا نشور ، وصارت الدنيا هي كل شيء فانكبوا عليها ، وأطلقوا العنان لشهواتهم ووصل ببعضهم الايمان بالمادة الى حد الكفر بالدين ، كما انتهى ببعضهم ضعف العقيدة الى حد نسيان يوم البعث المرقوب .

ومرد قلق البشرية كلها وما يكربه في هذه الحياة هو الكفر بالبعث أو ضعف الايمان به ، فاذا أردنا أن نبني أنفسنا من جديد بناء صحيحا فان من الواجب أن نؤمن بيوم البعث حتى يردنا ايماننا به الى الصواب ، فنعمل من الخير ما يقربنا الى الله ويدنينا من جنته ويبعدنا عن النار التي أعدها للعصاة الذين لا يتوبون .

وعندما يعود الى الناس الايمان بالبعث يعود اليهم صفاء النفس ونبل الضمير ، وتسود المحبة الارض ويظللها السلام ، وبغير هذا الايمان لا يسعنا أن نحيا في طمأنينة وسعادة .

والمسلمون أحوج من غيرهم الى الايمان بالبعث ، هذا الايمان الذى يحملهم على الايمان بالله وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره .

ونحن أهل هذه البلاد المقدسة التي بعث منها محمد صلوات الله وسلامه عليه ونزل في ربوعها القرآن ، أحوج الناس طرا الى هذا الايمان الصادق العميق لنكون نموذجا حسنا بين المؤمنين فنكون أهلا لقيادة البشرية من جديد ، وانقاذها من الكرب الذى تعانيه ، كما أنقذها الاسلام في الماضي القريب وأنجاها من الانتحار الذى كاد أن يفضى بها الى الجحيم .

ومتى آمنا بالبعث حق الايمان ننصرف عن الشهوات والآثام والخطايا ونقبل على الخير والحق والفضيلة لننعم على هذه الارض ونتزود منها ليوم الحساب .

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م) .

كمال رسول الله

ليس في الأرض دين كالاسلام جاء بحق رحمة وهدى للعالمين لا تعصب فيه لجنس على جنس ولا حقد به على أحد ، ويتمنى الخير لكل فرد مهما كان جنسه ولونه ولغته ودينه ٠

وأخلاق رسول الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام أخلاق مثالية بلغت أرقى المراتب الانسانية التى ينزلها وحده دون سائر خلق الله ٠

كان رسولا نبيا ، وكان انسانا « انما أنا بشر مثلكم » ، و « أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » ٠

وهو ابن امرأة ، صلى الله عليه وسلم ٠
وكان يمزح ويضحك ويبتسم للحياة والطيبات ٠

جاء رجل اليه صلوات الله وسلامه عليه يطلب اليه أن يأمر له بدابة تحمله ، فقال له ما معناه : احملوه على ولد الناقة !

فقال الرجل : أو يحملنى ؟
فقال الرسول ما معناه : أليس الجمل ولد الناقة ؟!
وهذا المزاح الحق اللطيف يدل على تهذيب ولطف ٠

كان رسول الله انسانا التقت فيه كل الخلائق الانسانية الفاضلة حتى شهد الله له بقوله في محكم كتابه : « وانك لعلى خلق عظيم » ٠

وكان قلب الرسول يتسع لكل انسان ، لكل مخلوق حتى الذين يخالفونه دينا وعقيدة ، ويخاصمونه ويحاربونه ، حتى اليهود ٠

في « صحيح البخارى » عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : مر بنا جنازة فقام لها النبى صلى الله عليه وسلم وقمنا به فقلنا : يا رسول الله ، انها جنازة يهودى !

قال : « اذا رأيتم الجنازة فقوموا » ٠

وفي البخارى ٢ : ٨٥ : « ان النبى صلى الله عليه وسلم مرت بـه جنازة فقام ، فقيل له : انها جنازة يهودى ! فقال : أليس نفسا » .

هذا هو رسول الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام في بعض صفاته الانسانية ، ينهض عندما يرى جنازة يهودي تكريما واحتراما ، فلما قيل له أجاب جوابه الانساني الرائع العظيم : أليست نفسا ؟

ان النفس الانسانية لها حقها من الاحترام والتكريم ، حتى نفس اليهودي اللئيم ، لانها نفس انسانية !؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

متحف

بما كتب عن الرسول

لو كان في عالمنا العربي مختصون في الاحصاء لربحنا من العلم كثيرا : ولكني لا أعلم أن عالما عربيا اختص نفسه بهذا اللون من العلم ، والامريكيون يتفردون بين شعوب الارض بكثرة المتخصصين في الاحصاء ، فهناك عالم مختص في احصاء انواع النبات ، وآخر في الاسماك ، وهكذا ..

بل وجد من وقف عمره لدراسة أديب واحصاء كل ما كتب عنه ، بل نجد في الغرب أفرادا تخصصوا في دراسة فرد واحصاء كل ما ألف فيه ، مثل الاستاذ كيرشايزن Kircheisen الاحصائى المختص في حياة نابليون والكتب التى ألفت فيه وفي أبيه وأمه وفي ابنه واخوته وزوجته وخليلاته .

ولو كان في العربية عالم احصائى مختص مثل كيرشايزن وأحصى لنا ما كتب عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن غزواته وسراياه وأهل بيته وأزواجه وابنه وبناته وآل بيته وأعماله وصفاته لوقفنا على علم غزير .

واذا كان ما ألف عن نابليون ووالديه واخوته ذكورا واناثا وزوجتيه وخليلاته بلغ ٢٠٠٫٠٠٠ وكثير من هذه المؤلفات طبع غير مرة ، مثل كتاب مسيو تيير Thiers رئيس جمهورية فرنسا الذى طبع ثمانى عشرة مرة دراكا .

فاذاكان نابليون ولد سنة ١٧٦٩ م وتوفي سنة ١٨٢١ م وليس بيننا وبين وفاته الا ١٣٨ سنة وسعنا تقدير ما ألف عن رسولنا الكريم . وانى أخمن أن ما كتب عنه أكثر من مليون كتاب ورسالة وبحث ومقالة .

ولو اتجه المسلمون والحكومات العربية والاسلامية الى اقامة متحف يتصل برسولنا عليه صلوات الله وسلامه وحشدوا فيه كل الكتب المؤلفة بجميع اللغات سواء أكانت مخطوطة أو مطبوعة أو مصورة لكان في ذلك ثروة لا تنفد ، ولكان في عملنا هذا قدر حق القدر لرسولنا الذى لولاه لما تم انقاذ البشرية مما كان منتظرا لها من الانتحار .

وعمل كهذا لا تستطيع القيام به الا الحكومات ، فاذا قامت حكومتنا واتصلت بالحكومات العربية والاسلامية لامكن انشاء هذا المتحف الـــذى أعتقد أنه سيكون الفريد من نوعه ، وتكون المكتبة أعظم مكتبة اسلامية ، وأعتقد أن الحكومات والشعوب لن تتاخر عن الاسهام في هذا العمل الجليل.

وخير بلد لذلك مكة المكرمة حرسها الله ، فهى مولده صلى الله عليه وسلم ، وهى قبلة المسلمين ومباءتهم ، فهى أجدر مكان ان يقوم هذا المتحف العظيم فيه ، ومتى أخــذت الحكومة برايي ونفــذته فان كــل الحكومات الاسلامية ستشترك في ذلك ، بل سيشترك الافراد أيضا ، بل لن تتاخر دول العالم ، فالثقافة والجوانب الانسانية والفكرية تمحي على صعيدهــا العداوات ؟ فهل نحن فاعلون ؟ ؟

نشر بجريدة الندوة سنة ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م)

* * *

تواليف المسيحيين

بعض المسيحيين ممن يعرفون صناعة القلم شعرا ونثرا يؤلفون كتبا ودواوين في تمجيد الاسلام ورسوله عليه الصلاة والسلام . فينهض منا من يهتفون بأسماء هؤلاء المؤلفين ويصفونهم بصفات العدل والانصاف والحق ، ويوالونهم ويشترون كتبهم ، ويجيزونهم بالجوائز السنية .

ان هؤلاء يقولون في شعرهم ونثرهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم صادق أمين ، ورسول حق ، والاسلام دين صحيح ، والقرآن كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومن هؤلاء المسيحيين الذين نظموا الشعر في تمجيد الاسلام ومحمد الصادق الامين ميشيل الله وردى السورى ، وبولس سلامة اللبنانى . وممن ألفوا كتبا كثير من المسيحيين .

وأنا أمقت هؤلاء لانهم منافقون ظاهرو النفاق ، ألفوا كتبهم ليبتزوا أموال المسلمين ويشتهروا بينهم بالانصاف والحق والحب للاسلام ورسول الاسلام ، وما غير ذلك يقصدون ، وقد بلغوا ما أرادوا .

اذا كان هؤلاء مؤمنين بأن محمدا رسول حق ، ودينه حق ، والقرآن حق ، فلماذا لا يسلمون ؟

لو أنهم اقتنعوا بما قالوا ودونوا لنا قناعتهم بعد اسلام صحيح بريء لكان فيما كتبوا آية على صدقهم ، أما وانهم يقولون ذلك بألسنتهم وليس منه شيء في قلوبهم ، ويتمسكون بدينهم لا يتركونه الى الاسلام فان الحجة عليهم ، وانهم لضالون على علم ، ممقوتون للنفاق .

ان ما كتبوه ونظموه صناعة يراد منها الكسب وخداع المسلمين وما يزال أكثرنا ينخدعون بهم .

وانا لنربأ بأنفسنا أن يعرفنا برسولنا من لا يؤمن به حق الايمان ، ونأبى أن يعلمنا سيرة المصطفى غير متبع شريعته ، ولن نقبل كلاما من فم لا ينطق بالشهادتين .

وان من يوالي هؤلاء من المسلمين ويمدحهم ويثني عليهم ثناء جمـا مستطابا آثم ، ولم يصنع ذلك مسلم كامل الايمان صادق الاسلام .

اذا كان هؤلاء الذين يؤلفون في « الاسلام » وفي « رسول الاسلام » كتبا وهم يعتقدون حقا أن الاسلام دين الانسانية الخالد ، وانه دين الله الذي ارتضاه لعباده ، وان محمدا عليه الصلاة والسلام رسول الله حقا ، وان القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

اذا كان هؤلاء مؤمنين حق الايمان بما يكتبون فلماذا لا يسلمون ؟

لئن كانوا واثقين أن محمدا صلى الله عليه وسلم صادق ورسول فلماذا لا يؤمنون برسالته حقا ويدخلون في دينه ؟

ان هؤلاء الكتاب المسيحيين في عالمنا العربي يدركون أنهم لو ألفوا في « المسيح » عليه الصلاة والسلام وفي « المسيحية » كتابا ما استطاعوا أن يجمعوا ما أنفقوا في الطبع ، ولهذا يتمسـحون بالاسـلام ورسوله حتى يربحوا ، وهم لا يكتفون بما يربحـون بـل يتصـلون بالاغنيـاء والحكام المسلمين ويهدون اليهم طمعا في هباتهم كما فعل ميشيل الله وردى السورى الذى رأيته وهو يتسول بكتابه ، وكمـا فعل نظمي خليـل الذى أخبرني الاستاذ محمد علي الحوماني أن نظمي ـ هذا ـ مضى الى « مليونير » سعودي وزاره هو وزوجه وأخذا منه هبات جزيلة وهدايا كبيرة .

ونحن في غنى عن تواليف هؤلاء ، ومن العار علينا أن نأخذ سـيرة محمد ممن لا يؤمنون برسالته .

وقرأت في صحفنا تمجيدا عظيما وثناء مسرفا ومديحا جزافا في نظمي خليل وكتابه ، ورأيت سباقا على اقتنائه ، وبذلك روجنا كتابه وحققنـا أمنيته بتنمية دخله وأثبتنا لديه غفلتنا ، وكان حريا بنا أن نكون صـاحين فلا تجوز علينا حيل المبطلين ؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)

رسول الله يجوع

(الى الاغنياء الذين لا يجوعون ولا يشبعون ،
والى الفقراء الذين يجـوعون ولا يشبعون) .

كانت الشمس في كبد السماء تذيب المخ حرارتها اللاظية ، وكان أهل المدينة المنورة قد لاذوا ببيوتهم وأكواخهم يحتمون بها من وهج الشمس ، ولم يستطع أحد أن يغادر منزله لتسلم نصيبه مما أفاء الله على المسلمين ، غير أن الحرارة اللاهبة لم تمنعهم من الذهاب الى المسجد النبوى عندمـا سمعوا المؤذن ينادى بصوتـه الجـهورى : « حى عـلى الصـلاة » بل خرجوا كالنحل .

ولكنهم ما كادوا ينتهون من الصلاة حتى انفتلوا الى البيوت والاكواخ يلوذون بها من شمس المدينة الصاهرة ، وخلت الاسواق فلا ترى فيـها أحدا ، لان الناس قد تركوها الى مساكنهم .

وبينما الاسواق خالية من المـارة والسـموم يهب مثل فيح جهنم خرج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته في حزة ما كان يخرج فيها ولا يستقبل بهـا أحـدا .

وما كاد يخرج حتى رأى أبـا بكر الصديق يقصده ، وكان غائر العينين ، يحث الخطى ، الا أنه اثاقل قليلا عندما أبصر رسول الله واستحى منه ، فسأله : ما جاء بك يا أبا بكر ؟

فصمت لحظـات ثـم أجـابه في تلعثـم وحيـاء : جئت ألقى رسـول الله وائتنس بـه ، وأسـلم عليـه ، فرد عليـه الرسول : أهـلا بـك .

وبينما هما كذلك اذ أقبل عمر بن الخطاب كأنما ينصب من صبب ويهرول في مشيته ، وكانت عيناه زائغتين ، ووجهه جافا ، حتى اذا رأى الرسول وصاحبه ابتسم وحيا فيسأله الرسول : ما جاء بك يابن الخطاب ؟ فيجيبه في سرعة : الجوع ! الجوع يا رسول الله .

فيقول الرسول : وأنا قد وجدت بعض ذلك !

فيقف الرسول وصاحباه لحظات تمتد حتى تصبح دقائق يفكرون ٠

كلهم جائع ، فهذا عمر ينتفض من السغب فيكاد يجلس ، وأبو بكر ـ ذلك الغنى العظيم ـ تكاد تنوء به قدماه من الطوى ، ولكنه يتجلد ويصبر ، ويشغل نفسه بالنظر الى وجه محمد ويتملى جماله الرائع المهيب ٠

انهم صامتون يفكرون ، ولكن عمر يقطع صمتهم ويصيح : يا رسول الله ، الجوع ! الجوع ! فيرد عليه أبو بكر : فما الرأى ؟

ثم يخيم الصمت ، ويلفحهم السموم فيقول عمر : لقد برح بى الجوع وآذانى السموم !! وما جدوى قيامنا للسموم ؟

ثم يصمت عمر فيسود الصمت من جديد ، واذا الرسول عليه الصلاة والسلام وصاحباه تشرق وجوههم بالبشر ، ويقول عمر : نعم ، الى ابن التيهان الانصارى ٠

ويقول أبو بكر : نعم ، الى أبى الهيثم ابن التيهان الانصارى ٠

وترى الرسول وصاحبيه يمشون ، وعمر يكاد يهتز من السرور ، واذا هم يقفون عند ضيعة كبيرة فيها نخيل وثمر ، وبجانبها حظيرة ملاى بخرفان وشياه ، وينادى عمر : أبا الهيثم ٠

وأردفه أبو بكر : يابن التيهان الانصارى ٠

ولكن لا مجيب ٠

وعندئذ ينادي محمد في رزانته وهدوئه : يا أبا الهيثم ٠ فتطل امرأة من الدار وتجيب : من ؟ ثم تثب الى الباب تفتحه وتقول في بشر وسرور : أهلا برسول الله ، أهلا بحبيبى رسول الله !

ويسألها الرسول : أين زوجك ؟

فتجيبه : أهلا بأبى أنت وأمى يا رسول الله ٠

ويصيح عمر : أين أبو الهيثم ؟

فترد عليه : ذهب يستعذب لنا الماء ٠ ادخل يا رسول الله ٠

ويدخل الرسول وصاحباه ، وما كاد يستقر بهم المقام حتى يروا أبا الهيثم مقبلا وعلى ظهره قربة ينوء بحملها ، ويسرع عمر فيضعها عنه ، فيعدو الرجل الى رسول الله ويعتنقه ويضمه الى صدره ويلثم يديه ويلتزمه ، وتدمع عيناه من السرور ، ويشتغل بذلك عن التحية ثم يرتد الى نفسه ويقول مبتهجا : أهلا برسول الله ! أهلا بالمصطفى ، أهلا بحبيبى ، يا لسعدى ! المصطفى في دارى ، هنيئا لك يابن التيهان ! على الرحب والسعة يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي !!

ثم يقوم الرسول وصاحباه ويمضى بهم الى حديقته المثمرة ويبسط لهم بساطا ، ثم ينطلق الى نخلة ويقطف منها قنوا ويأتيهم به ويضعه بين يدى رسول الله فيداعبه ويقول له : يا أبا الهيثم ، أفلا تنقيت لنا من طبه ؟

فيجيبه خجلا : يا رسول الله انى أردت أن تتخيروا من رطبه وبسره .
فيسمي الرسول ويمد يمناه ويأكل فيأكل صاحباه ويشاركهم أبو الهيثم ، وزوجته ترقبهم عن بعد وهى سعيدة بهذا النبى الذى آثرهم بزيارته ، وشرفهم بمقدمه .

ويلتفت عمر فلا يرى ما يريد ، فيسأل : أين الماء ؟ فينهض أبو الهيثم ويأتى بماء عذب بارد فيسقى منه الرسول ثم يقدمه الى عمر فيرتوى منه ويستند الى جذع شجرة ويهتف : الحمد لله ، فيردد أبو بكر : الحمد لله حمدا كثيرا ، انه أهل الحمد كله .

ويقول محمد عليه السلام : هذا ـ والله ـ النعيم الذى تسألون عنه يوم القيامة .
فيسأل عمر : أهذا النعيم الذى نسأل عنه ؟
فيجيبه محمد : ظل بارد ، ورطب طيب !
فيردد أبو بكر وعمر : آمنت بالله ، الحمد لله .

وينطلق أبو الهيثم ليهيىء لضيوفه الطعام ، فيقول الرسول مازحا مقترحا : يابن التيهان ، لا تذبحن لنا ذات در .
ويقترح أبو بكر : لتكن يابن الهيثم عناقا .
ويزيد عمر : أو جديا .

ويسوق أبو الهيثم جديا فارها ســـمينا ويذبحـــه ويسلمه زوجه حيث تقوم بطهيه .

ويجلس أبو الهيثم الي الرسول عليه السلام ، ويلصق جسمه بجسده الكريم الطاهر ، ويلقف كلماته وأحاديثه ، وأبو بكر وعمر مصغيان ، وبينا هم كذلك تنادى امرأة أبى الهيثم زوجها ، فيستأذن رسول الله ويلبى نداء زوجه ، ثم يحضر الغداء شواء وسليقا ، ويضع المائدة بين يدى الرسول ، فيمد يده بعد اسم الله ، ويمد أبو بكر وعمر ويشاركهم أبو الهيثم ، وبعد ان طعموا وشربوا لبثوا يتحدثون ساعة ثم استأذنوا .

وخرج أبو الهيثم يودع الرسول فسأله عليه السلام : ألك خادم ؟ فأجاب أبو الهيثم بالنفى .

فقال له : يا أبا الهيثم ، ان أتانا سبى فاتنا .

ومضت أيام فأتى النبى بأسيرين ، ولم ينس وعده لأبى الهيـــثم ، وان كان أبو الهيثم ترك تذكير الرسول خشية منه وتأدبا وحياء ، وتناسى ذلك ، الا أن الرسول ذهب اليه بأسيريه فرحب به ولثم يديه .

وعرض الرسول على أبى الهيثم الاسيرين ينتقى منهما من يعجبه ، وبعد أن حملق فيهما حار في أمره ، ثم ذكر من يريد انتقاءه سيكون خادمه وخادم زوجه ، فاستأذن رسول الله في أخذ رأى امرأته فأذن له ، ومضى مسرعـــا اليهـــا :

ـ اسمعي ، لقد وفى رسول الله وعده واحتجز لنا عبدين ننتقى منهما من نريد ، فاختارى الذى ترضين ، وان أحدهما لكثير الصلاة .

ـ يا أبا الهيثم ؟! أنختار بحضرة رسول الله ؟ أطلب اليه أن يختار لنا ، فذلك خير !

ـ صدقت ..

وعاد أبو الهيثم الى الرسول عليه السلام وقال له : يا رسول الله اختر أنت لنا !.

فقال الرســـول : المستشـــار مؤتمن ، خذ هذا فانى رأيته يصلى واستوص به معروفا .

وانطلق ابن التيهان الى زوجه يسألها رأيها ويخبرها بقول الرسول ، فقالت له : يا أبا الهيثم ، ما أنت ببالغ حق ما قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم الا أن تعتقه .

فقال : والله ، انك لزوج خير .

وأسرع أبو الهيثم الى الرسول فرحا يخبره برأى زوجته فانبسطت أسارير وجهه وقال : ان الله لم يبعث نبيا ولا خليفة الا وله بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالا ، ومن يوق بطانة السوء فقد وقى .

فقال أبو الهيثم : هو عتيق يا رسول الله ؟

نشرت بمجلة « الحج » سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٤٩ م)

* * *

بـــلادنا

فقيرة في البحث الديني

لم يخل العالم يوما من الايام من مشاكل وقضايا تقض مضاجع الناس وتشغل بال المفكرين والمصلحين ، وعندما ظهر الاســلام واجـه مشكلات كثيرة ، بعضها بالغ التعقيد ، وبالغ غاية في الخطورة ، والبشرية كلهـــا غريق في بحار الاضطراب والقلق والظلم •

وكان نصيب الجزيرة العربية من ذلك موفورا ، فالاصنـام تعبد ، والفواحش تؤتى ، والارحام تقطع ، وأموال الناس تؤكل بالباطل ، والامن مفقود ، والظلم سائد ، والقتل سهل ، والرذيلة شائعة ، والعقائد فاسدة •

فلما جاء الاسلام واجه مشـــكلات فردية وجماعية وعالمية وبشرية ، مشكلات لا قبل لاحد بحلها ، فجاءت الحلول السليمة من السماء ، فـاذا الارض غير الارض ، وتخلصت الانسانية من الانتحار الذى كانت مقدمة عليه ، وأقبلت على حياة جديدة فاضلة ، واذا الناس الذين كانوا نمـاذج في الشر أصبحوا بفضل الاسلام أعظم نمـــاذج الخير في الدنيا بأجمعها ، وانقلبوا بنعمة من الله وفضل أفضل الناس طرا •

ان أريد تشريع يطهر الانسان من الظاهر والباطن فالاسلام صاحبه ، وان مدنية فالاسلام بنى أفضل مدنية قائمة على أساس الاخلاق الكريمة •

كل ما فيه خير الفرد أو المجموع جاء به الاسلام ، وما يزال الاسلام كما كان يحمل في أطوائه القوة والحق والجمال والفضائل والمكرمات ، ولا يمكن بحال من الاحـوال أن ينفصل عنـــها أو تنفصل عنه مثل الضـوء من الشمس •

وكتاب الله عز وجل ، وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، وآراء الخلفاء وبحوث الائمة تبرهن على أن الاسلام دين انسانى صحيح ، دين عالمى يحارب القومية والوطنية اللتين لا تعملان عمل الاسرة الشريفة الطيبة ، أما اذا كان انحراف وأذى فهو خصم يهدى الى الرشد وصراط مستقيم •

وانتهى أمر المسلمين الى ما نرى ضعفا وذلا وخضوعا ، حتى اذا أراد الله لهم العزة نسوا الله ونسوا الاسلام وشغلهم الاستعمار بنظمه وتعاليمه حتى اعتنقوها دينا بديلا من الاسلام الا في بلد هو هذا البلد المقدس •

وليس معنى هذا أننا حمينا الاسلام ورعيناه ، بل كنا ممن ضيع ، لاننا احتفظنا منه بالاسم واللون ، وتركنا اللب والعقل والبحث والدراسة ، ومع هذا نقرأ في صحفنا المديح الذى نكيله لانفسنا ونمتدحها على التقدم وما ثم تقدم صحيح ·

ان الاسلام حركة مادية لانه يعمر الارض ويزحم السوق وينشىء الحضارة والمدنية ، ولكن قبل ذلك حركة عقلية ، وبراعة استهلاله « اقرأ » والقراءة حركة عقلية ووجدانية معا ، تقوم على الثقافة والدراسة والبحث لان القراءة مظهرها ·

ونظن أنفسنا قد تقدمنا ، وما شىء من ذلك في ميزان الحق والواقع ، ان عددنا هذا العمران الحضارى المستعار تقدما فليكن ، ولكن ليس لنا فيه غير التملك لا الابتكار والصنع ·

وهذه الحركة العمرانية تقدم محسوب في مزايا من كانوا سببه ومخترعيه ، ولسنا نحن منهم ·

أما الحركة العقلية فما أرى لها وجودا ، فمنذ خمسين سنة وليس فينا من ألف كتابا ذا أثر بارز في تغيير الاخلاق ومجرى التاريخ ·

ليس لسعودى كتاب واحد في أى فرع من فروع علوم الاسلام ، نعم ، كتاب واحد يرتفع الى مقام البحث العلمى ·

خذ الشركات ، باب من أبواب الفقه في جميع مذاهبه ، لم ينهض سعودى ببحث الشركات ونظمها وأصولها وقواعدها في الاسلام ومقارنة هذه النظم بنظم الشركات في الاسلام ·

وعندما أرادت الحكومة سن نظام للشركات وألفت مشروعه لم يكن مبنيا على قواعد الفقه الاسلامى ، لان من وضعوه ليسوا من دارسيه ولا من الملمين به ·

وقد تخرج جيش عرمرم من كلية الشريعة ببلادنا ، وشغلناهم بالوظائف دون أن ندفع بهم الى تفتيق عقولهم واستثمار معلوماتهم ، وكان على الحكومة ألا تعترف بشهاداتهم الا بعد تخصص سنتين يؤلف كل خريج خلالهما رسالة كرسالات الدكتوراه ، فاذا ألفوا منحناهم الشهادة وأسندنا اليهم أعمالا يفيد منها مجتمعنا ·

وان بين هؤلاء الخريجين لشبابا صابيا للعلم ، متفتح الذهن ، لا يعسر عليه أن يتخصص في موضوع من موضوعات يشبعه درسا ويزويه بحثا ، ولكن نكتفي من البذور بأن تستحيل غرسا ولا نطالبه بثمره .

أى تقدم نفخر به وليس بين أيدينا كتاب دينى واحد يرتفع الى مقام البحث العلمى ؟

ونستطيع الآن أن « نفرغ » عشرة مفكرين كبارا ندفع بهم إلى الانتاج القيم الرفيع ، وما تنفقه عليهم الدولة ليس خسارة ، بل هو الربح الموفور .

ولنعلم أن حسابنا على التاريخ غاية في العسر ، وان فقرنا بلغ حد الإدقاع في مجال البحث ، ولا يخفى هذا العيب أو النقص كل هذه المشاريع ولو بلغت قيمتها البلايين ؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

* * *

بـــلادنا

خالية من القصور التاريخية

زرت في بعض رحلاتي بأوروبا وأفريقيا وآسيا قصورا شاهقة مضى عليها عشرات القرون وهى تشهد بعظمة بناتها ومهندسيها ، وبقدرة الانسان وعبقريته •

رأيت بمدينة « الجم » في تونس قصرا عظيما لا شبيه له في العالم الا قصر في روما ، وكلا القصرين على شكل واحد ، وهندسة واحدة ، ويجتذب الانسان منظره وفخامته وعظمته •

وبلادنا خالية من أمثال هذه القصور التاريخية ، وما مرد ذلك الى الغنى والحضارة ، فقد كان في مكة المكرمة ـ حرسها الله ـ في الجاهلية أصحاب ملايين مترفون رأوا قصور الفرس والروم ، وكان في عهد الاسلام الاول من صحابة محمد صلوات الله وسلامه عليه أصحاب ملايين ، بل كان من المبشرين بالجنة من يملكون الملايين بعرق الجبين والعمل الحلال ، ومع هذا لم يشيدوا قصورا كما في روما والجم ومصر •

وليس من دواعى الفخر وأسباب العزة هذه القصور ، لانها تشهد بظلم الحكام للشعب ظلما مبينا ، والتاريخ يذكر لنا أن عشرات الالوف من أبناء الشعب سخرهم الطغيان للعمل ، ودفعهم الحاكم اليه دفعا ليسعد ويتمتع على حساب الشعب وحرمانه •

والعرب ما كانوا يبيحون ظلما كذلك الظلم ، فلم يبنوا قصورا كتلك القصور ، ولما جاء الاسلام اتجه الرسول وأصحابه لبناء المجد المتسلط والمجد الدنيوى الزائل الى المجد الروحي الخالد •

لم يبن محمد ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ قصرا ، ولم يبن الخلفاء الراشدون ، بل عاشوا فقراء مساكين ، وكان في وسعهم أن يفعلوا ما فعل أولئك الطغاة ، ولكن الاسلام دين يمنع الظلم والاحتكار والتسلط والسلب والنهب ، فلم نجد قصورا كالتى رأيناها في الجم وروما ومصر •

ان وجود تلك القصورالتاريخية لعنة على بناتها ما تنفك عنهم لانهم ما بنوا ما بنوه الا بعد أن ظلموا وسلبوا الشعب كل حقوقه •

وخلو بلادنا من أمثالها شرف كبير وفخار لا ينتهي ، لان هذا الخلو يدل على العدل والانصاف والاشتغال بما فيه الحمد الحق ، والبعد عن قهر الشعب وظلمه وتسخيره لاهواء حاكم غشوم مستبد ٠

خلو بلادنـــا من هـــذه القصور والاهرامـــات مجـد روحي عظيم على مثل هذا الخلو الذي هو في حقيقته ري وشبع ٠

واذا خلت بلادنا من هذه القصور والاهرامات التي تلعن بناتها الظلمة فانها زاخرة بأمجاد روحية وتاريخية توحي بمعاني الاخوة والعزة والكرامة٠

ومن هذه الامجاد الروحية المكان الذي عذب بـــه بلال وعمار وأبواه ياسر وسمية ، فما زادهم العذاب الا ايمانا بالله وأن الدين الجديد الـذي جاءهم به محمد بن عبـــد الله عليه الصلاة والسـلام هو دين الحق الذي حررهم من عبودية المخلوق ورفعهم الى توحيد الله ٠

هذا المكان التاريخي العظيم بمكة المكرمة ـ حرسها الله ـ وكان حريا بنا أن نعرفه ونقيم عليه دليلا يشير الى عظمته وأثره ٠

والمثالية البالغة في التضحية والصبر والايمان تتجلى في هذا النفر من المسلمين الذين صبروا وصابروا حتى قهروا سادتهم وظالميهم بالصبر ٠

وتعيين مثل هـــذا المكان واظهاره مما يوحي الينا بالعزة والكرامة ، لانه أثر من آثار البطولة الدينية وعظمة الاسلام ٠

وهناك عشرات ومئات من الامكنة التاريخية مثـــل مسجد الحديبية يجب علينـــا أن نحرص عليهـــا ونعينها ، لانهـــا من أمجـاد أسلافنـا الروحية ، ويجب أن نحافظ عليها ونستلهم ما نستلهم من كتبنا العظيمة ٠

وهذه الآثار من الحوافز النفســـية والاجتماعية والحضارية لانهـا تدفعنا الى التأثر بالسلف ، واتخاذهم قدوة لنا ، والاندفاع الى بناء صرح الإســـلام من جديد ؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)

الذين يأكلون

أموال الناس بالباطل

أنسوا البعث والحساب والثواب والعقاب ؟

ليت شعرى ! أكفر بعض الناس بالبعث والحساب فلم يعودوا يخافون الله ويفكرون فيما بعد الموت ويوم الحساب !

ان الباطل يمرح بين الربوع وينزل في القلوب ، فنجد له صولة بعد أن كانت له جولة ، وصارت الرشوة عملا مرغوبا فيه ، ولا يشعر من يقبضها بالخجل والعار ، وكأنه لا يأتى الا ما لا عار فيه ، ولا حياء منه ٠

كيف يستبيح أحدنا مال غيره ؟ وكيف يهنأ له عيش حرام ؟ وكيف يبنى جسده وجسد أولاده وأسرته بالسحت ؟ ألا يذكر ما جاء في الحديث الشريف : « كل جسد نبت من حرام فالنار أولى به » ٠

في الكامل لابن الاثير ج ج ص ١٥٠ : « لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف الى وادى القرى ، فحاصر أهله ليالى فافتتحه عنوة ، وفي حصاره قتل مدعم مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أهداه له رفاعة بن زيد الجذامى فقال المسلمون : هنيئا له الجنة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا ، والذى نفس محمد بيده أن شملته لتشتمل عليه نارا ٠ وكان قد غلها من فيء المسلمين يوم خيبر ، فسمعه رجل فأتاه فقال : يا رسول الله أصبت شراكين لنعلين كنت أخذتهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقد لك مثلهما من النار » ٠

حقا ، ان محمدا رسول الله لا تأخذه في الحق لومة ، ولا يقبل في باطل عدلا ولا شفاعة ، ولو سرقت فاطمة ابنته ـ رضى الله عنها ـ لقطع يدها ، فهذا مولاه « مدعم » يأخذ شملة ، ويموت في ميدان الجهاد ، ومع هذا الشيء اليسير التافه الذى أخذه من فيء المسلمين بدون حق يستحيل عليه نارا تحرقه ، ولا يدفعه حبه لمولاه أن يقول غير الحق لانه رسول الحق٠

بل هناك من يأخذ شراكى نعل ويعترف ، فيتوعده الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه : « يقد له مثلهما من النار » !

وما قيمة الشراكين ؟ ومع تفاحة قيمتهما أنذره الرسول بنار مقدودة له ، لانه استباح من أموال المسلمين مالا يساوي غير جزء يسير من درهم ٠

فماذايكون عقاب المرتشين الذين يبنون من الرشوة ويخرجون على المعارج ويعيشون في زهو وخيلاء ؟ أتراهم أمنوا مكر الله ؟ أتراهم لا يؤمنون بالبعث والحساب ؟ وإذا كان من أخذ شراكي نعل يقد له مثلهما من النار ، فأى سعير يتردون فيه ؟ ان شرارة من نار الآخرة لو أصابت الدنيا لاحرقتها فكيف بالجحيم تلسنه ؟!

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يغن عن مولاه «مدعم» من الله شيئا ، فالنار تشتمل عليه لانه غل شملة ، ولم ينفع مدعما قربه من خير الخلق والجهاد ! فماذا ينفع هؤلاء الذين أخذوا من رؤوس أموال المسلمين لا فيئا أفاءه الله ؟! أخذوا الرشى واستباحوا من الاموال ما عصمه الله وحرمه الا بحقه ولم يكونوا مثل مدعم قربا وجهادا ٠

ان هؤلاء المرتشين يخافون من المخلوق ولا يخافون من الله ، ويؤمنون بالدنيا ويكادون لا يذكرون يوم الحساب !

ليت شعري ألا يفكر هؤلاء الظلمة في عذاب يوم عظيم ؟

ثم هناك غير المرتشين ، هناك المرابون ، وهناك من يأكل اموال اليتامى ظلما ، وهناك « المقاولون » الذين يبيحون من الاموال والحقوق لانفسهم ما لا يباح ، وهناك وهناك ٠

ربنا اننا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، ربنا اغفر لنا واهدنا سواء السبيل ؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

انصر أخاك ظالما

كثير من الناس يستشهدون بهذا الحديث ولا يفهمون معناه المستقيم، ويظنون أن مدلوله أن ينصر الانسان أخاه أو صديقه أو زميله على الحق والباطل ، اذا اعتدى أخوه على أحد فهو شريكه في العدوان ، يؤيده كل التأييد ، ويشهد معه زورا وبهتانا لتثبيت عدوانه وضياع حق صاحب الحق لانه فهم أن هذا الحديث يأمره بنصره وهو ظالم .

وهو فهم عجيب من هؤلاء الناس ، مع أن نصر أخيه حالة ظلمه هو أن يكفه عن الظلم ويعيده الى حظيرة العدل ويرضي صاحب الحق .

هذا هو معنى نصر الاخ وهو ظالم ، وأما نصره وهو مظلوم فلا يحمل على أن يضع يده في يد أخيه ليكونا معا في الانتقام من الظالم حقا وباطلا ، بل ينصره بالحق بأن يسير معه في طريق العدل الذى يجبر على عدم التعاون على الاثم والعدوان ، بل يعاونه في البر والخير والصلاح .

وما أكثر الحالات التى رأيت فيها نصر الزميل زميله وهو ظالم فيشاركه في ظلمه ، كأن يتطاول زيد على عمرو ويعتدى عليه ضربا أو سبا فاذا صاحب زيد يساعده في العدوان ويزيد عليه بأن يشهد في مصلحته ضد من اعتدى عليه .

ويجب على مجتمعنا أن يكون أفراده من النبل والضمير بأن لا ينصر أخاه الظالم ويساعده على ظلمه ، لان ذلك لا يتفق مع الاسلام دين الحق والعدل .

واذا كان الشرع الاسلامى لا يجيز شهادة الاجير ويمنع شهادات بعض الناس لتكون الشهادة بعيدة عن الزيف والزور أو الشبهة فان من العدل ألا نتسرع بقبول شهادات الزملاء بعضهم لبعض تحريا للحق وتوخيا للعدل .

وأذكر أننى قرأت في كتاب « الطرق الحكيمة » للامام ابن القيم قصة قاض جاءه اثنان ، أحدهما يدعى على الآخر الذى أمسك به وساقه الى

المحكمة بمبلغ ، فلما سأل القاضي المدعى عليه اعترف في سرعة نبهت الحاكم الى أن في الامر سرا ، ورد دعوى المدعي وطرد المدعى عليه .

وظهر أن فراسة القاضي كانت في موضعها ، فالمدعى عليه ابن غني ، واتفق مع زميله على الدعوى ليحكم القاضي عليه باعترافه ، فاذا عجز أمر بسجنه ، فيسرع والده الثرى بدفع المبلغ وحينئذ يعود المبلغ الى ابنه ليتفقه مع زميله ..

وهذا يحملنا على التريث والاناة في أمثال هذه الدعاوى والشهادات وفحصها ونقدها ، والتفرس في أصحابها خشية أن يظلم مظلوم أو يتهم برىء أو يصاب سليم صحيح .

ويجب أن يفهم الحديث الشريف فهما مستقيما يتفق مع عظمة رسولنا الذى بعثه الله بالحق ، فلا ننصر أخانا ظالما بأن نؤيده في ظلمه ونقهر العدل الذى مع خصمه ، بل يجب أن ننصر أخانا الظالم بتبصيره عاقبة ظلمه ونكفه عنه ونثنيه عن الجور ونعيده الى طريق الحق والرشاد ، وهذا هو نصر الاخ الظالم ، لا كما يفهمه بعض الناس على أنه تأييده في الظلم ومساندته في الباطل والشهادة له في مصلحته زورا .

وان أى مجتمع انسانى لا ينجح الا اذا آمن بأن الظلم حرام حرمه الله على نفسه ، وعلى عباده ، وأمر بالعدل والاحسان .

وان الخلل الذى نراه انما هو ناجم من فقدان تمسكنا بدين الله وبعدنا عن الاعتصام بالله الذى اختار لنفسه من الاسماء والصفات « الحق » لجلال الحق الذى يليق بعظمة الله عز وجل .

فلنلتزم الحق ولنعتصم بالله فهو نعم المولى ونعم النصير ؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

أنا أولى

من غيرى بالنصح

أردت أن أكتب هذا الحديث واعظا ناصحا ، فما وجدت في الارض من هو أحق بالنصح والوعظ منى ، وان الشيطان ليزين لى عملى ويضخم لى صغيره حتى يحملنى على استصغار ذنوبى وكبائرى ، واستعظام أعمال تافهة صغيرة على أنه عمل صالح كبير وما هو الا تافه يسير وما هو الا عادة تعودتها ، أصلى وعقلى خارج صلاتى وقلبى مشغول بغير الله ، وأصوم وما صيامى الا كصلاتى .

أبعد هذا أوجه نصحى الى غيرى ؟ ان من الحماقة والجهل أن يتظاهر من يفقد الشىء بأنه معطيه .

أنا مسلم مؤمن ، وهب الله لى من النعم ما لا أحصيه ثناء عليه ، فماذا صنعت بهذه النعم ؟ أسخرتها لمرضاة الله ؟ كلا ، أسخرت بعضها من أجل الله عز وجل ؟ لا والله .

وما وهب الله لى من نعم ان هو الا فضله الذى لا أستحقه بعملى ، ولا بجهدى ، بل هذا الفضل مثل الديمة التى تمطر على صحراء ، هى لا تستحقها ولكن الديمة لا تطيق الا أن تمطر .

وهب الله لى عقلا فلم أسخره للتفكر في ملكوت الله ، وأنعم على بالقوة فلم أقفها الا فيما يغضب الله ، وأكرمنى بما لا أحصى من النعم ، ومع ذلك لم أعمل ما فيه رضاه .

وهب لى دينا قيما فلم أعتنقه بحق ، اذ لو اعتنقته بحق لنهانى عن الفحشاء والمنكر ، ولأبعدنى عن طريق المديح الكاذب والنفاق المرذول والعمل المشين .

ووهب لى مالا فلم أنفق منه الا فيما يغضب الله ويؤذينى .
ووهب لى قوة فلم أنفق منها في الجهاد شيئا .
وزين لى الشيطان الدنيا ففتنتنى وشغلتنى عن الله ، فلم أنطق

بالحق والصدق ، بل نطقت بالهجر من القول والفحش من الكلم ، وزخرفت الباطل ، وركنت الى الظلم ، وتجنبت قول الحق جبـــنا وخوفا ورغبة في لعاعة الدنيا الفانية وحطامها القذر .

تركت الجهاد فأذلني الله لاحقر الناس ، وتركت الحق حتى صرت عبدا لشهواتي ولمن يذلوني ويحطون من قدري ، وتركت الله فتسـلمني الشيطان ويا ويل من ترك الرحمان .

كلنا ـ والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ـ بلغنا في السخاء والكرم والجود أبعد ذرى يصل اليه أريحي جواد ، ولكن في النصح . كلنا يتبرع بالنصح في سخاء عجيب ، ولكن من الذي ينتصح ؟!

الله يـــأمر ونحن نعصى ، وهـو ينـــهى ونحن نسـرف في اقتراف الخطايا والآثـــام .

ولو كان هذا النصح مادة أو دراهم لما رأيت ناصحا ، بل ينصـــح ناصح أن نعمل صالحا وهو أشد بعدا عن الصلاح ، ويحذر آخر من فعل ما يغضب الله وهو مسرف في اغضاب الله .

وبعد كل هذا يظن الواحد منا نفسه مسلما مؤمنا محسنا ، ونمن على الله بصلاة آلية نؤديها في غير لذة .

اننا نلقى من نحب بشوق لا مزيد عليه ، وبحفاوة منقطعة النظير ، ولكننا نلقى الله في الصلاة وقلوبنا منصرفة عنه مشغولة بسواه ، ومع هـذا ندعى أننا مسلمون مؤمنون !

وأنا لا أبرىء نفسي ، بل أعتقد أنى من كبـــار المذنبين الخطائين ، وأعرف من نقائصي ما يجهله سواي ، ومع هذا أدعى الصلاح .

ان الايمان أن تعتقد بقلبك ما فيه خيرك وهو أن الله واحد أحد حق فرد لا شريك لـــه ، وان واجب الانســـانية عليــك كبـــير ، وأن تتبـع الطريق المستقيم .

والايمان ـ بعد اعتقاد الجنان ـ عمل بالاركان ، وليس العمل مجرد حركة آلية ، بل يجب أن يصحب القول والفعل حرارة وصدق وصفاء .

ان أحدنا يصحب قوله لحبيبه : «انني أحبك» بما يثبت هذا الحب، ولكننا في جانب الله نكتفي بالقول الذي لا يؤيده عمل صادق .

الايمان قول باللسان وعقيدة من القلب وعمل بالجوارح ، ويجب أن يكون القول والعقيدة والعمل رفقة متحابة .

أما الاكتفاء بالقول المصحوب بعمل لا صدق فيه فهو ليس من الايمان لان مفهومنا الصحيح منه ينقض ما نقول ونعمل .

وليس الاسلام دين الظاهر وحـــده بل هو دين الظاهر والباطن ، العرض والجوهر ، القول والعمل ، فاذا لـــم يكن القول صادرا عن ثقة وصـــدق وايمـــان فهو تزييـــف وخـــداع ، والعمـــل اذا خـــلا مـــن الصدق والحرارة فهو عمل آلة لا تحس .

والصلاة قول وعمل ، وكلنا نؤديها ونحرص عليها ، ولكن ما أثر هذه الصلاة في أنفسنا ؟

أأصلحت ما خفي من أمورنا عن الناس أو ما ظهر منها ؟ أنهت عن الفحشاء والمنكر ؟ أثبتتنا على الحق نقوله لا نخاف أحدا في سبيله ، ونعمل به في كل حال من أحوالنا ؟

أنا لا أنصح غيرى لانني أنا أولى الناس به ، واذا أصلحت نفسى حقا وأحسســت منـها هذا الصلاح فلا عـلى أن أنصـح غـيرى وأدعوه الى الصــــلاح والبر .

« رب انى ظلـــمت نفسى فـــان لـــم تغـفر لى وترحمنى لاكونن من الخـــاسرين » .

نعم ، انني ظلمت نفسى ظلما لا ظلم بعده ، فكيف يصح لى أن أنصح غيرى وأنا أجدر به منه ، وكيف أحذره وأنا أولى بأن يتجه اليه هذا التحذير .

ليت شعرى متى أصحو لنفسى !
ان واقع المسلمين ليس خيرا من واقعى لاننا سواء فيما شكوت منه واعترفت بـــــه .

فاذا كنا فقدنا عزتنا فلنحاسب أنفســـنا ولنعاهد الله المطلع على خائنة الاعين وما تخفى الصدور عهد صدق وايمان أن نعبده لا نشرك به

شيئا وأن نعمل الخير لمن نعرف ولمن لا نعرف ، لنكن مثل المـــاء يروى كل ظامىء لا يبالى لونه أو جنسه أو عقيدته .

اذا عملنا الخير هكذا عادت الينا العزة التى فقدناها .

نشرت بعكاظ فى شهر رمضان ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

أنا عـــدو

لكل من لا يؤمن بالله

لو أن أحدا تطاول وشتم والدى لكان في يدى الخيرة ، أرد له شتيمته أو أعفو عنـــه ٠

وإذا جـــاء من لا طاقة لى برد عدوانـــه وشتمنى لسكت امتنا خوفا أو صفحا ٠

أما اذا جاء من يشتم لى سيدى رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أكبر الاكابر قوة ونفوذا لحاربت وأنا وحيـــد أعزل حتى ألقى الله مجاهدا في سبيله ، ولا أبالى أكان في هذا الجهاد حتفى أم حياتى ؛ لان في مثل هذا الحال ترخص عندى الدنيا وما فيها ومن فيها !

وما قيمة الحياة اذا كان وصل بى الجبن الى أن أرى شـــاتم رسولى يتيه أمامى أو تتيه سمعته في بلادى ؟

اننى ـ في سبيل الله وسبيل رسوله ـ لا أبالى ٠

وما عداوتى للشيوعية الا من أجل هذا ومن غيره ، وكذلك عداوتى لكل من لا يؤمن بالله سواء أكان شيوعيـــا أم غير شيوعى ، فملة الكفر سواء وان كانوا يفترقون في الكفر اللئيم ٠

الشيوعية تنكر وجود الله كل الانكار ، ولـــم يقف بها الجحود الى هذا الحد ، بل تمادوا في الكفر اللئيم الى حـــد التحدى فوقفت اذاعـــات الشيوعية في شهر المحرم من عامنا هذا (١٣٨٠ هـ) تتحدى الله وتقول له : ها نحن أولاء ننكر وجودك ونقتل من يعبدونك ، فان كنت موجودا فاثبت وجودك بالانتقام منا !

وقد كتبت حينئذ بجريدة « الندوة » الغراء أو بجريدة « المدينـــة المنورة » الفاضلة ـ لا أذكر ـ أرد على الشيوعية الباغية ، كما رد عليـــها أئمة الدين والادب والفكر والعلم في العالم ٠

ولولا أن الايمان يدفعنى الى محاربة الشيوعية لسكت كمن سكتوا على الاقل ، لان لمثلى عندها المكان الرفيع ، فهى ترفع الادباء والمفكرين وأصحاب

الاقلام الى مرتبة الحكام ، ولكنى لا أريد دنيا أصيبها ، بل أريد رضا الله وحده .

وأحب أن أعلن أنني عدو الشيوعية ، أصادق من حاربها ، وأحارب من صادقها ، أما تبادل المنافع الذى يبيحه الاسلام فما لمثلى أن يحرمه ، لان أمر الاسلام هو الامر ، عليه نحيا وعليه نموت ان شاء الله .

وقد أدت عداوتى للشيوعية الى أن يتصل دعاتها بالمجمع اللغوى بمصر ويقول لاعضائها : انني لا أعرف الكتابة ، وكل ما لى من كتب ليس لى فيه الا التوقيع ، وصدق بعض أعضاء المجمع اللغوى فرد على هذه الفرية بعض الاعضاء منهم : الاستاذ عباس محمود العقاد .

وحرب الشيوعية لى امتدت الى غير ميدان ، ومع هذا لم أزدد الا ايمانا بالله ووثوقا بانه يحمى من ينصره ، ويؤيد حزبه ، الا أن حزب الله هم الغالبون .

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

هيئة الأمر بالمعروف

وجود هيئة الامر بالمعروف ضرورة لا بد منها ، لأن المنكر لا يزول من المجتمعات ، ولا مفر من مقاومته بالمعروف حتى نحرس مجتمعنا مما نراه في سواه من باطل يمرح في ربوعه وشر يجوس خلالها ٠

ولكن ليست رسالة هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقفا على التنبيه للصلاة ، ومنع ما تراه مخالفا باللين أو الشدة ، بل رسالتها الكبرى الدعوة الى الحق والخير والجمال ٠

والدعوة تقتضي الهيئة أن يمضي رجالها الى المقاهي والى حيث يجتمع الناس ويدعون الناس بالتي هي أحسن ، ويحتملوا منهم العنت والمكروه والظلم ، كما احتمل الرسول صلى الله عليه وسلم والائمة المصلحون ، اما أن يقصروا عملهم على التنبيه للصلاة فذلك حسن ولكنه لا يكفي ٠

قرأت منذ عشرين سنة في مجلة « الرسالة » كلمتين فيها تحت عنوان: « شيخ في مرقص » كتبهما الاستاذ علي الطنطاوي وموجزهما : ان شيخا جليلا من الدعاة الى الاسلام والبر والمعروف ، وله تلامذة وأتباع ، استطاع أن يؤثر فيهم بعمله وخلقه فجعلهم هـداة ليس بينهم فظ غليظ القلب ، واستطاع أن يهدى الضالين والفسقة والمجرمين ٠

وذات يوم قال له احد مريديه : أيها الشيخ الجليل ، انك تعظ الناس في المساجد ، ومن يقصدها يخاف الله ويرجـوه والا لمـا قصد المساجد ، فلماذا لا تعظ الناس في المراقص ودور اللهو ؟

واستعد الشيخ للوعظ في الامكنة الموبقة ، واتفق تلامذة له مع مرقص أن « يؤجرهم » المرقص نصف ساعة بين رقصتين بمبلغ كبير ٠

ومضى الشيخ وبعض طلبته الى المرقص ، فأكلتـهم العيـون ، وأبدع الراقصات في اثارة الغرائز والشهوات ، وفاحت في أبهائه رائحة الاجساد الآدمية المحترقة تحت الاضواء الساطعة ٠

وفي الساعة المحددة صعد الشيخ الى المرقص ، وأخذ يفحص الناس بعينيه النبيلتين ، وبدأوا يهزأون به ويضحكون ويصفقون ، وهو صامت ،

ثم تكلم في هدوء ، وأخذ الحضور يصمتون ويسمعون ، وتزاحم الراقصات والراقصون والممثلات والممثلون يسمعون الشيخ ٠

وضج المكان بالاستغفار والبكاء والنحيب والتوبة ، وتاب الراقصات ، وثار صاحب المرقص على الشيخ لانه كان سبب توبة الراقصات والحضور ، ولكن الشيخ نصح ووعظ ، فاذا صاحب المرقص يبكى وتاب مع التائبين والتائبات ٠

وكتب الاستاذ أحمد حسن الزيات كلمة في مجلة « الرسالة » ذكر فيها قصة « شيخ » آخر ، ضل الطريق ووجد نفسه في شارع البغاء والفسق بالقاهرة ، وما كاد المومسات يرون شيخا تحت أنظارهن حتى أخذن في الهتاف به حتى يدخل ليقضي وطره من احداهن ٠

ووقف الشيخ ينظر اليهن ، وقد تجمعن حوله ، وعوراتهن مكشوفة ، وأثداؤهن تكاد تطفر من اماكنها من القوة والصحة والمجون ، وتجمع معهن رواد الفسق والفجور ، وكلهم هازىء ساخر بالشيخ ٠

ثم تكلم الشيخ وذكر الله عز وجل ورحمته وشدته ، وأبكى النساء والرجال ، وتمكن أن ينقذهن ، وتاب كثير من الرجال والنساء ، وبعد هذه الحادثة كان هم الشيخ في هذه الحياة أن يقصد غير المساجد ، أن يقصد الامكنة القذرة حيث تروج تجارة اللحوم والاعراض ، وتنفق سوق الخمر والميسر واللهو واللعب ٠

وفي قصة للكاتب الفرنسي « بلزاك » ان أديبا هبط في دير واستقبله الرهبان وأضافوه وسألهم عن صناعتهم فأجابوه : اننا انقطعنا الى الله نعبده ، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ٠

فقال لهم : أي منكر هنا في الصحراء ٠٠ اذهبوا الى باريس حيث الفسق والفجور والكفر والالحاد ، هناك مجالكم ومنابر دعوتكم ؟

وهذا كله حق ، ونحن ـ والحمد لله ـ ليس في بلادنا فجور تبيحه الدولة ، ولا أسواق للمحرمات ، ولكن كل مجتمع مهما كان صالحا فاضلا في حاجة الى أمر بالمعروف ونهى عن منكر ٠

والذين يقومون بهذه الدعوة ، انما يؤدون أعمال الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ويجب أن يبتعدوا عن الغلظة والفظاظة لانهما تصرفان

الناس عن الخير ، ولو كان الداعي رسولا « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

وأنا أرى أن الحد من سلطات هيئة الامر ضرر ، كماأن ترك الحبل على غارب اناس منتسبين الى الهيئة وهم ليسوا في درجة من العلم خطر ، لانهم ينفرون الناس من الهيئة ، ويوغرون الصدور ، ويجبرون القلوب على التجبر والعبوس في وجه النصح والخير .

ان رسالة هيئة الامر رسالة عظيمة ، فالشر في الناس لا يفنى ، ولا بد للشر من مقاومة وجهاد ، والناس اذا وجدوا الحرية قد يضلون ويستبيحون ما لا يباح ، وقد يتناسون الفروض ، وقد يكسلون ويهملون في أدائها ، فوجود رجال الهيئة ضرورة .

وأنا أعرف مؤسسات أهلية وادارات حكومية لا تقام فيها الصلاة ، وبعضها لا يصلى فيه الا المستضعفون والفراشون ، ورجال الهيئة لا يصلون اليها اما خوفا أو كسلا .

وأداء الصلاة في وقتها فرض ، ولكن كثيرا من الناس في المؤسسات يتركون الصلاة ولا يستجيبون لداعيها .

وهذا خطر على كياننا الدينى ، وسببه التقليل من هيبة هيئة الامر .

وقد دعوت في « عكاظ » منذ ثلاث سنين الى تقوية الهيئة وتطويرها ، والحكومة قد قررت مساعدة الهيئة ومنحتها مساعدات مادية لتقوم بواجبها ، وتؤدى رسالتها .

والناس لا يكرهون الدين ، بل يحبونه ويتمسكون به ، حتى الذين يخطئون يعرفون أنهم خاطئون فيستغفرون ، ولكن اللوم على بعض رجال الهيئة ، فبينهم من لا يجيد القراءة ، وفيهم من لا يعرف رسالة الهيئة ، وفيهم الفظ الغليظ .

وهذا كله لا يتفق مع جلال رسالة هيئة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لان المفروض في رجل الهيئة أن يكون برا صالحا عالما داعيا الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولكن المسؤولين عن الهيئة معذورون ، فمن أين يأتون بدعاة يكونون نماذج في الاخلاق والعلم والدعوة ؟ أوجدوا ولم يأخذوا ؟

الا أن الوقت الحاضر مناسب ، وأرى من الواجب أن تستعين الهيئة بمائة من خريجى كلية الشريعة والمعاهد العلمية « توظفهم » في الهيئة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتأخذ كل سنة عديدا من هؤلاء الخريجين .

وأرى أن يدرب هؤلاء تدريبا خاصا ، وأن تفتح الهيئة قسما للمحاضرات تتفق مع أقطاب الفكر والقلم والصحافة على القائها ، وأن تمد يدها لهم وتتعاون معهم .

ورجال الهيئة في هذه الايام يكتفون في التنبيه الى الصلاة بالشوارع العامة والاسواق المزدحمة ، أما الضواحى فلا تعرفها أقدامهم ، أما المؤسسات الاهلية فلا يدخلونها ، ويجب أن يصلوا الى الضواحى والمؤسسات ، تنبيها للغافل وتذكيرا للناس .

ويستحسن ألا يصطحبوا معهم جنودا ، لان وجودهم معهم يغلق القلوب ويوغر الصدور .

ان مسؤولية الهيئة أمام الله ثقيلة وعظيمة ، وكذلك مسؤوليتهم أمام التاريخ ، ولو قامت الهيئة بواجبها كما جاء في القرآن والسنة لصنعوا الاعاجيب ، لهدوا الناس الى البر ، وقضوا على المنازعات الشخصية بين الناس ، وتآلفوا القلوب ، وملأوا الصدور محبة واحسانا .

ومع هذا احيى رجالا في الهيئة أعرفهم ، هم ـ والله ـ أهل للاكبار ، لانهم دعاة بررة وعلماء كرام ، يدعون الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وواجب الدولة ـ حكومة وشعبا ـ أن تساعد الهيئة في أعمال الخير والدعوة ، لان في ذلك استجابة لامر الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى » .

وفق الله العاملين الصالحين ؟

نشرت في « قريش » سنة ١٣٨٣ هـ

حيا الله ابن باز

جزى الله الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز خير الجزاء عن الاسلام وأمة الاسلام ، فقد وجه رسالة تفيض بالخير الى رئيس مجلس التعليم الاعلى وأعضاء هذا المجلس ، أبان فيها خطر المذاهب التى زحفت على العالم العربى والعالم الاسلامى واحتلت بعض بلدانهما وأخذت طلائع هذا الزحف اللاديني البغيض تلوح في أفق بلادنا المسلمة المؤمنة .

والرسالة التى كتبها هذا الشيخ الفاضل الغيور حق ، وبدأها بقوله :
« لا بد وأنكم أدركتم ما انتشر اليوم في البلاد العربية والاسلامية من دعوات ضالة ملحدة بدأت تزحف على هذه البلاد وتخدع الكثير من شبابنا وتخلب ألبابهم وتستهوى نفوسهم ، ومنها : الاشتراكية والشيوعية والقومية ، وشبابنا قد يعذر حين يستجيب لهذه الدعوات ويتأثر بها فيتنكر لدينه ويبتعد عن ربه ، ويسخط على حكومته المسلمة ، ويتطلع الى الحكم البشرى بدلا من الحكم الربانى ، وشبابنا ـ أيضا ـ قد يعذر لانه لم يسلح السلاح الكافي لمقاومة هذه الدعوات الساحرة الخ .. » .

وطلب الشيخ ابن باز ـ بارك الله فيه ونفع به ـ أن نعود الى برامج الدراسة والتعليم بالاصلاح حتى نبنى أجيالنا القادمة والناشئة على أساس اسلامى .

وأنا أشاركه وأؤيده ، وقد سبق لى نشر آراء كآرائه ، فنحن الآن معرضون لاخطار ماحقة لا يعلم مداها غير الله ، ولا يهمنى خطر زوال المال والروح ، بل يهمنا زوال الاسلام كما زال من كثير من البلدان .. وبمجرد زوال دين الله نصبح عبيدا لغير الله ، عبيدا لكفرة فجرة فسقة ..

ان أولئك الناس أرادوا من الشيوعية والاشتراكية والقومية أن يجعلوها بديلا من الاسلام بزعمهم أن الاسلام انتهى عصره وزال أمره وفقد صلاحه لهذا العصر .

وحمدت للشيخ الجليل الفاضل ابن باز اعتذاره لشبابنا ، وأنا معه عاذر لا عاذل ، فهو ـ اذا افتقد التوجيه الصحيح القائم على الحجة والبرهان ـ اتجه الى هذه المذاهب التى تزخرف الباطل يعتنقها ويدافع

عنها ، لان لديها قوة ومنطقا وبرهانا ، ونحن ـ مع الاسف ـ لا نملك الا قولا مفتقرا الى الدليل .

نقول : الاسلام صالح لكل زمان ومكان مجرد قول ، فاذا جاءنا من يقول لي : هات لي رأى الإسلام في المشاكل الاقتصادية المعقدة المعاصرة ، وما رأيه فيما استجد من التجارة والاقتصاد والشركات المختلفة لم يجد عندى ما يجد عند المذاهب الاجتماعية كلها لانني لم أقف على آراء المسلمين من العلماء في هذا السبيل .

يجب علينا أن نجند العلماء القادرين لبحث مشاكل العصر الحاضر على ضوء الاسلام لنبرهن بحق على أن الاسلام دين كل زمان ومكان .

ولعل الشيخ ابن باز يبدأ هذا العمل العظيم فيتبنى دعوتنا لانه أقدر منى على تحقيق ما فيه عز الاسلام وعز المسلمين ، ولأنه حمل راية الدعوة لحماية شبابنا مما يدبر له من خصوم الاسلام وأعداء القرآن .

ويجب أن نبدأ العمل الاسلامى المنظم في كل ميدان ، لا يشغلنا الاهتمام بميدان عن آخر ، بل يجب أن يكون الاهتمام بالميادين جميعا ، ونستعد للمجابهة والمباغتة .

نصلح برامج التعليم ، ونقوى أجهزة الاعلام ، ونجعل هذه القوى الكبيرة تحت قيادة جماعية حكيمة صالحة مؤمنة ، تحرص على الاسلام قولا وعملا ، وتلزم نوافله وفرائضه ، وتفخر بدين الله وتعتز به .

ونضع الآراء الصالحة والحلول السليمة لمشاكل العصر الحاضر وما جد فيه من آراء ونظريات لئلا نكون عونا في تأييد ما يتهم به الاسلام من تخلف عن الركب الانسانى المتطور ، وقصور عن فهم الحياة وما حدث فيها من جديد مبتكر .

اننا بانصرافنا عن بحث هذه المشاكل والقضايا ساعدنا خصوم الاسلام على تأييد اتهامهم اياه ، وفتحنا الابواب على مصاريعها ليدخل الى وطننا وقلوبنا وعقولنا مايزعزع عقيدةالتوحيد فينا، وبترك مقاومة المذاهب الجديدة الحجة بالحجة مهدنا السبيل لها حتى تعيش بيننا في أمن ، ثم تحتلنا في سهولة ويسر .

يجب أن نتنبه ونعمل بجد ، والله ولى التوفيق ؟

الشريعة لا القانون

كتب الشيخ الشاب الاستاذ حسن بن عبد الله بن حسن آل الشيخ نائب رئيس القضاة ، كلمة رائعة في جريدة « البلاد » ذكر فيها أن « الكويت » بصدد وضع تشريع ، ودعا الى اتخاذ الاسلام والحرص على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ، وحذر من اتخاذ نظام يكون مزيجا من القوانين العالمية نضعه تحت عنوان اسلامي .

وعقب الاستاذ محمد حسين زيدان في جريدة البلاد أيضا في افتتاحية أحد أعدادها الماضية معلنا اعجابه بما رأى الشيخ الشاب الصالح ، وأضاف الى ذلك ضرورة الاخذ برأيه ، ثم سأل الاستاذ زيدان قائلا :

« هل ندعو أى بلد مسلم الى ترك القانون الوضعى دون أن نمد له يد العون ونحن القادرون ـ بعون الله ـ على المعونة ، ونحن المسئولون عنها بحكم احتضاننا لدعوة السلف ومنهاج الحق ؟ » .

وقـال :

« انها المعونة في صورة ارشاد أولا وقد تم ، وفي وضع « قانون » مستمد من الشريعة المحمدية السمحة ، نضعه نحن ، يضعه علماؤنا ورثة الدعوة السلفية والقائمون عليها » .

وكلا الكاتبين الفاضلين دعا الى عمل صالح عظيم يجب الاخذ به ، فنحن اذ ندعو الكويت الى اتخاذ الاسلام شريعة فانما ندعو بلدا مسلما وحاكما مسلما هما متمسكان بها .

ولكن يجب ألا ننسى وضع الكويت السياسى ، هذا الوضع الذى يجعل لغير الاسلام يدا في بناء التشريع الجديد .

وفوق هذا وجود قوم رضعوا لبان الثقافة الاجنبية ، وغفلوا عن ثقافة الاسلام ، وهؤلاء دعاة « القانون » يأخذونه من الغرب والشرق .

ولقد علمت من بعض شباب الكويت ان التشريع الذى تحتاج اليه الكويت سيكون مستمدا من كل قوانين العالم .

ومعنى هذا أن للاسلام نصيبا كغيره من القوانين، وليس هو كل شيء .

وفي هذا اتهام للاسلام ٠

فنحن في التشريع يجب أن نراجع تشريعنا الاسلامى قبل الاقتراض من الغرب أو الشرق ، وأنا واثق أننا لو صنعنا ذلك لوجدنا في الفقه الاسلامي ما ليس في القوانين جميعا ٠

أما أن نلجأ الى القوانين ـ دون الفقه الاسلامى ـ فذلك اتهام منا للاسلام بالعجز ، وتحقيق لاقوال الشيوعيين والملحدين الذين يزعمون ان الاسلام قد انتهى ، وليس لتشريعاته مكان في العصر الحديث ٠

ونحن بلجوئنا الى القوانين نمكن لاتهام الاسلام ، ونعطيهم الدليل على صحة الاتهام ٠

وهاهي ذي فرصة لان نثبت أن الفقه الاسلامي لا يعجز عن استيعاب العصر الحديث ٠

وما اظن بلدا في الارض يقوم بهذه المهمة ، لان بلدان العالم العربى أخذت بالقوانين وأحلت الحرام وحرمت الحلال ، ومن ذلك اباحة الخمر والزنا والميسر وتعطيل الحدود ، واعتبار بعض أحكام الإسلام أحكاما وحشية ٠

وما تصلح بلدان هذا منهجها أن تعمل لوضع تشريع اسلامي ملزم ٠

لم تبق الا البلاد السعودية المقدسة ٠

نعم ، ليس في الارض بلد يمشي على نهج السنة ويقيم الحدود ، ويحكم بالقرآن غيرها ٠

اذن ، هذه البلاد هى الوحيدة المسئولة ٠

فاذا اقترح الاستاذ زيدان أن تنهض بلادنا بالعبء وتجعل الفقه عوض القانون ، فما اقترح غير الحق ، ويجب أن نأخذ به ٠

ولعل اقتراحه بتكوين هيئة ذات لجان ثلاث اقتراح واجب الاخذ به في ظرفنا الحاضر ٠

فالكويت بصدد نظام ، وسيكون هذا النظام مزيجا من قوانين العالم ، اذا لم ندرك الكويت بنظام اسلامى محض ٠

وأعتقد أننا اذا وضعنا هذا النظام فانه سيكون أمام العالم الاسلامى ، وانه سيأخذ به لانه سيجد بين يديه نظاما حيا صالحا لهذا العصر وما بعده من عصور ٠

بل ان العالم كله سيرجع الى نظامنا وسيأخذ منه كثيرا من مواد القوانين التي يتبعها ، بل سيستبدل بقوانينه كثيرا من الفقه الاسلامى ٠

وحسبنا هذا لنثبت أن الاسلام لم ينته عهده ، بل هو صالح لكل زمان ومكان حقا كل الصلاح ٠

وما أظن أن كتابة الفقه الاسلامي على شكل مواد يضير الشريعة أو يناقض الاسلام ، فالحرام كله قد بينه ، وليس في كتابة الفقه على شكل مواد ، والقياس الذي هو ركن من أركان التشريع لا يمنع بل يبيح ٠

فكلام الله كتبه الصحابة بخط يغاير كل الخطوط التي نستعملها ، ونحن نقرؤه بخط لم يعرفه الصحابة ، ولم يقل أحد أن ذلك حرام ٠

وكذلك الامر في الفقه ٠

وتستطيع الكويت أن تشارك حكومتنا في النفقات ، وان الانفاق السخى على هذا المشروع سيكون خير باب للانفاق ٠

وأحب أن أذكر للقراء أن كثيرا من علماء الامصار رأوا ما نرى ، ودعوا الى ضرورة كتابة « الفقه الاسلامى » على شكل مواد ، وقد كتب بعض العلماء بعض أبواب الفقه على هذا الشكل ٠

هذه فرصة لان نثبت أن الشريعة خير من القانون ، وهي فرصة لانقاذ الكويت من أن تسودها قوانين وضعية تباعد بينها وبين تنفيذ شريعة السماء ، وهي فرصة لان نخدم الفقه الاسلامى خدمة تجعله بين يدى العالم يأخذ منه ما يراه صالحا له ، ويتقيد به المسلمون انى كانوا ٠

تعليق

نشرت هذه الكلمة في جريدة عكاظ التى كنت أملكها وأرأس تحريرها في العدد الصادر في ٩ جمادى الاولى ١٣٨٠ ، ثم لم يكن شيء مما رجونا ، وأصبح للكويت قانون وضعه واضعوه نقلا عن القانون الفرنسى ٠

وقد رجع بعض العلماء الى قانون الكويت فاذا هو ترجمة أمينة للقانون الفرنسى ٠

وأخبرني صديق لى يشغل منصب وزير العدل في بلد عربى بذلك ٠

(غرة محرم الحرام ١٣٨٤ هـ)

علمـــاؤنـــا

ومشـــاكل العصر

الذين يقرأون الفقه الاسلامي كثير ، وبيننا نفر علماء فيه ، أو هكذا يعرفهم الناس ، ولكنهم منفصلون عن العصر الحاضر ومشاكله ونظرياتـه وقضاياه وما جد فيه من آراء وفلسفات .

والاسلام دين كل زمان وكل مكان ، لانه دين متطور ، ويصلح لكل بيئة ومجتمع ، وقد رأينا مصداق ذلك بوضوح ، فقد صلح الاسلام للبدو والحضر في جزيرة العرب ، وصلح للأمم التى كانت أرقى أمم الارض طرا ، وما نبا به مكان في اى بلد أو مجتمع قصده ، بل كان الاسلام عامل خير ونهوض ونجاح وعزة وبناء وعمران في كل مكان انتهى اليه .

وما دام كذلك فهو صالح لهذا العصر كل الصلاح ، ولكن لا يطلب من الغربيين وغيرهم من غير المسلمين أن يبحثوا عن الاسلام ويدرسوه ، بل يجب على علماء المسلمين أن يقدموا لاولئـك الناس الاسـلام عـلى حقيقته معروضا عرضا صحيحا جميلا ، ولكن علماء المسلمين في واد والعصر الحاضر في واد ، ومن هنا كان سبب الانفصال بين الاسلام والناس .

ما رأى علمائنا في البنوك ؟

الفائدة حرام قطعا لانه ربا ، ولكن ما رأيهم في قيمة خدمات البنوك ؟ أحرام أم حلال ؟ وهل يفرض على البنك تقديم خدمات بدون أجر ؟ ما رأى علماء بلدنا ومملكتنا ؟

ومـا رأى علمـائنا في شركـــات التـــأمين ومـــا تدفعـه للافراد والمؤسسات والحكومات ؟

ما رأيهم في نظام الشركات ؟ ما رأيهم في كـل النظم والقوانين التى تضمن الحق ؟ ولماذا يعملون لنا نظاما للشركات على هدى الاسلام ..

وهل يجب علينا أن نتقيد في الفروع بكل حرف فيها ؟ ولذا لم نجد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا في كلام الصحابة نصا فيما جد من المصالح ، أنتركه أم نجتهد فيه برأينا كما اجتهد السابقون ؟!

وما رأى العلماء في الضرائب ؟ أهي حرام كلها ؟

وما رأى العلـماء في المبـايعة دون مشـاهدة البضـاعة وتسليم البائع المشترى ؟

ان تاجرا يشترى ألف طن من السكر ، ويبيعها آخر قبل أن يحمل من المصنع دون أن يراه ..

ما رأى العلماء في هذا ؟

هذا بعض سبل معاملات العصر الحاضر ، ولى في كـل ذلك رأى ، ولكنى لست من أولئك العلماء ، فما رأيهم في هذه المشاكل ؟

وما رأيهم في أجرة الفحل ؟
عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : نهى رسول الله صلى الله عليـه وسلم عن عسب الفحل ، أى أخذ قيمة طروق فحل للانثى ..

وهـذا الحديث يمنع أخذ الاجرة صراحة ، ولكن لو أن بقارا اشترى فحلا بألف جنيه وأحضره الى بلادنا لتحسين سلالة البقر ، وطلب أجرا عـلى خدمات فحله ، أنعطيه أم نمنعه بنص الحديث ؟

اذا امتنعنا عن دفع أجر فحله امتنع ـ هو ـ عن اعارته ، وبذلك لا نحصل على سلالة طيبة ، وهو غير مجبر عـلى شراء فحـل بثمن كبير وجعله وقفـا .

ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقف العمل ـ كما فهمت ـ بنص من القرآن وهو قوله تعالى : « الطلاق مرتان » أى مرة بعد أخرى ، واستبدل به رأيا رآه وجعله ملزما للامة حيث جعل الطلاق ثلاثا في كلمة واحدة طلاقا بائنا كأنه طلق ثلاث مرات مرة بعد مرة بعد أخرى .

وكان العمل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر وثلاث سنوات من عهد عمر ان الطلاق ثلاثا دفعة واحدة يعتبر طلقة واحدة.

ان لتغير الزمان والاحوال دخلا في التشريع .

ومسألة المؤلفة قلوبهم التى قال الله فيها : « وانما الصدقـات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقـاب والغارمين

وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » ، نجد سيدنا عمر بن الخطاب حذف « المؤلفة قلوبهم » بحجة قوة الاسلام .

ومسألة أرض العراق التي غنمها المسلمون ومنعها عمر عن الفاتحين حتى اختلف الصحابة ، وانتهى الامر بأن تكون ملكا للدولة ، ولم يعط عمر الفاتحين حقهم .

وهذا يدل على أن للمصالح العامة وتغير الزمان دخلا في التشريع ، ولكني اريد رأى علمائنا في هذه المشاكل رأيا يتفق مع المصالح العامة وتغير الزمان واقتضاء الحال الذى لا يخرج عن الاسلام أو يجرح العقيدة .

وأذكر هنا كلمة رائعة تصلح لإيامنا هذه للامام ابن القيم الجوزية رحمه الله ، قال :

« جعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد ، محتاجة الى غيرها ، وسدوا على أنفسهم طرقا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له وعطلوها مع علمهم وعلم غيرهم قطعا انها حق مطابق للواقع ، ظنا منهم منافاتها لقواعد الشرع ولعمر الله أنها لم تناف ما جاء به الرسول ، وان نفت ما فهموه هم من شريعته باجتهادهم ، والذى أوجب لهم ذلك نوع تقصير في معرفة الشريعة ، وتقصير في معرفة الواقع وتنزيل أحدهما على الآخر ، فلما رأى ولاة الامور ذلك وأن الناس لا يستقيم لهم أمر الا بأمر وراء ما فهمه هؤلاء من الشريعة أحدثوا من أوضاع سياستهم شرا طويلا وفسادا عريضا ، فتفاقم الامر وتعذر استدراكه وعز على العالمين بحقائق الشرع تخليص النفوس من ذلك واستنقاذها من تلك المهالك » .

ونرى اليوم انصراف الحكومات التي يرأسها مسلمون ، والدول الاسلامية عن الشريعة الاسلامية انصرافا تاما ، ونحن ـ أيضا ـ أخذنا نستعير نظما وقوانين بدون بصر ، و لا لوم على المنصرفين ، بل اللوم على العلماء ـ وبخاصة في بلادنا التي تتولى قيادة العالم الإسلامي ـ اللوم على العلماء لانهم لم يبحثوا النظم الاسلامية ولم يدرسوا ما في الاسلام من آراء وتطبيقات ونظم تتصل بالسياسة والاقتصاد والتجارة والمالية ، وما جد في الحياة من معاملات اقتضت نظما جديدة .

هل الاسلام أو الفقه الاسلامي محصور في العبادات والحدود والعلاقات الزوجية ؟

ان الاسلام أوسع من ذلك بكثير ، انه يبني أفضل المجتمعات ، ويقدم خير الانظمة والقوانين ، ولو كنت في سعة من الكسب لتفرغت وأظهرت بعض ما نحن في حاجة اليه وبعض الحلول للمشاكل الجديدة التي تواجه حكام المسلمين وبلدانهم وشعوبهم ٠

ماذا قدموا للمسلمين ؟
وماذا قدموا للعالم من نظريات الاسلام ؟
أقول بحق : لا شيء غير وعظ يسير ، وفتاوى هي احياء لفتاوى قديمة ٠ أما الصدع بالامر في كل مكان على هذه الارض ، فقد تركناه ليقوم به غيرنا ، فكل علماء المذاهب والاديان يمشون مع الزمن الا نحن ، مع أن الاسلام ـ كما نقول ـ دين كل زمان وكل مكان ٠

فاما أن نكون صادقين فنقدم الدليل للعالم حتى يحترم الاسلام ويأخذ بنظرياته التي تصلح للعصر الحاضر ولمستقبل العصور القادمة أو لا ندعى دعاوى نعجز عن اثباتها ٠

ان بعض المسلمين في أوروبا عقدوا مناظرات مع معتنقي الاديان والمذاهب الاخرى ، وعرضوا الاسلام ونظرياته فأعجبوا بها ايما اعجاب ، ذهلوا أن يكون الاسلام صالحا لهذا العصر ٠

وعبد الحميد بدوى ـ العضو المسلم بمحكمة لاهاى الدولية ـ من أعظم من وقفوا على الفقه الاسلامي وتشريعات الاسلام ، ووقفوا على قوانين هذا العصر ، فكان يبدى آراءه وأحكامه وفق شريعة الاسلام ويصرح لزملائه القضاة بذلك ، فكانوا يدهشون لعظمة الاسلام وقوته المتجددة وصلاحه لكل العصور ٠

فأين علماؤنا من هذه البحوث والدراسات ؟
أين علماء هذه البلاد المقدسة ؟

نريد منهم أن يتصدوا للمشاكل التي تشغل بال المسلمين وتزلزل عقيدة كثير منهم في دينهم لانهم لم يجدوا أمامهم من يظهر الاسلام على حقيقته ، ويتعرض لهذه المشاكل برأى الاسلام ٠

وقد سألني كثير من المسلمين والمتعلمين في رحلاتي عن أمور جديدة بالنسبة لهم ، فأجبتهم بقدر علمي ومن هذه الاسئلة ما أنشره هنا ليطلع القارىء على نماذج من تلك الاسئلة التي ينتظر أصحابها رأي علماء هذه البلاد مستنبطة من الاسلام :

١ - لماذا كانت الشيوعية مذهبا خطرا على القيم الانسانية وعلى الاقتصاد الحر ، والاقتصاد الفردي ؟

٢ - ما رأي الاسلام في أرباح ودائع البنوك ، وفي الارباح المحددة سنويا لاسهم بعض الشركات المساهمة ، وفي الارباح التي يحصل عليها السماسرة من بيع سندات الشركات وشرائها لحساب زبائن وعملاء ؟

٣ - ما رأيهم في هذا الورق الذي نتعامل به ؟ أكان معروفا في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ وماذا يكون أمر الناس عندما يلغى لضرورة من الضرورات ، كما ألغت مصر أوراق نقدها الكبير (مائة جنيه وخمسين جنيها ؟) وهل يجوز التعامل به ؟

٤ - ما رأيهم في الائتمان ؟

٥ - ما رأيهم في امتلاك المرافق العامة ؟

٦ - ما رأيهم في أخذ قيمة اعارة الفحل ؟

ان الناس يريدون أدلة عقلية ومنطقية على ضوء الاسلام ، فاذا قلنا - مثلا - ان الشيوعية خطر من الناحية الاقتصادية ، وجب أن نقيم الدليل ، لا ارسال تهمة بدون اثبات .

وعلماؤنا - جميعا - لم يدرسوا علم النفس والطبيعة والفلسفة وغيرها من العلوم حتى يكونوا على صلة بالعصر الحاضر ، بل لم يمروا به أو يلموا بطرف منه حتى تكون البحوث الدينية - وحتى تفسير القرآن - ونظريات الاسلام قادرة على الابلاغ الحق والافهام المنطقي .

ان علماء الاسلام المجتهدين كأئمة المذاهب وابن تيمية وابن القيم كانوا على علم واسع ومعرفة لا حد لها بالفلسفات ومختلف العلوم .

ان العصر الحاضر يختلف في نشاطه التجاري وأسلوب حياته وعلومه وفنونه وطرق سيره عن كل ما سبقه من عصور ، ونحن حملنا آلاف المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وزعماءهم - الا النادر - على أن الاسلام انتهى عصره . فتركوه لانهم لم يجدوا من علماء العصر المسلمين - الا أفرادا معدودين - من يعرض عليهم الاسلام على حقيقته ويريهم بالدليل أنه دين صالح لهذا الزمان ولغيره من الازمنة القادمة .

حتى التفسير الذي يقومون به تفسير نقــل لا جهد لهم فيه ، لانهم يتضيفون كتب التفسير دون أن يطبقوا نظريات علم النفس والاخـلاق الحديثة على ما جاء في القرآن الكريم •

ان الأســلام فرض التيمم بديلاً عن الوضوء للضرورات ، والوضوء ـ كما هو معلوم ـ للنظافة ، فلماذا استعمال التراب ؟

أجـابنا عليـه أطبـاء مسـلمون درسـوا العـلوم الحديثة بأن التراب « يعــقم » •

نريد من علمائنا أن يخرجوا للاسواق ، للعالم ، يدعون الى الخـير بأسلوب العصر الحاضر ووسائله المختلفة ، وينزلوا الى الميدان مجاهدين ، ويقفوا أمـام القوى الضخمة من المنطق والحجة ، تلك القوى التي يقدمها علماء المذاهب الهدامة والباطلة والصالحة بين أيديهم تبشـيرا بما يرون ، ونشرا لما يذهبون اليه •

قلت لعـالم ـ من بلدنـا ـ لمـاذا لا تدخـلون هـذا الصراع الرهيـب ؟

فأجـابني : نحن مسـتعدون لان نجيـب عـلى كـل سؤال ، فليسـألنا الناس •

قلت له : يا شيخ ، ان الاسـلام لا يقبـع في مكانـه ويقول للناس : تعالوا واعتنقوني ، انه مشى الى الناس جميعا وعرض نفسه عليهم ، فلقي من العنت والاذى وهـو صابر يعمـل حتى انتصر ، سيروا الى الناس ، امشوا الى المعركة •

ولكن الشيخ الفاضل يرى أنه أدى الواجب لانه يتحدث في الاذاعة ، ولانه يدرس في الحرم •

وقلت له : ان وزارة التجارة عندما أرادت سن نظام للشركات ، وسن أنظمة أخرى ، لم تجد من يتقدم من العلماء ويقول لها : يا وزارة ، نحن هنا ، ماذا تريدين ؟ أنظاما للشركات ـ مثلا ـ ؟ نحن نضع لـك النظام على هدى الاسـلام ، لـم تجـد الا نظمـا غربية فأخـذت بكثير منهـا • وأنـا أعذرهـا •

وقال الشيخ : كان فرضا على وزير التجارة أن يرسل الينـا طلبه ونحن نلبيـه •

وانزوت سؤال الشيخ : أمو يعرف عنه جد على وجه هذه الارض من المعاملات التجارية وأعمال الشركات : ولكنى لم ارد احراجه فتركته لينعم بما هو فيه من سعة المادة لا العلم ، ودعوت الله له ولعلمائنا جميعا ان يتجهوا الى عصرهم الذى يعيشون فيه ويضعوا له النظم والقوانين التى يرضى عنها الاسلام : دين الله الذى يصلح لكل زمان ومكان ٠

نشرت بمجلة « قريش » سنة ١٣٨١ هـ (١٩٦٢ م)

* * *

علماؤنا وعلماؤهم

أى عناية قمنا بها من أجل القرآن الكريم وخدمته ؟

لا شيء !

هذا هو الحق . أمـــا تقرير درس القرآن في المدارس وحفظ بعض أجزاء يسيرة منه ، لا يعد خدمة للقرآن وعنـــاية بـه ، لان خدمة القرآن تفرض علينـــاأن نفسره تفســيرا علميـــا يتمشى مـــع روح العصر وأسلوبـــه ، ولـم نطبـع الكتـب التي تخدمـــه حقـا ، ولـم نبحث أحكامه وقواعـده وما فيـــه من حـكم وفلســفات وأصـول وننشرهـا في العـــالم .

غيرنا يخدم القرآن ، أما نحن الالى نزل في بلادنا فمنصرفون عنـه ، لا نهتم به ، وأكاد أقول لا نعرفه معرفة فقه واستيعاب ، أو على الاقـــل أنـا لا أعرفـه هذه المعرفـة ، مع أن عندى أعظم مكتبة للقرآن في الجزيرة العربيـــة كلهـــا .

غيرنا يعرف القرآن ويخدمه .. أما نحن فلا .

في « بافاريا » بألمانيا قـام المجمع العلمى بها منذ ثلاثين سنة يجمع الكتب والنوادر المخطوطة باللغة العربية والمؤلفات الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه والقراءات وتاريخ القرآن ، وقد اقتنى من ذلـك مجموعات كبيرة بعضها امتلك أصوله الخطية ، وبعضها استنسخ منه لوحات فوتوغرافية كاملة ، وأسس بهذه المجموعات كلها متحفا خاصا كبير القيمة ، وشرع بعد ذلك يطبع على نفقته بعض الكتب ذوات القيمة .

المجمع العلمى في بافاريا يعنى بالقرآن الكريم هـــذه العناية الكبيرة المتجددة ، ونحن نغط في نومنا لاهين عابثين .

انهم عرفوا أسرارا من القرآن لم نفهمها نحن أهله حتى صار غريبا عنا ، وعلماؤنا اكتفوا بقراءته وقراءة تفســـير أو تفسيرين منه ، وكلهم لا يضيفون جديدا الى التراث القديم ، بل لم يطلعوا الا على واحد في كل عشرة آلاف منه ، ومع هذا نزعم أننا حملته !

لا ، ليست حماية القرآن بمثل أعمالنا ، واذا ادعى علماؤنا غـير ذلك ، فاود ان اعرفه .

لقيني في « لوزان » راهب على علم ببعض القرآن ، وسمعت منه كلاما ما سمعته من علمائنا لانه جديد في تفسـير القرآن ، ولامني الراهب لوم المحب الغيور ، قال : قرآنكم كنز لا يفنى ، ولكن وضعتم أنتم حوله الجنادل والصخور ومنعتم من ارتياد مناهله ، أنتم يا أهل المملكة العربية السعودية مسئولون عن القرآن لانه نزل ببلادكم ، وعندكم القبلة التي يحترم بهـا خمسمائة مليون مسلم ، يزداد عددهم على مر الايام ! ماذا صنعتم للقرآن ؟ نحن صنفنا له ما لم تصنعوه ، طبعناه قبلكم ، وعملنا فهرسا لالفاظه دونكم ، فلوجل الالماني هو أول من فهرس الفاظ القرآن قبل أي مسلم .

وقال الراهب : أين علمـاء المملـكة العربيـة السـعودية في هذا الصراع الرهيب ؟

وقال : قل لي : اذا لم نسلم ، فهل ندخل النـار ؟ اذا لم نشهد أن محمدا رسول الله وأن الاسلام دين حق ناسخ لما قبله من الاديان ، فمـا جزاؤنا ؟ جهنم وبئس المصير ؟ هذا ما تدعونه ، ولكن ما جريمتي في جهل الاسلام اذا لـم أجـد علماء يبينونـه لي ولامثـالي ، أأفهم أنا اللغـة العربية ؟ أأعرف الاسلام ؟

قال الراهب : ان الاسـلام دين تبليغ ودعوة ، كان محمد رسول الاسلام يمشي بدينه ، يبشر بـه ، وينشره ، ويقيم البراهين على صحة رسالته وسمو دينه ، فهل مشى علماؤكم الينا مبشرين وناشرين ؟

قال الراهب : كيف تطلب الى سويسري لا يعرف من اللغات الا اللغة الالمانية أن يقرأ القرآن ويفهمه ، وأن يعرف الاسلام ، وأن يدرك كـلام محمد .. قوموا بافهامه بلغته وعرفوه دينكم ، ما يكون حالك وأنت لا تفهم الالمانية اذا قرأت لك قصيدة للشاعر الالماني شلر ؟! هل تتأثر وتنفعـل وتحس بما فيها من معان وأحاسيس ؟ أتعاقب على هذا ؟ أتحاسب اذا لـم تفهم الالمانية ، ولم تفهم شعر شلر ؟!

قال الراهب : اقرأ على لي الماني شعر شلر ، او على أي انسان يعرف الالمانية وانظر انفعالاته وتأثره ، فالالماني اذا كان يجهل العربية ويجهل

ان في الكون دينا حقا اسمه الاسلام ، فهل يلام ويعاقب بالنار ؟ هل جاء علماؤكم الى هذه الديار وبشروا بالاسلام ؟ عندما يبشرون به ولا يقبل الناس عليه بعد علمهم به تحق عليهم اللعنة والعقوبة !

وقال الراهب : أنا لا أعرف اسم عالم من علماء المملكة العربية السعودية ! ولكنى أعرف علماء كثيرين من كل بقعة في العالم حتى مجاهل أفريقيا ، وانظر الفرق بيننا وبين علمائكم ، أنا أمدح الاسلام حقا وصدقا وأومن بأنه دين عظيم بلغ في السمو أعلى الذرى ، ولا أخشى على نفسى من نقمة النصارى وآبائهم وكبارهم ، ولكن قل لى ما يكون مصيرك لو قلت أنت عنى وعن دينى بعض المديح ؟ ما يكون مصيرك من رجال الدين في بلادك ؟

ودار بينى وبين الرجل حديث طويل كان هو يتكلم الالمانية وبينى وبينه أخ مصرى يقوم بالترجمة ، وتحدثنا في الاسلام فقال لى الرجل :

ـ أنت عالم حق في الاسلام ٠

قلت له : اسكت يا شيخ ، لا يسمعك علماؤنا ، فانه غير معترف بى كانسان فضلا عن عالم عند بعض العلماء ، ان عالما سعوديا لا يعترف لى بالعلم بل يتهمنى بأننى « صحفى » ، أما هو فهو « أهل الذكر » الذى جاء في القرآن : « واسألوا أهل الذكر » ٠

و« أهل الذكر » هذا همه جمع المال ، ويزعم أنه ينام في بيته ، وواجب العالم أن يسعوا اليه سائلين ناهلين عابين من علمه الغزير ٠

فقال : ان من يقول هذا ليس الا طبلا !٠٠

فقلت : هو يرى نفسه عالما علامة في دين الله ، واحتكر العلم لنفسه ولامثاله ، أما نحن فلا شيء !

وسألنى الرجل عن رأى الاسلام في بعض مشاكل العصر ٠ فأجبته بما أعرف وبقدر علمى بالاسلام ٠ فذهل الرجل وأعجب واستفتانى فأفتيته ٠ فقال لى :

ـ أنا واثق ان الاسلام دين صحيح وجميل ، يبنى أفضل المجتمعات ، ولكنه في يد من لا يحسنونه ٠٠ انه ثروة عند وارث لا يدرى حقيقتها ، والمسئولية على أهل البلاد المقدسة ، قوموا بالتبشير والتبليغ والاعلام في كل مكان على ظهر الارض ، ليتطوع علماؤكم وليصدعوا بما أمر ربكم ٠

وعلمت من الرجل أن أباه كان صديقا للشيخ العلامة عبيد الله الدهلوى عندما كان في سويسرا ، وصديقا للامير شكيب ارسلان ، واعجب بهما كثيرا ، ومن ذلك كانت صداقته للاسلام ٠

فما رأى علمائنا الكرام ؟

ايرضون ان يقوموا بالتبليغ في مجاهل افريقيا يدعون الى دين الله ؟ ايقبلون ان يعيشوا عيش محمد عليه صلوات الله وسلامه ، وعيش الخلفاء الراشدين ؟!

راودت الجبال محمدا أن تكون له ذهبا فأبى !!
وقال علي كرم الله وجهه : يا دنيا غرى غيرى !

وعاش أبو بكر خليفة ، وعمر خليفة ، وكلاهما كان يأكل كأفقر المسلمين ، فهل يقبل علماؤنا أن يعيشوا كما عاش أولئك ؟!

كان ابن عوف أحد المبشرين بالجنة « مليونيرا » ، ولكنه لم يكن أسوة لغناه ، بل كان فقراء الصحابة هم الاسوة ، وحسبنا الرسول الاعظم ، فقد عاش فقيرا ومات فقيرا ، ولكن أرى العلماء يتبارون في الدنيا ، فكيف نسمع لهم ونطيع ؟

ثم تطرق بنا الحديث الى المجمع العلمي في بافاريا والى مجامع العلوم الاخرى التى تخدم القرآن رغبة في البحث العلمي ، اما نحن فنائمون لاهون ٠

يذهب المبشرون الى المجاهل والمفاوز وفي الجبال والصحارى وينشرون المسيحية في اخلاص واصرار ، ونحن نلهو ، والعدو يزحف ، والاسلام هدف العدو ، فلينهض علماؤنا وليكونوا ورثة النبى حقا ٠٠

تحدثت الى بعض المثقفين في سويسرا ، تحدثنا في الشيوعية واخطارها، وفي الرأسماليةوالحضارة الغربيةوقسوتهما وفتنتهما وطغولهما، وفي الاسلام وحقيقته ، وجوهره ، وقلت : دعوا المجلدات والاسفار ، فان الاسلام هو :

١ ـ ايمان بوحدانية الله ٠
٢ ـ ايمان بالاخوة الانسانية عامة ٠

٣ ـ عمل الخير وزرعه في كل بقعه .
٤ ـ الحكومات والمحكومون أخوة .
٥ ـ الظـــــلم كفر .
٦ ـ ضمان الخبز والحرية للفرد .
٧ ـ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

بل قلت لهم : جوهر الاسلام هو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله ..

نشرت بمجلة « قريش » سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٣ م)

* * *

قضاة وقضاة

أخطر منصب في الاسلام بعد الخلافة والخليفة منصب القاضي ، بل كان من أكبر أعمال الخليفة القضاء ، وهذا من « المعطيات » المفهومة ، ومنها أن نقول : ان من أسباب زوال الملك وضعف المجتمع وانتشار المذاهب الباطلة ، والعداء بين الناس ، وكراهية الحكومة ، وزلزلة قواعد المجتمع : ضعف القضاء وجور القاضي .

واذا كان العدل أساس الملك ، فالظلم خرابه ، وقد يعمر المجتمع على يد العادل - وان كان فرا - ويهدم على أيدى الجائرين - وان كانوا مسلمين - كما ورد في حديث شريف .

وأعدل قضاء عرفته البشرية كلها قضاء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، والقواعد التى وضعها للقضاء والشروط التى شرطها للقاضى تدل على تحرى الاسلام للحق ورغبته في العدل .

وكان صلى الله عليه وسلم هو قاضي المسلمين في حياته ، بل قضى القضاء العادل الذى حقن الدماء وقضى على الفتنة في الجاهلية ، وذلك قضاؤه عندما اختلف العرب في وضع الحجر الاسود مكانه من الكعبة ، ورضى به العرب ، ولما اتسعت رقعة الاسلام جعل الولاة قضاة وبعث أناسا للقضاء وحده .

ويحفل تاريخ المسلمين بأروع النماذج للقضاة الذين يتمسكون بالحق لا يحيدون عنه قيد شعرة ، كما أن هذا التاريخ حفل بالقضاة الظلمة والمرتشين .

وكان القضاء بعيدا عن السياسة ، يقضى القاضي لا يبالى السياسة والحكم ، بل يريد وجه الله من قضائه النزيه العادل ، حتى اذا دخلت السياسة فسد كثير من القضاة ، وتنزه كثير ممن تولى منصب القضاء لئلا يكون حكمه خاضعا للسياسة واتجاهاتها المنحرفة .

أبى الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان أن يتولى القضاء لان القضاء أصبح خاضعا للسياسة وتوجيهاتها ، بل منع الفتيا لتمسكه بالحق .

وبدأ الضعف في القضاء منذ صار شتم الامام على كرم الله وجهه على المنابر ، ثم أخذ الفساد يزداد عندما أخذت الفرق والمذاهب تضع الاحاديث تأييدا لنفسها أو تجريحا لخصومها ، ومع هذا كان في العهد الاموي قضاء نزيه بعيد عن الخضوع للسلطة الزمنية حتى جـــاء العهد العباسي فظهر الفساد في الحكم والقضاء .

والتاريخ يذكر لنا نكث الخليـــفة عهوده التي يقطعها باسم الله ، فنكث المنصور عهده وغدر بابن هبيرة وبعمه عبد الله بن علي وأبي مسلم الخراساني ، اذ سوغ لنفسه الغدر كما سوغه له فقهاء وقضاة ظلمة .

والرشيد نفسه غدر بيحيى بن عبد الله أخي محمد النفس الزكية ، ووجد من الفقهاء من أفتى ببطلان أمانه الذي أعطاه اياه ليسوغ له غدره ، ولكن الله لا يعدم أولياءه وانصاره ، فافتى فقهاء ضد رغبة الرشيد .

بل انتهى القضاء الى شر مستطير ، فكان الذين يرشحون أنفسهم له يتعهدون للحاكم أن يعطوه أموالا يتفقون عليها تلقاء اختياره لهم ، وأشار السيوطي في كتابه « تاريخ الخلفاء » في حوادث سنة ٣٥٠ هـ عن تولية أبي العباس عبد الله ابن أبي الشوارب منصب القضاء فقال : « وشرط عـــلى نفسه أن يحمل في كل سنة الى خزانة معز الدولة مائتي ألف درهم » . وكان التزام أبي الشوارب عن قضاء بغداد لمعز الدولة ابن بويه .

وبجانب القاضي « أبي الشوارب » نجد قضاة بلغوا في الورع والزهد والتقوى والتمسك بالحق والعدل ما يثلج قلوب الناس ، فقد طلب الخليفة المطيع الى أبي الحسن محمد بن شيبان الهاشمي تولي القضاء فشرط عليه ـ كما يذكر السيوطي ـ الا يرتزق على القضاء والا يخلع عليه ، وسيرد كل خلعة يعطاها ، ولا يقبل شفاعة أو تدخلا الخ . .

وكان يحيى بن ميمون الحضرمي متوليا لعبد الله بن مروان قضاء مصر ، فعلم أنه ظلم يتيما بلغ سن الرشد فطرده شر طردة ونكبه وعزله .

ومن قصص القضاة البررة والفجرة والمعتـــدلين ما يمـــلأ مجـــلدات ، ويحفل الشعر العربي ـ حتى المعـــاصر منه ـ بقصـــائد في هجـــاء بعض القضاة والمحـــاكم .

ومن هذه القصص اللطيفة أن رجلا شـــكا الى قاض غاب عني اسمه رجلا على دين ماطله في ســـداده ، فأحضره فأنكر ، وطلب البينة من المدعي

فعجز ، فعرض على الآخر اليمين فحلفها ، وخلى سبيلهما ، ولكن الحالف حصحص في انف القاضي باعترافه وقال : ان دعوى الرجل حق ، واني مسنا تسمت الا وانا ادفع بالمثم الله ضيقا لولاه لوقعت فيه واوفيته ، فامهلني فما كان من القاضي الا ان سدد من جيبه الدين .

ومن القضاة البررة ذوى النزاهة والزهـــد أبو خزيمة المتوفي سنة ١٥٤ هـ الذى كان يأبى أن يأخذ عطاءه عن اليوم الذى يغيب فيه عن مجلس القضاء ، وما كان يتغيب الا لضرورة كمرض أو لغسل ثوبه وتجفيفه ، كان لا يأخذ عطاءه الا عن اليوم الذى يحضر فيه مجلس القضاء ، فاذا لم يحضر لعذر او لعطلة رسمية ابى ان ياخذ اجرا عن عمل لم يؤده !

وبعض القضاة ـ وان كان نزيها عفيفا ـ يقع فيما لا يجب من كتاب الضبط ، كما وقع القاضي المفضل بن فضالة من أبناء القرن الثاني للهجرة ، فقد كان كاتبه يرتشي مما دعاه الى فصله وعقابه ، وكان هو صالحا مصلحا .

وقد فسد القضاة في مصر في بعض الاوقات فسادا شنيعا ، فقد ذكروا ان القاضي عبد الرحمن بن عبد الله العمري ، أصاب من الرشـــوة مـائة ألف دينـــار .

ولم تكن ضآلة الراتب سببه اخذ الرشوة ، بل ضعف الذمة هو السبب ، ففي عهد احمد بن طولون كان راتب القاضي الف دينار شهريا ، وفي أيام الفاطميين ١٢٠٠ دينار كل شهر ، ومع ضخامة هذا الراتب كان بين القضاة من يمد يده لقبض الرشوة !

واتبع بعض الحكام المسلمين طريقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في محاسبة الولاة ، عندما كان يحصي اموالهم قبل العمل وبعده ، ويستصفي أموال من يرى استصفاءها منه ، ويقـــاسم من يرى مقاســمته ، فكان يحاسب القاضي الذى يشك فيه فاذا رأى له مالا حسب رواتبه ونفقـــاته فلذا فاض ما يحقق التهمة استصفى ماله وعاقبه ، وكان هذا في بعض بلدان مـــا وراء النـــهر .

وان أشد ما يزلزل قواعد المجتمع ظلم القضاة عن عمد وهوى ، ولو رجع امرؤ الى كتب التاريخ لاستطاع أن يؤلف كتـابا ضخما عن القضاة الظلمة ومثله عن القضاة الصالحين ؟

(رجعنا في كتابة هذه الكلمة الى بعض المصادر التاريخية) .



الأمن

قاعدة المجتمع الأولى

لا يقوم اى مجتمع انسانى الا على قواعد انسانية ، ولكن قاعدة هذه القواعد هو « الامن » ، الامن من الجوع ، والامن من الخوف ، والامن من المرض ، والامن من الجهل ٠

والمنظمة الدولية عندما وضعت حقوق الانسان عقيب الحرب الكبرى الثانية ، اتت بما ظن جديدا في الانسانية ، لانها جعلت اسس تلك الحقوق - سواء أكانت للفرد أم للجماعة أم للمجتمع - التأمين من الجوع والمرض والفقر والخوف ، والاسلام ادرك ذلك قبل هؤلاء المفكرين المخلصين للانسانية ٠

وأنا لا اقول هذا تعصبا للاسلام ، بل الحق هو هذا والدليل واضح ٠

كلنا يقرأ في الصلاة سورة قريش :

بسم الله الرحمن الرحيم

« لايلاف قريش ايلافهم ٠ رحلة الشتاء والصيف ٠ فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » ٠

فهذه السورة الكريمة تقدم الدليل على أن الاسلام أدرك أن الامن من الجوع ، والامن من الخوف هما قاعدة كل قواعد المجتمع ، لانك اذا امنت الجوع انصرفت الى الصالحات ، وكففت يدك عن المحرمات ، ورجلك من السعى فيما يسخط الله ثم المجتمع ٠

والجوع يلتهم كل الفضائل ، والجوع الوقتى يصرف صاحبه عن الاتزان مما دعا الاسلام الى نصح القاضى بألا يحكم وهو جائع ٠

وكل الجرائم تصدر من الحاجة ، من الجوع ، سواء أكان جوع معدة أم جوع عاطفة !

لا يلام الجائع اذا طلب الطعام ، فذلك ضرورة وحق ، ولا يلام المجرم اذا دفعه المجتمع بظلمه الى اقتراف جرمه ، لانه مجبر على طلب الشبع أو الغذاء ما دام كائنا حيا ٠

لا تلم الجائع على اثم يقترفه ، بل وجه إليه اللوم مصحوبا بالعقوبة الشديدة اذا وفرت له الشبع ثم اقترف الاثم ، لانه يعد متخطيا الضامن الذى كفل له ما يبعده عن الخطأ •

والاسلام أدرك حقيقة الثواب والعقاب في مثل هذه الامور وغيرها ، فعمر بن الخطاب ثالث ثلاثة رفعوا صرح الاسلام في بداية أمره ، وأرسخوا قواعده ، ووثقوا تركيبه ، وأعزوه وأعلوا شأنه ، لم يقطع يد السارق في سنة القحط العام ، لان المجتمع لم يستطع أن يقدم الضمان الذى يكفل المعيشة ، لان المجتمع عجز عن ضمان الامن من الجوع •

بل لم يعاقب عبدا سرق سيده الذى كان يجيعه ، لانه أدرك أن الضرورة هي التي دفعته ، ولولاها لما اندفع الى السرقة •

والامن من الخوف قاعدة من قواعد المجتمع لانه من غير الامن تختل كل الموازين الانسانية وتضطرب المقاييس ، فلا مفكر يبدع ، ولا شاعر يغرد ، ولا حاكم يعدل ، ولا حضارة تقوم •

اذ كيف تفكر وأنت فريسة المخافة ؟
وكيف تبدع وأنت في فزع ؟
بل الخائف يأتى بأعمال قد تؤذى نفسه وتسىء الى المجتمع •

واختلاف الامن يهدم المجتمع كله ، وتموت بسببه رغبات الخير ومقاصد الاصلاح ، فاختلال أمن الطريق يقطعه ، فلا تبادل في التجارة ، وقد رأينا في الحروب والفتن عندما يختل أمن الطريق قليلا كيف تغلو الاسعار وتختفى البضائع ، ويصيب الناس الهلع من غد مجهول •

ويصحب اختلال الامن كل الرذائل والموبقات ، وتستباح معه الحرمات ، فيضطر الجائع الى اتخاذ كل سبيل يفضى به الى الامن من الجوع مهما عز الثمن الذى يدفع •

ونعم الله التى تدفعنا الى توحيده ، واخلاص العبادة له ، لا يحصيها صيرفي روضت أعداده ، ولكن أعظم تلك النعم طرا هو ما من الله به على عباده ، اذ قال : « فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » •

وعندما يأمن الانسان الخوف فيطمئن ، ويأمن الجوع فيشبع ، تستيقظ فيه ملكات البناء والاصلاح والتعمير ، هذه الملكات التى لا تتفتح الا اذا هيىء لها الجو الآمن لتنتج وتعمر وتبدع •

وكل القوانين والشرائع تقصد الى تحقيق الامن من وجهات نظرها المختلفة ، والاسلام نفســـه يقدم تشريعـاته الصـائبة ليحقق الامن للفرد والمجتمع الذي ينشأ من هذا الفرد وأمثاله على خير الصور وأكمل الوجوه .

وننتهي من كل هذا الى أن الامن من الجوع والامن من الخوف ضرورة للانسان حتى يعمل ما فيه الخير بالنسبة لنفسه ولغيره .

ففي كل مجتمع أناس أخذوا على العبث بالامن واختلاله حتى يفيدوا من ذلك على حساب المجموع ، فمن الاغنيـــاء من يصطنع الاخافة لتصريف انتاجه أو ما لديه من سلع ، وارباء دخله ، واكثار ماله ، ومن المفكرين من يبث الخوف في النفوس حتى يحقق مقصده ، بل من الدول دول تفعـل ذلك حتى يتسنى لها غزو الاسواق واحتلال البلدان ، واستعمار الشعوب .

وكل جريمة في الارض ، سواء أكانت جريمة فرد أم مجتمع أم دولة انما سببها اختلال الامن ، فالمجرم يقترف الجريمة لان خلـلا أصاب أمن بعض حواسه وأفكاره واتجاهاته وتفسيراته للمجتمع والدولة .

والاضطراب الذى نشهده اليوم في هذا العالم نتيج اختلال الامن ، أمن النفوس والارواح ، وأمن الاقتصاد ، وكـل أمن في كـل مـا يتصل بالفرد أو الدولــة .

وكذلك الامر في اضطراب الشرق الاوسط في هذه الايام .

واذا أراد العالم العودة الى الطمـــأنينة فمـا عليـه الا أن يعمل قادة الشعوب ورؤساء الحكومات على بث الامن في النفوس بحق حتى ينعم الناس بســـلام حقيـقى .

ولم تعد الامم في هذا العصر كما كانت قبـــل عصر الراديو .كانت الامم قبل الراديو وانتشاره تعيش في حدودها آمنة مطمئنة لا تؤثر عليها مشاكل غيرهاواختلال أمن سواها ، فاذا نشبت حرب بين أمتين ــ مثلا ــ عاشت بقية الامم في سلام ، في أمن مادى ونفسى ، أما اليوم فان كل أمم الارض تضطرب لنزاع يقع بين أمتين بعيدتين عنها .

فمسألة كوبا ما كانت لتخل بالامن العالمى لولا الراديو والوعى العام واشتباك مصالح الامم جميعها ، ولكن الراديو نقل الينا أخبار كوبـــا فاذا

الاضطراب يجوس خـــلال ديارنـــا ، ويهدد أمن نفوسنا ، ويبـــذر القلق في مجتمعنا .

واذا كان لمثل هذا الرأى أذى فله أوجه حسنى ، منها اتحاد الشعور الانساني العام ، برغم اختلاف الحكومات ومذاهبها السياسية ونظمـــها الاجتماعية وحدودها الاقليمية ، وآية هذا الاتحاد أن أى اضطراب ينشب في أى مكان بالعالم يقلق كل بلد فيه .

ونشعر اليوم بأن الخطر الـــذى يهدد أمن أمتنا وبلادنا آمسي على أبوابنا من جراء النشاط الشيوعى وأحزابه المختلفة في العالم العربى ، هذه الشيوعية التى تشعل الفتن والحروب ليكون لها مركز في جزيرة العرب ، فتكون على مقربة من « البيت الحرام » الذى يجمع ستمائة مليون مسلم في مختلف أقطار الارض ، والشيوعية تريد هدم هذا البيت حتى تتخلص من الاسلام وحماته ومن حراس الكعبة .

وقد ذكرت في كتابى « الشيوعية والاسلام » المطبوع في القاهرة سنة ١٣٧٤ في صفحة ٦٣ ما أنقله منها بنصه ، قلت :

« عرف الشيوعيون أن مذهبهم لا يمكن أن يسود ما دام الاسلام ، فحاربوه أعنف حرب عرفها تاريخ الاديان ، وحاولوا أن ينشروا مذهبهم في الشرق الاسلامى بكل وسيلة ، ولكن الدين صد تيارهم الجارف ، وذاد عن حمى المسلمين الشر ، وهزم الماركسية شر هزيمة جعلت مولوتوف يقول في خطاب له : « لن تنتشر الشيوعية في الشرق الا اذا أبعدنا أهله عن تلـــك الحجارة التى يعبدونها في الحجاز » .

ويريد مولوتوف بالحجارة الكعبة المشرفة ، ولكنه جهل أن المسلمين لا يعبدون هذه الحجارة ، بل يعبدون الله وحده الذى أنكر الشـــيوعيون وجـــوده علانية .

فمطامع الشيوعية في الشرق العربى معروفة ، وعزمهم على هدم الكعبة مبيت ، ظنا منهم أن ذلك يقضي على الاســـلام والمسلمين ، فأنشأوا مراكز ليجعلوا منها قاعدة للشيوعية تنطـــلق منـــها قذائفهم وجنودهم لتحقيق أملهم الخـــائب .

ورأينا أعمال الشيوعية العربية وتصريح أجرائها ممن يقبضون عـــلى أعنة السلطة في بعض بلدان العالم العربى ، تلك التصريحات التى تهدد

كيان وطننا ، وتهديد كيان وطننا تهديد للاسلام ، واذا ذكرتم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق : « اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض » تعرفون أن الاسلام لا يحيا الا بحياة هذه البلاد ، ولا يعز الا بعزها ، ولا يأمن الا بأمنها ، وهي التي تحفظه حتى يرث الله الارض ومن عليهـــــا .

فاذا أرادت الشيوعية أن تزلزل قواعد الأمن بمختلف أساليبها فان واجبنا أن نقف جميعا صفا واحدا حتى يأمن كل مســلم على وجه هذه الارض على دينه وعقيدته ، لأن حماة البيت الحرام وحماة مرابضه وثغوره نذروا انفسهم لله أن يحفظوا دينه ، ويحموا بيته ولو كان الشــيوعيون بعضهم لبعض ظهيرا .

ان أمن هذه البلاد أمن للمسلمين أنى كانوا ، بل هو أمن للانسانية ، لأن الاسلام يحفظ أمن العالم من الخلل ، مهما كان شأن أهله ضعيفا .

وواجبنا جميعا أن نكون يقظين ونعاهد الله على الدفـــاع عن حرمه وحمى حرمه ومرابضه وعرصاته وثغوره حتى يكون أمن الاسلام مضمونا .

وكلنا ـ والحمد لله ـ يعرف واجبه ، ويؤمن بالدفاع عن العقيـــدة فريضة يؤديها راضيا مغتبطا حتى يضمن أمن النفوس والارواح والاعراض والاموال والعقيدة والوطن .

وبعد ، أيها الاخوان من رجال الامن ..

لي معكم كلمة أحب أن تتسع لها صدوركم ، وألا تضيقوا ، وأنا حسن الظن بكم ، وأنكم تقدرون حرية الفكر وحرية الرأي والقول ، ويسعدكم ان تسمعوا مـن زميـل قـديم لـكم رأي النـاس في بعض التصرفـــات والاعمال والاجراءات .

أنا أعلم أنكم لا تضيقون بالنقد ، وتعلمون أن الفاكهة الناضجة هي التي تؤخذ ، والزهرة الناضرة هي التي تقطف ، وأخال أنكم مثلها ، بل أرجو أن تكونوا مثل النخلة المثمرة ، كلما هزها امرؤ تساقطت رطبا جنيا لا حجارة وقذائف ضارة .

الجمهور يشكو من الامن ، وما أود أن أشير الا الى ما يعد نصحـا يستحث لا نقدا يستفز .

الجمهور يشكو الاجراء الطويل الممل في معاملاته وقضاياه ، ويجابه من بعض رجال الامن ما يوغر صدره ، ويباعد بينهم وبينه .

ويشكو الجمهور العنف في اللقاء ، والتكبر والاستعلاء ، وايثار الشدة على اللين ، والتجهم على الرضا .

ان الامن ، أو ادارة الامن العـام في بلادنا ، يقترن باسمها التخويف والارهاب قبل خدمة الناس ، ورأوا الارهاب الذي كان مكشوفا منذ عهد مهدي مدير الامن العام الاسبق - غفر الله له - ولئن زال الارهاب الا ان الشعور الشعبي معبأ بشيء كثير من عدم الرضا اذ لا تزال بقايا تلك الآثار .

وحق الشـعب عليـكم - وأنتم أبناؤه - الكلمة الطيبة ، والمعاملة الحسنة ، وفي قول خير الخلق صلى الله عليه وسلم : « انكم لن تسـعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » .

وقد رأيت في البلدان الاوروبية والآسيوية وفي بعض البلدان العربية كتونس كيف يعامل جنود المرور من يخالفون نظامه ، انهم - في تونس - يحيون المخالف ويؤدون له حقه من الاحترام ويشعرونه بالمخالفة في أدب دون أن يتأثر جنود المرور من أي مخالف تمسك بما توقعه ، لانهم جـاءوا ليفهموا لا ليتسلطوا .

وفي لندن تجد الجندي مثلا رفيعا في الخلائق والصفات ، وكل رجال الامن - صغارا وكبارا - يمتازون بأكرم الخلائق وأنبل الصفات .

وجنودنا - الا النادر - ليسوا كما نود لهم ، أن يكونوا ، والتبعـة عليكم أنتم يا رجال الامن .

وأرى في السنوات الاخيرة بالامن العام بدعة جديدة ، وهي اخفاء الضباط الكبار عن الجمهور وابعادهم عن الاعمال القيادية أو الرئيسية .

وما أدري أيصح أن نصنع ذلك مع هؤلاء بعد أن تنضج عقولهم ، وتثـمر تجاربهم ، وتزداد خبرتهم ، ويشعرون بثقـل التبعـة وصحو الضمير ؟ ليصح أن يستبدل بالكبار المجربين الذين قطعوا المراحل الطويلة من هم في أول الطريق أو وسطه .

وضآلة الافادة من « محصول » المجرب المحنك اهدار لقدراته وكفايات وتجارب وخبرات في وسعها القيام بواجب الامن خير قيام

ثم مما يسخط الجمهور ورقة « الطلب » أو « الجلب » التي يبعثها ضابط مخفر أو رئيس منطقة ، انها لا تتفق مع أدب التعامل بين الناس بعضهم بعضا .

أتصدقون ان « ورقة جلب » لاحضار محافظ مؤسسة النقد العربي السعودي بجدة كتب فيها : الى « مدير مؤسسة النقد » يقتضي احضار المدعو (فلان) محافظ مؤسسة النقد الى المنطقة » .

انني رأيت « ورقة جلب » في شرطة تونس ، فاذا هي تضم أدبا انسانيا رائعا ، جاء فيها :

« الى السيد ...... المحترم

« بعد التحية :

الرجاء الحضور الى ..... الساعة (كذا) والحضور بسبب .....

ولكم الشكر » .

فلماذا لا يهذب أسلوب « ورقة الجلب » ؟

ان ذلك لا يكلف شيئا ، بل يزيد في حسن العلاقة بين الجمهور والامن العام .

ان رجال الامن يشكون عدم تجاوب الجمهور معهم في كل شيء ، وبخاصة في الحوادث ، بسبب الفكرة السيئة التي يحملونها عن « الشرطه » وانكم تعلمون ذلك حق العلم .

وعلمت اليوم ان الاستاذ محمد حسين زيدان كان حريصا على ان يحضر الليلة ، ولكن « ورقة الجلب » آذته كثيرا ومنعته من الحضور .

تلقى الاستاذ زيدان ورقة من المنطقة ... بجدة ، جاء فيها :

« يقتضي حضور محمد حسين زيدان الى مدرسة الشرطة بمكة لسماع محاضرة الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار التي يلقيها بعد مغرب يوم الاثنين ١٨ـ٨ـ١٣٨٢ وذلك بناء على أمر سعادة مدير الامن العام » .

واذا كان في هذا الاسلوب ما أسخط الاستاذ زيدان وأسخط كثيرين ممن سمعوا به ، ولم يرضني أنا نفسي ، الا أنني ـ من جهة أخرى ـ سرني ، لان زملائي في الشرطة أرادوا أن يحضروا الناس بالقوة لسماع محاضرتي ، ولولا هذه القوة ما حضر من حضروا .

ولعل انه ينبغي ما كنت بخاطر لولا ان مداعبة كريمة من الاستاذ يحيى المعلمي المسؤول عن المحاضرات ذكرني بموعد عقد يوم السبت ٢٩ شعبان ورجاني ان اقبل الموعد المحدد لي لالقاء هذه المحاضرة الليلة .

ويعلم الله انني فوجئت بالموعد من جريدة « الندوة » التي نشرت خبر المحاضرة في صباح السبت ٢٩-٨-١٣٨٢ هـ وانما لم اتلق اي خطاب بتحديد الموعد ، والمحاضرة تحتاج الى زمن للاعداد والكتابة ، وما القيته عليكم الليلة ليس « محاضرة » بالمعنى المفهوم ، فمعذرة اذا كان ما سمعتموه « دردشة » كنتم في غنى عنها . ولكن حسبي سرورا أني اجتمعت باخوة كرام ، من رجال الامن العام ، ومن كل من تكبد المشقة ليسمع بعض فضول الكلام .

(محاضرة القيت على رجال الامن العام بمكة المكرمة وكانت الدعوة عامة لحضورها لكثير من رجال العلم وطلبته والادباء والمفكرين ونشرت بصحيفة « الندوة » سنة ١٣٨٢ هـ وعلق عليها بعض الحاضرين تاييدا وشرحا) .

خطبة الجمعة

صليت الجمعة في غير مسجد ببلادنا الواسعة ، فكنت أسمع خطبا قديمة مكتوبة بأساليب لم تعرفها العربية أيام نقائها وقوتها وأصالتها ، وليس فيها عرض لمشاكل العصر وقضايا الشعب بأسلوب هذه الأيام .

وخطبة الجمعة - كما أعتقد - عرض وتحليل وارشاد ، عرض لمشكلة الأسبوع كأن تكون حادثة عالمية أو انسانية أو مشكلة ، وتحليلها على ضوء الاسلام وارشاد الى ما يجب .

كنت أسكن في الروضة بمصر ، وكان للإخوان المسلمين مسجد فيها ، يتناوب عليه الخطباء كل جمعة ، فكنت أسمع كلاما جديدا مؤمنا ، لم أترك الصلاة فيه بضع سنين ، ويصادف أن أكون على أميـــال ، وأخشى فوات الخطبة فآخذ سيارة تكلفني أحيانا نصف جنيه لان ما أسمعه في خطبة الجمعة رائع وجليـــل .

كان الخطيب يتنـاول مشــــكلة الساعة وأحداث الشعوب والامم ، فيتحدث فيها على هدي الاسلام حديثا يتفق في الاعجاب به وتصديقه المسلم وغير المسلم ، لأنه كان يتناول المشكلة من أطرافها ويقدم الحلول التي تراها المذاهب الاجتماعية ثم يعقبها برأى الاسلام بعـــد أن يشرح معناه ويفسر مدلوله ، ويستنبط من الاحكام ما يجتذب الاعجاب .

وكان الخطيب يتخير المناسبات وأحداثها ، أو الدعوات التي لا تتفق مع الاسلام ، ويتناولها بالنقد العف ، ويعرض رأى الاسلام عرضا صحيحا لا زيف فيه ، عرضا فيه جمال وعمق وتحليل دقيق .

تحدثت صحف مصر عن حقوق المرأة ، وعن التعدد والطلاق ، وانبرى كتاب يهاجمون الاسلام في تلك الصحف لانـــه يبيـــح التعـــدد والطلاق ، ويهاجمون الاسلام لانهم يجهلون ما أعطى المرأة من حقوق ، فجعل الخطيب هذا الامر موضوع خطبته ، وأخذ ساعة تمنينا أن تطول وتصبح ساعات ، وأبان بالمنطق الصائب الغلاب عظمة الاسلام في اباحة التعـــدد والطلاق ،

وذكر للمرأة حقوقا مما كان الناس يظنون أن الاسلام أدركها قبل العصر الحاضر بقرون طويلة .

وليت خطباء الجمعة في بلادنا يصنعون هذا الصنيع بأسلوب العصر الذي نعيش فيه ، ويتعرضون لمشاكل هذه الايام التي أخذت تقلق النفوس وتبلبل الافكار وتضل الناس ؟

ولكني أريد أن أقول كلمة حق : أيعرف كل خطباء المساجد في بلادنا - الا واحدا أو اثنين - الشيوعية والمذاهب الهدامة ؟ اقرأوا كتابا فيها ؟ أيعرفون نظرية الاسلام في الاقتصاد والتجارة والسياسة معرفة كمعرفة الغرب للنظريات التي تفتقت عنها مذاهبهم الاجتماعية ؟ أيعرفون نظم الشركات على اختلاف أنواعها ؟

لم أر حتى اليوم عالما من هؤلاء العلماء في بلادنا من تقدم نظرية علمية واعية في نظام الشركات أو نظام من النظم في أي مجال أو مرفق على ضوء الاسلام .

اذا كان الفقه الاسلامي مقصورا على معرفة الحدود والجنايات وأنواع العبادات كالصلاة والصوم والحج ، فان طلاب العلم في هذا الباب يصبحون فقهاء ، وما أكثرهم !

ان الفقه الاسلامي خصب عظيم الثراء ، وفي الاسلام أصول كل ما نحن في حاجة اليه ، ولكن أين في بلادنا العلماء الباحثون ؟

حضرت في « دمشق » بسورية صلاة جمعة ، وكان الامام يخطب في موضوع « نظام الفوائد والبنوك » ، وجاء فيه بكلام عظيم جليل ، ذكر رأى الاسلام في الربا وقال : انه يحرمه تحريما لا يستطيع مخلوق أن يجعله حلالا ، ثم ذكر رأى الاسلام في الاجور وأجور المحلات ، ولم يؤول ولم يتخذ الحيل سبيلا .

نريد خطباء جمعة من هذا النوع يفهمون ما جد في العصر الحاضر ، ويقيمون للعامة رأى الاسلام في كل جديد لم يعرفه من قبل ، فيحل ما أحل الاسلام ويحرم ما حرم نصا أو قياسا أو اجماعا .

ولكن أين هؤلاء الخطباء في بلادنا ؟

أقول بحق : لا وجود لهم اطلاقا

ثم ان كثيرا من ائمة المساجد يلحنون في الآيات والاحاديث ، ولا يقيمون العربية ، وندر منهم من يقيمها اقامة حسنة .

وكيف نطلب من « امــام » أو أى انسان يبدع في عمله اذا كان لا نعطيه حقه من التكريم والقدر والمثوبة ؟

امام المسجد يأخذ « راتب » فراش !..
ولا يحق لنا أن نطلب اليه أن يعطينا رائعا وجليلا بأجر زهيد .

كان الاخوان المسلمون ـ أعاد الله عزتهم ـ يقومون بهذه الوظائف كالامامة والوعظ والارشاد احتسابا لوجه الله ، وكان الخطباء يتناوبون ، وكانوا يتلقون دراسات في « كيفية » البحث العلمى على أيدى مقتـدرين كفاة في الاسلام وعلومه .

وأنا لا أطلب أن يكون أئمتنا في المساجد مثل أولئك الا اذا كـــان لديهم مورد رزق من أعمـال أخرى ، أمـــا اذا كـانوا متفرغين فمن حقهم « الراتب » الكبير بعد اختبار دقيق .

أما التساهل في اسناد منصب الامام الى من لا يحسن العربية ولا يفقه الاسلام فقه دراسة وعلم وثقافة ، ففى ذلك ضياع للفائدة المرجوة من خطيب الجمعة وامام المسجد .

حضرت واعظا في المسجد الحرام ذات ليـــلة ، فسـمعت خطبته أو وعظه ، وكان أكثره في « فضيلة مجلس العلم » بأسلوب غير مشجع ، ثم فتوى في مسح الرأس عند الوضوء اذا كان أقرع .

وأنفق الواعظ ساعة في هــذا الكلام ، وكـــان يكفى ذلك دقيقة أو دقيقتان ، ثم يتطرق لموضوع من موضوعات الساعة التى تشغل الخواطر والاذهان كالاشتراكية والشيوعية مثلا .

لكن الواعظ معذور ، فهو لا يعرف من هذين المذهبين غير اسميهما وبعض « معلومات تافهة » .

نريد خطيب الجمعة أن يكون اماما في العلم ، يعيش مع الاســـلام حقا ، فالاسلام دين كل زمان ومكان ، لا دين القرن الاول الذى مضى ، وما دام كذلك فمن واجب خطيب الجمعة أن يعرف هذا الزمان وما يضطرب في

عليه الأرض من مذاهب ونحل تحارب الاسلام أو تنازعه أو تنافسه ، وأن يكون على علم واسع بالعصر الحديث وما فيه من أمم وشعوب ومذاهب وآراء ، وفلسفات ، وأن يلم — على الأقل — بطرف من كل ذلك ليكون خطيب جمعة حقا وصدقا .

منشور بمجلة « الرابطة » سنة ١٣٨٨ هـ

أيها الأغنياء

اتعظوا بما يجرى حولنا

أعظم ما عنى به الاسلام ، وأول شيء اهتم بـه : تطهير الروح التى ينهض عليه صلاح الانسان وكل جوارحه ، ولا يفيد أي صلاح لا يبنى على ذلك التطهير الذى أزال الحقد والبغضاء والكراهية مـن النفوس ، فصار الاعداء اخوانا ، والفقير والغنى ، والصغير والكبير ، والضعيف والقوى ، والعاجز والقادر ، اخوة متحابين .

ثم انحدر المسلمون لان الروح الإنسانية فيهم أصابها الكدر بعـد الصفاء ، فبدل الله حالهم الى أسوأ حال، لان الله لايهب القدرة لمن يحتويها، والعزة لمن لا يبتغيها .

ونجد اليوم المسلمين فريسة للمذاهب الهدامة والنحل الباطلة ، بل نجد منهم من يسعون اليها سعيا ، ولبعضهم العذر في الضلال لان من وجب عليهم قيادة الناس بالخير أسلموا الضالين الى غير الهدى .

والفقر أكبر غول يلتهم المقدسات والمثل والقيم الانسانية فحـاربه الاسلام حربا مقدسة ليكون تطهير الروح تطهيرا صحيحا لا يشوبه كدر ، وعندئذ يتم للاسلام ما توخاه من شريعته السمحة من زرع المحبة في النفوس بعد انتزاع آفات الحقد والبغضاء والكراهية وكل السموم الفتاكة بالنفس الانســانية الصافية .

والفقراء في العـالم العربى والاسـلامى هم الاغلبيـة السـاحقة ، والاغنياء القلة النادرة ، والقطع بين الفريقين الحب ، وحل محله البغضاء والكراهية والحقد ، وازداد بينهم الخلاف على مر الساعات لا الايام ، لان أبواق الدعاوات المضللة ـ هادمة المذاهب الهدامة ـ تنفخ في كل ثانية من الثوانى وتهتف بالفقراء : أن ثوروا وحطموا مغتصبى أقواتكم . ونسى أصحاب الثروات واجبهم ، وظنوا أن ما يقدمون من « صدقات » بالطرق التى تحطم عزة المسلم والمسلمة كاف في أداء الواجب الدينى والوطنى .

والفقر يصاحب كثيرا من الشرور والآثام ، وليس لجائع رأى ، وقد يستبد الجوع بصاحب الشرف فيضطر الى بيعه . وفي الاثر الشريف : ان

امرأة استبد بها الجوع فقصدت غنيا فأبى أن يعطيها الا أن تسلمه نفسها ، فأبت ، وقضت يومها ، فزاد بها الجوع ، فعادت اليه ، ولكنه طلب منها نفسها فأبت ، ثم أجبرها الجوع ، فأعطته ما طلب ، أعطته نفسها ، ولكن الله هداه بعد أن تمكن ، فكان ممن يظله الله يوم لا ظل الا ظل عرشه المبارك .

ما تصنع جائعة شريفة ، اذا قتلت نفسها كانت كافرة ، والمعصية أسهل من الكفر .

والأغنياء ، وأصحاب الثروات ، يجب أن يفكروا قبل أن يقعوا .

واذكر أن الاستاذ عباس محمود العقاد كتب قبل ثمانية عشر عاما مقالا في احدى الصحف المصرية حذر فيه الأغنياء من الاشتراكية التي ستغزوهم وتجردهم من أموالهم ، ونصح لهم أن يلاقوا الاشتراكية في منتصف الطريق ويعملوا للفقراء وينزلوا طواعية عن جانب من أموالهم ، قبل أن ينزلوا عنها كلها اجبارا واكراها ، ويصبحوا شرا من الفقراء ، فلم يسمعوا النصيحة فكانوا من الهالكين .

وهانذا أنقل للأغنياء ما أرجو أن يتدبروه ويعوه ويفيدوا منه ، جاء في « اعلام الموقعين » لابن القيم ما أنقله بنصه ، وهو :

« ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اسقط القطع عن السارق في عام المجاعة ، قال السعدي : سألت أحمد بن حنبل : تقول به ؟ فقال : أي لعمري ! قلت : ان سرق في مجاعة لا تقطعه ؟ فقال : لا ، اذا حملته الحاجة على ذلك ، والناس في مجاعة وشدة .

وقد وافق أحمد في سقوط القطع الأوزاعي ، وهذا محض القياس ومقتضى قواعد الشرع ، فان السنة اذا كانت مجاعة وشدة غلب على الناس الحاجة والضرورة ، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه الى ما يسد رمقه ، ويجب على صاحب المال بذل ذلك اما بالثمن أو مجانا على الخلاف في ذلك ، والصحيح وجوب بذله مجانا لوجوب المساواة ، واحياء النفوس مع القدرة على ذلك والايثار بالفضل مع ضرورة المحتاج .

فالبذل مجانا مشاركة الغني في ماله للفقير مشاركة فعالة يقتضيها وجوب المساواة .

وفي تفسير الفخر الرازي :
« ان الاغنياء لو لم يقوموا باصلاح مهمات الفقراء فربما حملتهم شدة الحاجة والمسكنة على الالتحاق بأعداء المسلمين ، وعلى الاقدام على الافعال المنكرة كالسرقة وغيرها » .

فاذا رأينا حولنا جيوش الفقراء تلتحق بأعداء الاسلام ، وتقدم على السرقة وغيرها ، كالنهب والسلب والفتك بأصحاب الاموال كان فرضا علينا أن نصغي لصوت الاسلام ونستجيب له ، ونأخذ به حتى نحمي مجتمعنا مما أصابه تشوانا من المذاهب الهدامة .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « صلاح المال في ثلاث : أن يؤخذ من حق ، ويعطي في حق ، ويمنع من باطل » .

فواجب الاغنياء أن يعطوا اموالهم في حق ، ويمنعوا بها من باطل ، والباطل معروف امره ، وهو كل ما لا يتفق مع الحق والعدل ، وقد شرح ذلك الامام ابن حزم في « المحلى » اذ يقول :

« فرض على الاغنياء من اهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم الزكوات ولا في سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والشمس وعيون المارة » .

وما يجرى من حوادث حولنا يجب أن يكون لنا فيه درس وعظة وعبرة ، وما نستطيع بغير ما رأى الاسلام حراسة لمجتمعنا من هذه المذاهب التي تغفر فاها لالتهامنا نحن ويننا .

وفي تفسير الفخر الرازى : انّ الحاجة تحمل الفقراء على الالتحاق بأعداء المسلمين ، وعلى الاقدام على المنكرات ، وهذا صريح لا يحتاج الى شرح وتفسير .

ونحن ـ علم الله ـ لا نريد بالاغنياء الا الخير ، فهم أهلونا واخواننا ، وهذا ما يحملنا على تذكيرهم بهذا النذير ، بهذا الطارق الذى يطرق أبوابنا بعنف يريد أن يحطمها ليهاجمنا ويؤذينا جميعا ، فالفتنة لا تصيب افرادا معروفين بل تصيب الجميع .

والاغنياء في كل بلد يبتون مع الحكومة وأكثر منها ، والاف المشاريع والاندية والاعمال قام بها الاغنياء لشعوبهم ، فلما شاركوهم أموالهم

وجهودهم جعلوا منهم درعا يقيهم وحراسا يدافعون عنهم بأنفسهم وأرواحهم وعملا منظما في غير شركاتهم ومؤسساتهم التي تستخدم عشرات الملايين من العمال [illegible]

وأريد أن أقول كلمة حق : ان أغنياءنا لم يعملوا عملا ثابتا يتجدد [illegible] كل [illegible] وتكون مشهورة النفع [illegible] المشروعات الخيرية [illegible] منها [illegible] الا بعض [illegible]

اذا لم يصح الاغنياء على [illegible] القارعة الصاخة ، فمتى يستيقظون ؟! ما يزال أمامهم فسحة من الوقت ليعملوا صالحا فيحموا المجتمع ويشكروا الله ويستغفروا الذين ، والا فليعلموا أن الصهيونية والاستعمار والشيوعية على اختلاف مذاهبها تستعد أو استعدت لحربنا ولحرب الاسلام وصحبه ، والله يحفظ دينه بالمتدينين به المجاهدين الصالحين ، ولا يهب النصر للكسالى القاعدين بل للعاملين ، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم ينتصر وهو نائم في بيته ، بل تعرض لكل صنوف الشدة والبلاء والاذى من الاعداء ، وفر منهم ، ثم استعد بالقوة ليدفع عن الاسلام وأهله ما يراد به من شر [illegible]

ويعلم الله انني أريد للأغنياء أن يعملوا ويعيشوا في سلام وطمأنينة وأمن ، ويقضوا على الحقد والبغضاء والكراهية لهم بأن يصنعوا لوطنهم وأمتهم ما فيه خيرهم وخيرهما .

والامانة التي اضطلع بها لله ولرسوله وللمؤمنين تفرض علي أن أسخر قلمي للنصح والتوجيه والتنبيه ، ويجب أن يكون لنا أسوة في رسول الله الذي أمرنا بالنصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وقد نصحنا .

يجب على الاغنياء أن يشاركوا في فتح مدارس ومستشفيات وبعث بعوث علمية وصناعية على حسابهم ، ويعملوا على « تحضير » البادية بقدر ما يستطيعون ، والانفاق على « البحوث » العلمية والادبية التي تنفع بلادنا أدبيا وماديا .

نشرت مؤسسة « ماجرو هيل » الامريكية للطباعة والنشر في نشرتها المسماة « عرض الاحوال التجارية » : ان ما أنفقته شركات أمريكية لخير الشعب الامريكي بلغ ٦٣٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار ، أي ستة بلايين وثلاثمئة مليون دولار أنفقتها تلك الشركات في سنة ١٩٦٦ م .

وفي أمريكا أكثر من ١٥٠٠٠ شركة تقوم بمشروعات علمية كبرى على حسابها بما في ذلك البحث العلمي الخاص كالبحث في ميادين الطاقة الذرية وانتاج الطائرات ، والكيمياويات ، والمنسوجات ، والمنتجات التركيبية ، والاجهزة الالكترونية مع الخ .

وقدمت مؤسسة فورد في ١٩٥٦ مبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٩٠٢ دولار في صورة منح للجامعات ومراكز البحث وغيرها من المؤسسات العلمية .

وان أفرادا كثيرين أنشأوا معاهد ، وهم من رجـــال الاعمال والاسم الفنية مشاركة منهم في توسيع آفاق المعرفة الانسانية ، ومـا من مليونير أمريكى الا وله مشاريع خاصة تتصل بخدمة الشعب والفكر الانسانى .

واغنياؤنا ليسوا اقل اخلاصا مـن الاغنيـاء الامريكين ، واغنياؤنا يبذلون ، فهم يؤدون الزكاة بالملايين ، ويتبرعون في المناسبات بالملايـين ، ولكن يجب تنظيم ما يبذلون ، وعمل ما يكون نفعه متجددا .

انني لا أرى لاغنيائنا أثرا بارزا مشهودا في حياتنا علمة ، وارجو ان أرى لكل منهم مؤسسة تهتف باسمه فيتبعها الشعب بالهتاف والتصفيـق اكبارا للمواطنين المخلصين من الاغنياء الكرام ..

نشرت بمجلة « الرائد » سنة ١٣٨٤ هـ

بين

أبي حنيفة وتولستوي

عرفت تولستوي منذ ثلاثين سنة ، وقرأت له قصصا مترجمة ، واعجبتني القصة الصوفية له قرأتها في الادب البنغالي او قرأها على قارىء كان يجيد لغة البنغال ، وانا افهم منها لغة الخطاب لا الكتاب ، وترجمتها الى العربية وطبعتها في مجموعة قصصي التي أصدرتها سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) تحت عنوان : « أريد أن أرى الله » وكانت الترجمة بتصرف .

وموجز القصة : ان ملكا عادلا محبوبا من رعيته لم يرزق بولد ، ولكن ذلك لم يهمه ، فقد كان له في حب ابناء شعبه غنى عن حب الولد ، وكان أكبر من في مملكته علما وعقلا وفضلا وخلقا ، وذات يوم طاف به الشيطان فأخذ يفكر في الله تفكيرا نزع الى الشك والالحاد .

وجمع أكبر مفكري مملكته وطلب اليهم أن يروه الله ، وأمهلهم ثلاثة ومضت المدة ، واجتمعوا لديه وكلهم مستعد للموت .

وكان معهم راع قال للملك : أنا أستطيع أن أريك الله .

فقال له : هيا أرني .

فطلب اليه أن يحدق في الشمس تحديقا، فعجز الملك وخاف على عينيه.

وقال له الراعي : اذا عجزت أن تحدق في الشمس وهي من مخلوقاته وليست أكبرها ، فكيف تريد أن ترى الله بعينيك هاتين الدنيويتين الضعيفتين ؟!

وشعر الملك بهزيمته عندما صفقت الجماهير للراعي ، ولكن استجمع قواه وقال للراعي : اثبت لي وجود الله .

فسأله الراعي عن اسم ابنه ..

فقال الملك وهو يشعر بزهو النصر الذي خاله في صفه : يا لرعونتك كيف اسمي « عدما » لا وجود له ؟!

وهنا قال الراعي : صدقت أيها الملك ! فهل يسيغ عقلك أن يصطلح الناس على تسمية الخالق « الله » وهو لا وجود له ؟ اذا استحال عليك

أنت أن تسمي ابنا لم ترزقه ، فكيف بملايين الملايين تسمي من لا وجود له « الله » ؟

وزاد تصفيق الناس للراعي .. واشتعل غيظ الملك وسأله : من كان قبل الله ؟!

وأجابه الراعي : أيعرف مولاي العد ؟

فلما رد الملك بالايجاب طلب اليه الراعي أن يعد ، فبدأ الملك يعد : واحد . اثنين . ثلاثة . ولكن الراعي فاجأه بقوله :

ـ عد يا مولاي قبل الواحد !

فغضب الملك وقال : ويلك ، أيوجد شيء قبل الواحد ؟!

وهنا صاح الراعي : كذلك الله واحد ليس قبله شيء .

ثم سأله الملك عن عمل الله ..

فقال له الراعي : ان هذا الجواب يحتاج الى أن نتبادل ملابسنا .. انت تلبس ثيابي ، وأنا أرتدي ملابسك ، وبعد ذلك أجيبك .

وتبادلا الملابس ، فغدا الراعي ملكا وقال : عمل الله عز وجل يعز من يشاء فهانذا الراعي الحقير صرت ملكا ، وأنت الذي كنت قبل دقائق ملكا صرت راعيا فقيرا . العز والذل ، والابقاء والافناء عمل الله !

هذه هي قصة تولستوي .

أما حادثة الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان فهي تشبه قصة تولستوي ، وموجز الحادثة : ان دهريا من علماء الروم ، ناظر علماء الاسلام فافحمهم ، الا حمادا شيخ أبي حنيفة ، ومع هذا لم يظهر حماد على الدهري .

وفي اليوم الثاني اجتمع الناس بالجامع ، وصعد الدهري المنبر وطلب المناظرة ، وأعلن تحديه لعلماء الاسلام ، فبرز أبو حنيفة من بين الصفوف ، حتى اذا كان على مقربة من المنبر قال : هانذا جئت أناظرك !

ولكن عين الدهري تقحمت الامام الاعظم واستصغر شأنه لحداثة سنه ، ولكن الامام تحداه اذ قال : هات ما عندك !

فتعجب الدهري من جرأة أبي حنيفة وقال له : ايصدق العقل أن يوجد أول ليس قبله شيء ؟!

فأجابه الامام : نعم ، وأردف قائلا : أتعرف العدد ؟

قال الدهري : نعم

قال أبو حنيفة : فما قبل الواحد ؟

قال الدهري : هو الاول ، ليس قبله شيء !

فقال أبو حنيفة : كذلك الله سبحانه وتعالى !

قال الدهري : في اى مكان هو ؟ كل موجود لا بد له من مكان .

فساله الامام ان كان يعرف اللبن فلما أجابه أنه يعرفه سأله : أفي هذا اللبن زبد ؟

قال الدهري : نعم .

قال ابو حنيفة : في اى مكان منه ؟

قال الدهري : لا يختص بمكان دون مكان .

قال الامام : كذلك الله جل شأنه .

قال الدهري : الى اى جهة يتجه ؟ وكل شيء لا يخلو من الجهات !

قال الامام : اذا اشعلت السراج ففى اى وجهة نوره ؟

قال الدهري : تستوى لنوره الجهات .

قال الامام : هكذا خالق السماوات والارض !

قال الدهري : وماذا يعمل هو ؟

قال الامام : سألت هذه الاسئلة وانت على المنبر واجبتك عنها وانا على الارض ، والآن : انزل واصعد انا المنبر .

فنزل الدهري وصعد الامام وقال : اذا كان على المنبر كافر مثلك انزله ، واذا كان على الارض موحد مثل رفعه ، وكل يوم هو في شأن .

ومحادثة ابى حنيفة مع الدهرى هي نفسها قصة تولستوى التى صور فيها الملك مع الراعي ، والملك هو الدهرى ، والراعي هو ابو حنيفة .

وانا لا اشك ان تولستوى كان على علم بامثال هذه القصص الاسلامية التي يتناقلها المسلمون ، ولم تخل روسيا منهم ، ويجوز أنه سمعها منهم او قراها في قصص الاسلام المكتوبة بالروسية .

فحادثة ابى حنيفة هي قصة تولستوى مع الفارق بين اسلوب الحادثة

وأسلوب القصة ، والحادثة تقتضى سرعة البديهة واحكام الاجابة والمنطق الغلاب والايجـاز المحـكم •

ولكن بعض الاسئلة في حادثة أبى حنيفة وأجوبتها هى نفسها في قصة تولستوى ، السؤال هو السؤال ، والجواب هو الجواب ، حتى السـؤال والجـــواب اللذان لم يردا في حـادثة أبى حنيفة نجـــدهما في منـاظرات اسلامية أخرى •

وكل هذا يجعلنا نزعم أن تولســـتوى نقل مـــا جاء في قصته عن الاسلام ، ويجوز عن المتدينين المسيحيين أو الاسرائيليات ، ولكن أرجـح نقلها عن القصص الاسلامية لانها كانت شائعة في كل بلد ينزله مسلمون •

وفي اللغة الروسية مترجمات كثيرة لكتب المسلمين والآداب العربية ، فغير بعيد أن يطلع عليها أديب كتولستوى ويصوغ منها قصة رائعة جميلة مؤثرة ، وحسبنا دليلا على اطلاعه أنه ألف كتابا عنوانه « حكم النبى محمد » صلى الله عليه وسلم •

وحبذا الاستعانة بمثل هذه القصص في مدارسنا في درس التوحيد ، لانها تقرب الى الذهن فهم ما يستعصى عليه •

وحبذا اتجاه قصاصينا الى تراثنـــا الدينى والعربى وصـــوغ قصص وروايات منه تصور مجتمعنا الاسلامى وبساطة الاسلام وصفاءه وما فيه من انسانية نفتقدها في عصرنا المادى المكروب •

بل في تاريخ الاسلام قصص انسانية رائعة لو وجدت قصاصين بارعين لانتجوا قصصا من أروع القصص العالمى •

ولو اتجه الادباء الذين يكتبون القصة الى القصص الاسلامى والعربى لزود المكتبة العربية بأروع القصص ، ومعـظم قصص شكسبير تاريخى ، وكذلك برنارد شو وغيرهمـا ، ولو صادفتـهم قصص اســـلامية كان من الجائز أن يصوغوها رووايات وتمثيليات ؟

نشرت في « عكاظ » سنة ١٣٨٤ هـ •

عادات غير اسلامية

تلقين الموتى والاربعين

ما يكاد يموت ميت حتى تنهض عادات ما أنزل الله بها من سلطان ، ولعل الناس لو وقفوا على حقيقتها ما كانوا يبيحون لانفسهم عادات وثنية وفدت الينا من وثنيين كفرة .

فالتلقين ـ تلقين الميت ـ بعد أن يوضع في القبر عادة غير اسلامية وعمل لم يأت به الاسلام ، بل جاءنا من الفرعونية عن كتاب « الموتى » .

وحفلة الاربعين، وهي الحفلة التي يقيمها آل الميت بعد مرور أربعين يوما على وفاته . ليست من الدين في شيء ولم تكن في زمن محمد صلى الله عليه وسلم وفي زمن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

بل مات رسول الله ولم يحتفل الصحابة أو أهل بيته أو آله الطيبون الاطهار بالاربعين ، ولو احتفل أحد بالاربعين في حياتهم لمنعوه ، وما أدرى متى نشأت عندنا هذه العادة السيئة ؟ وان كنت أعلم أنها وافدة الينا من الفرعونية .

كان اذا مات الميت في عهد الفراعنة لا يتم دفنه الا بعد أربعين يوما ، واذا مات فرعون نفسه لبث الناس أربعين يوما يعدون الجثة للدفن ، وفي خلالها يقومون بتحنيطها واجراء كل المراسم والطقوس التى كانوا يعتقدون أنها ستعين الميت في العالم الآخر ، وفي يوم الاربعين يحتفلون بدفن الجثة الحفلة التى تسمى عندنا « الاربعين » .

فهل آن لنا أن نترك الاربعين بعد أن علمنا أنها عادة فرعونية لم يأت بها الاسلام ولا يرضى عنها ؟

* * *

كنت كتبت هذه الكلمة في أحد أعداد جريدة « الندوة » الصادرة منذ أيام فكتب الاستاذ أحمد الشقيرى تعقيبا ذكر فيه ما يشير الى أن التلقين سنة ، وذهب في القول مذاهب شتى خانه فيها التوفيق .

وقبل أن أناقشـــه أحب أن أذكر أن الاســتاذ عمر ميرداد نبهنى في اليوم الثانى من نشر كلمتى بالنــدوة ثـم بعث الى رسالة سبقت تعقيب الاستاذ الشقيرى ، ولست بهذا أريد أن أغمط حقه ، ولكن للسابق فضله ، وهذه هى رسالة الشيخ ميرداد :

« كنت وعدتكم بالبحث عن اثبات تلقين الموتى بعد الدفن ، اما الامام أبو حنيفة فاستحب ذلك وأجازه مستدلا بهــذا الحديث الشريف : « عن حمزة بن حبيب قال : كانوا يستحبون اذا سوى على الميت قبره وانصرف الناس عنه أن يقال عند قبره يا فلان ، قل : لا اله الا الله (ثلاث مرات) يا فلان ، قل : ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد صلى الله عليه وسلم» •

(أخرجه سعيد بن منصور موقوفا ، وللطبرانى نحوه من حديث أبى أمامة مرفوعا مطولا ، وهذا الحديث ذكره المفتى السيد محمد عميم الاحسان في كتابه فقه السنن والآثار) •

وكان الاستاذ الشقيرى مع أدبه الجم قد استبد به الانفعال فند قلمه بما كان واجبا أن يتنزه عنه ، وهذا الانفعال جعله يخرج قليلا على قواعد العربية وعلى أمانة الناقد ، أما خروجه على قواعــد اللغــة فما أنا بواقف عندها لانها غلطات واضحة مكشوفة •

أما خروجه على الامانة العلمية فأرى من الحق أن أقف عندها لان في اغفالى الرد شبهة تتجه الى أو تهمة أنا برىء منها •

قال الشقيرى : « فلسفة الاستاذ العطار التى ذهبت به الى أن قال ـ سامحه الله ـ : ان التلقين الوارد ذكره في كتب السنة أكثر من مرة عادة غير اسلامية وفرعونية المصدر » •

وهذه الكلمة توهم القارىء أننى قلت : « ان التلقين الوارد ذكره في كتب السنة أكثر من مرة عادة غير اسلامية وفرعونية المصدر » وأنا لـم أقل هذه البتة ، ولا يستطيع مسلم حق الاسلام أن يجرؤ على ذلك ، وليس في مقالى زعمه « التلقين الوارد ذكره في كتب السنة أكثر من مرة عـــادة غير اسلامية الخ » ••

فمقالى خال منه كل الخلو ، وما ذكره انما هو من كلامه وحده زج به في التعقيب فأوهم وألبس الحق بغيره •

ولعله أراد أن يقول : ان التلقين الذى قلت عنه انه عادة غير اسلامية وجاءنا من الفرعونية ورد ذكره في كتب السنة غير مرة ، فخانه التعبير وجاء كلامه في صيغة توهم القارىء وتقولني ما لم أقل .

وكل ما قلته في التلقين هذه الكلمات : « التلقين ـ تلقين الميت بعد أن يوضع في القبر ـ عادة غير اسلامية ، وعمل لم يأت به الاسلام بل جاءنا من الفرعونية عن كتاب الموتى » .

ليس غير هذا ، وما أزال أقوله ، والحق معى ، وهاك الدليل : كتاب الموتى يرجع تاليفه الى زمن قبل بناء الاهرام ، أى خمسة آلاف سنة وأكثر ، وهو من تاليف تحوت الذى كان قبل ١٩٠٠٠ سنة ، وفيه ما يثبت أن التلقين كان معروفا في ذلك الزمن القديم ، وعرف قبل الاسلام بحوالى ١٨٠٠٠ سنة ، فالتلقين على هذا عادة غير اسلامية ، لانـــه كـان موجودا ومعروفا قبل الاسلام بثمانين ومائة قرن ، وهو عمل لـم يأت به الاسلام ابتداء ، بل جاءنا من الفرعونية .

هذا أمر لا شك فيه فالمصادر التاريخية تثبته ، وأوراق البردى التى عثر عليها العلماء تذكر التلقين .

فاذا صح عمليا وتاريخيا أن الاحاديث الضعيفة ذكرت التلقين وأن أبا حنيفة استحبه وأجازه ، ووصل كل ما جاء عن التلقين في الاسلام الى درجة الصحة المقطوع بها فان ذلك لا ينفى أن العادة ـ عادة التلقين ـ أقدم من الاسلام وليس ذلك بمطعن في الاسلام ، لانه أقر كثيرا من عادات الوثنيين كالجاهليين وهذب ما يحتاج منها الى تهذيب ، ولم يكن في اقراره اياهـــا مـا ينقص قدره ، أو يخفض ذكره ، فالاسلام جاء لاتمام مكارم الاخلاق ، ولا ننسى قول سيد الخـــلق محمد صـلى الله عليـه وســـلم : « بعثت لاتمم مكارم الاخــــلاق » .

وهذا الحديث يثبت أنه كان قبل الاسلام مكارم ، وكان هناك فراغ بجانبها ملأه الاسلام بالخير والحق والفضيلة والجمال ، وأعاد الاسلام الى تلك المكارم الحيوية والقوة ورفع من شأنها ، لان الاسلام لا ينقض بنـاء جميلا ، بل يبقى عليه ويقيم بجانبه غيره مما تحتاج اليه الانسانية .

فاذا رأى الاسلام أن التلقين سنة حسنة وأخذ بها ـ وثبت ذلـــك ثبوتا صحيحا ـ فانه مما لا شـك فيه أنه من صالح الاعمـال ، والاســـلام

« أولى به » من غيره ، وقد جاء في الاثر أن يهود تصنع كذا ، فأخذه الرسول منهم وقال : نحن أولى به •

وهذا يدلنا على أن الاسلام يأخذ الحسن سواء أكان من يهود أم من الفرعونية •

فاذا صح أن التلقين قد أخذه الاسلام أو جاء به ابتداء فهو عادة اسلامية ، ولكن أصلها الثابت ينتهى الى كتاب الموتى وأعمال قدماء المصريين •

وبعد هذا تبقى الفوارق بين الوحدانية والوثنية كما هى ، فالتلقين الوثنى مصحوب بأعمال لا يقرها الاسلام ، وفي التلقين الذى نشهده ونسمعه بعض ما لا يقره الاسلام لانه من البدع والخرافات ، هذا اذا كان هناك اجماع بجوازه •

وموجز القول : ان التلقين كان معروفا عند الفراعنة منذ ١٩٠٠٠ سنة وهذا وحده يكفى لتأييدنا فيما ذهبنا اليه •

وأرجو من الاستاذ الشقيرى أن يرجع الى كتب السنة الصحيحة ويرى ما جاء فيها فان وجد ما يذكر التلقين بمصادق من فعل الرسول عليه صلوات الله وسلامه أو فعل الخلفاء الراشدين والصحابة بحيث يكون اجماعا فذلك •

وأيا ما كان الامر فما قلناه لا غبار عليه لانه حقيقة تاريخية مؤيدة بالبراهين والحق أحق أن نأخذ به •

وأستطيع أن أؤكد أن التلقين غير وارد شرعا وان قال به من لا دليل عنده من القرآن والسنة •

* نشرت بجريدة « الندوة » سنة ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م)

مسلمو الصين

دار حديث بيني وبين معالي الاستاذ حسين عرب وزير الحج والاوقاف عن رحلتي بالصين الوطنية وحياة المسلمين فيها ٠ وكان الاستاذ حسين عرب قبل توليه الوزارة يتحدث عن المسلمين في العالم الاسلامي ، وبخاصة عن مسلمي الصين ، الذين فر عشرات الالوف منهم من الصين التى سيطرت عليها الشيوعية وتفرقوا في بلدان الشرق الاقصى ، وكان يرى العناية بهم حتى لا يفقدوا اسلامهم ٠

واليوم أصبح حسين عرب وزيرا ، وفي وسعه أن يحقق أمانيه نحو هؤلاء المسلمين ، ولهم حق علينا وفي أوقافنا وفي رؤوس أموالنا ، لان محمدا عليه صلوات الله وسلامه وصحابته ، أنفقوا خالص أموالهم للدعوة في بلادهم وغير بلادهم ٠

وقد استعد الاستاذ حسين‌عرب عندما تحدثت اليه عنهم لتقديم الكتب والمصاحف التى يحتاج مسلمو الصين الوطنية اليها ، ويبعثها اليهم ، وهو مشكور في هذا ، وأرجو أن يبادر الى بعث ما يريد بعثه سريعا ٠

ولكن هذا وحده لا يكفي ، ففى تايبيه مسجد كبير أنفق على تأسيسه مليونان من الدولارات ، وان الفضل في تمام المسجد يعود ـ بعد الله ـ الى الملك حسين عاهل الاردن ٠ ولكن بالمسجد نقصا ، وهو بنـاء مدرسة في الارض الفضاء التابعة له ، والتى هى جزء منه ٠

وما أدرى أتستطيع وزارة الاوقـاف أن تبنى هـذه المدرسة أم لا تستطيع ؟ أرجو أن تستطيع ، وأن يذلل الله لها كل صعب ، ويسهل لها الامور ويوفقها لما تصمد له ٠

وفي الصين الوطنية عشرات من الشباب الصينى المسلم يريدون أن يتعلموا الدين واللغة العربية في بلاد الاسلام ، ويتمنون أن لو أتيح لهـم ذلك حتى يأخذوا الدين من مصدره ، وفي وسع وزارة الاوقاف أن تعمل لله عملا جليل الشأن ، فتفتح أمـام هؤلاء الشباب الابواب ، وتجيء بهم الى

بلادنا المقدسة على حسابها وتعلمهم حتى يكونوا دعاة للاسلام ومبشرين بدين الله ٠

فما رأى وزير الحج والاوقاف ؟

ان للصين الوطنية أربعة طلاب في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، وهم يقولون : ان هذا العدد لا يكفى ٠

والاردن البلد المعروف بقلة موارده وضآلة دخله قد تكفل بتسعة طلاب ، أحضرهم على حسابه من فرموزا ، وقدم لهم السكن والطعام والملبس وكل نفقات التعليم ، وفوق ذلك كله يقدم لهم بضعة جنيهات لنفقاتهم الجيبية ، وهم الآن على مستوى جامعى ٠

ونحن أقدر من الاردن على كفالة اضعاف العدد الذى تكفل به ، ومسئوليتنا أكبر من مسئولية الاردن ، وواجبنا أن نصنع الشيء الكثير للاسلام والمسلمين ٠

ان مسلمى الصين يؤمنون أن البلد الوحيد في العالم الذى يحمى الاسلام ويرعاه وينشره هو البلد الحرام حيث يأمن فيه الناس على أرواحهم ودينهم وأخلاقهم، فهم يتمنون أن يحصلوا على الدين من منبعه الاول الصافي٠

ومن واجبنا أن نيسر لهم الطريق ، ونشجعهم ونساعدهم ونقدم لهم ما يحتاجون اليه حتى يتعلموا ويصبحوا دعاة صالحين ، وعلماء عاملين ٠

وما امتحن الاسلام قط في كل تاريخه الماضى بما امتحن به في هذه الايام ، فهو هدف قذائف الاعداء حتى من يتسمى بأسماء المسلمين ، ولم يبق له سوى أمتنا وبلادنا ، وواجبنا أن نعمل للاسلام بصدق ، فننشره في كل بقاع الارض ، ونبشر به ، وندعو اليه ، ونعلم اخواننا المسلمين بدينهم ونبصرهم ، حتى نحميهم من غزوات التبشير والشيوعية ومختلف المذاهب ، ونفتح بلادنا للطلاب المسلمين ؟

نشرت بمجلة « قريش » سنة ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م)

الاسلام في تركيا

صورت صحافة بعض الدول العربية « الاســلام » في تركيا صورة تبعث على الرثاء والاشفاق والالم ، وظن المسلمون أن تركيا انسلخت من حمى دين الله الى الكفر والالحاد ، وأسرفت صحف عربية أشد الاسراف في تقديم أبشع صورة للاسلام في تركيا .

ومضيت الى تركيا وأنا آسى على نفسى مما ستشهد من مأساة الاسلام في تركيا التى ردت عن الاسلام غوائل الصليبية وغزواتها المتوحشــة ، ومنذ هبطت مطار أنقرة وأنا أسمع اسم الله يتردد على فم الاتراك .

ودخلت غرفتى بفندق بلوار ــ من أعظم فنادق أنقرة ــ وسألت عن القبلة فدلنى أحد الخدم ، ولشد ما أسعدنى اننى سمعت أذان الفــجر بلسان عربى مبين ، فتوضأت ومضيت الى المسجد أسأل عنه حتى انتهيت اليه ، فلقيته مزدحما بالمصلين ، وفسحوا لى الطريق بينهم حتى وصلت الى الصف الاول قرب الامام .

وانتهيت من الفريضة وأنا أشعر بالبهجة ، فالامام مجــود للقرآن حسن الصوت والترتيل ، وأمتعنى بقراءته التى تعد حروفها .

وعدت الى الفندق وأنا أتقى البرد الذى لا يطاق بملابس تملأ صوانا ، وبمظلة أتقى بها المطر ، ومع ما اتخذت من حيطة فقد كنت أقفقف من البرد والمطر والريح ، وحمدت الله كثيرا ، وقلت : الاسلام بخير في تركيا ، ففى هذا الجو يخرج المصلون بالآلاف يقصدون المســاجد في الظلام والضباب والثلج والبرد ، ولولا قوة العقيدة الاسلامية ورســوخها في نفـوس هؤلاء المؤمنين ما خرجوا لصلاة الفجر .

وفي استانبول كنت أنزل بفندق بارك ــ من أفخم فنادق الدرجــة الاولى ــ ورأيت من غرفة الاستقبال التابعة لغرفة النوم ، مئذنة عاليــة استبشرت بها ، وسمعت الآذان الاول فأعددت نفسى للذهاب الى المسجد ، وكان الجو شديد البرودة ، والمطر ينهمر بغزارة كأنما انقلب البحر عــلى المدينة ، والضباب يغشاها فلا ترى المصابيح الوهاجة الساطعة .

مضيت الى المسجد فاذا هو مزدحم لا مكان فيه لقادم جديد .

الحق ، ان الاسلام قوى عزيز في هذه الديار الاسلامية .

ومضيت الى القرى والارياف التركية ، وأبصرت المساجد غاصة بالمصلين ، والأذان بالعربية ، والقراءة عربية ، أما خطبة الجمعة فبالعربية ، ثم تترجم الى التركية .

ولما حضرت الى مسجد حاجى بيرام في أنقرة لصلاة الجمعة (٤ شعبان ١٣٨٣ هـ الموافق ٢٠ ديسمبر ١٩٦٣ م) رأيت بكاء سامعى الخطبة ، وبين المصلين من أكابر الترك مناصب وثقافات ، وما كدنا ننتهى من الصلاة حتى تسابق كثير من المصلين يقبلون يدى لاننى من البلاد المقدسة ، من جيران بيت الله الحرام ، يقبلون يدى على كره شديد ومنع منى .

قلت لهؤلاء المخدوعين في شخصى : أيها الاخوان ، حقا ، أنا من أبناء مكة المكرمة حرسها الله وزادها شرفا وتعظيما ، ولكن من تتسابقون الى تقبيل يده يعرف أنه ليس أهلا لهذا التكريم ، وان أقل واحد منكم أجدر منى به الخ ..

وظنوا أن ما قلته تواضع ، فنفيته عن نفسى ، ولما رأيت اصرارهم على تكريمى عزوته الى بركة جوار بيت الله الحرام وحبى الشديد لمكة المكرمة حبا جعلنى أترك بسببه عكاظ بجدة وأبيع مطابعى بالقاهرة وأعود الى بلد الله الحرام .

وأخذت أفكر بينى وبين نفسى فيما ألقى من تكريم المسلمين حينما أنزل بلدانهم وقراهم فعزوته الى بركة الجوار ، فأحدنا يكرم جاره ، يستر عيبه ، ويكمل نقصه ، ويحتمل أذاه ، ويصفح عنه ويتغاضى ، فكيف بالله الرحيم الرحمان ؟ انه ليغار على جاره أكثر من أحدنا .

ان المسجد الحرام على مقربة منى ، وقد يكون على قيد خطوات فأتركه ولا أقصده الا لجمعة ، وندر أن أقصده لجماعة ، ومع كل هذه النقائص يقال عنى ما يقال من الخير ، ويكال لى المديح ، وتوجه الى عبارات التكريم .

وفي تركيا لا يبالى المسلمون البرد والثلج والمطر والضباب والظلام ، ويقصدون المساجد لصلاة الجمعة والجماعة ليلا ونهارا ، ونحن نعزف عن المسجد الحرام !

انهم المسلمون حقا ، أما نحن فنطلب الى الله المغفرة ونسأله الصفح •

وفي فرموزا رأيت بعض المسلمين يقبلون على المسجد الجامع في « تايبيه » من بلدان بعيدة ، ويقطعون مئات الاميال ليصلوا الجمعة كل أسبوع ، ونحن نتعمد ترك الجمعة والجماعة في المسجد الحرام ، ومع هذا ينظر الينا المسلمون في كل بلدان العالم الاسلامى على أننا سادتهم وقادتهم وأئمتهم •

ان الشعب التركى شعب مسلم ، حتى شباب الجامعات وأساتيذها يهرعون الى المساجد للصلاة في متعة وسرور •

والحكام الاتراك كأفراد ذوو غيرة على الدين وتمسك به ، فقد قدمت لوزير الاعلام ووزير المعارف وبعض المسئولين قطعا من ثوب الكعبة هدية فتقبلوها بحفاوة وترحاب وقبلات وخشوع ووضع على الرأس ، أما شكل الحكومة كشخص اعتبارى فمدنى لا يدين بالاسلام •

وقد خسرت تركيا كثيرا بخروجها الرسمي عن الاسلام ، فهى لم تصل الى أن تكون كبلد صغير في أوروبا كسويسرا مثلا ، فبين سويسرا وتركيا مسافة حضارية قد تبلغ مائة عام أو أكثر •

ثم ان الاسلام لا يمنع من التفوق الحضارى والعلمى ، بل يدفع اليه دفعا ، ولم يقدس دين ولا انسان « العقل » كما قدسه الاسلام ، فوجه الله خطابه الى أولى الالباب ، واللب جوهر العقل ، وأشاد بالعالم ، ورفع شأن العلم ، ومجد حلقات الدرس والتعليم •

فاذا تنكرت تركيا الرسمية للاسلام فذلك جهل منها بحقيقة الاسلام، ولكن ايمان الشعب التركى قوى ، أقوى ما يكون ايمان ، والحكومة التركية نفسها كأفراد حكومة مسلمة ، فالمسئولون الذين تحدثوا الى كانوا مسلمين حقا •

وأعتقد أن الاسلام سيكون في وقت غير بعيد دين الدولة الرسمى ، وسيعود الى ربوع تركيا الاسلام رسميا ، وسيكون شكل الحكومة رسميا ، فحزب العدالة الذى فاز في الانتخابات واعتذر عن الحكم حزب يدين بالاسلام ، ويمثل ثمانين في المائة من مجموع السكان ، وقد اتفقت مع بعض أقطابه ونوابه وقادة الرأى فيه أن يتجهوا الى الاسلام اذا أرادوا العزة لانفسهم ولبلادهم وللانسانية •

وقال لى صاحب جريدة « ينى استانبول » ورئيس تحريرها وأحد أعضاء البرلمان التركى ـ وهذه الجريدة تنطق بلسان حزب العدالة ـ : اننا صممنا على أن نقوم بحملة جديدة قوية لتأييد الاسلام •

واتفقنا على المبادىء والاسس التى تقوم عليها الحملة ، وأن أكون من قادة هذه الحملة مع أخوتى مفكرى الترك •

وأنا لم أسع الى هؤلاء الكرام البررة ، بل هم سعوا الى ، فالفضل لهم ، والاتجاه الى الاسلام ونصرته اتجاههم ، وأصطحبهم الى مسكنى باستانبول الزعيم التركستانى الكبير عيسى آلبتكين الذى تطارده الشيوعية في كل مكان •

هذا الزعيم التركستانى من أكبر زعماء المسلمين في العصر الحاضر ، سمعت اسمه وتمجيده في الصين الوطنية ، وفي هونج كونج ، وفي باكستان، وكان لعكاظ شرف نشر كلماته العظيمة ضد الشيوعية والشيوعيين ، وأشهد الله أن هذا الرجل المسلم لسان صدق للاسلام ولبلادنا المسلمة وحكومتنا ، اذا نشرت صحف تركيا كلاما حسنا عنا فالفضل لله ثم له » واذا نشر في بعضها ما فيه تشويه لسمعة حكومتنا وبلادنا رد عنا العدوان وقاومه ، ومع هذا تنكرنا له •

لماذا ؟ لا أعلم !

واننى رأيت نشاطه في تركيا ، نشاطه لنصر الاسلام ، ولتأييد بلادنا وسياستها ، ورأيت التفاف كثير من أقطاب تركيا به •

وأعود الى « الاسلام » لاقول كلمة موجزة : ان الشعب التركى من ومساجده مزدحمة ليلا ونهارا ، وصيفا وشتاءا ، وأخلاقه أخلاق اسلامية ، وان الحركة الكمالية لم تستطع انتزاع العقيدة من نفسه ، بل زادته ايمانا بدين الله الذى ارتضى لعباده ؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

شمس الاسلام

تشرق في بلاد الشمس المشرقة

ترتبط اليابان بالمملكة العربية السعودية بعلاقات اقتصادية تقوم على أساس تبادل المنافع الى جانب الصلات الطيبة التى تربط بين البلدين •

واليابان ـ بلاد الشمس المشرقة ـ تعتبر من أوائل الدول المتقدمة اقتصاديا ، ويبلغ تعداد سكانها بحوالى ٩٠ر٠١٧ر٠٠٠ نسمة ، وهذا يعنى أن كثافة السكان في ذلك البلد قد بلغ متوسطها حوالى ٢٤٣ شخصا للكيلو متر المربع مما يجعلها في المرتبة الثالثة في العالم من حيث كثافة السكان •

وتدل الاحصاءات الاخيرة على أن اليابان قد ازداد عدد سكانها بمعدل ١٨ مليون نسمة عما كانت عليه في الحرب العالمية الثانية • كما قدر سكان مدينة طوكيو (العاصمة) في السنة الماضية بحوالى ٨ر٥٤٣ر٩٩٣ نسمة ، وقد احتفلت هذه المدينة عام ١٩٥٦ م بميلاد تأسيسها الخمسمائة•

وتعد اليابان خامس دولة بنسبة السكان في العالم ، تأتى بعد الصين والهند والاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة •

وفي اليابان ثلاث ديانات هى : الشنتوية والبوذية والمسيحية •
أما الشنتوية فانها مجرد مجموعة من الطقوس قامت محليا ولا يمكن اعتبارها دينا ، بالمعنى الصحيح •

أما البوذية فقد دخلت من الهند عن طريق الصين وكوريا حوالى منتصف القرن السادس للميلاد •

وقد وصلت المسيحية الى اليابان عام ١٩٤٩ م ولكن الشعب اليابانى منع من اعتناقها خلال المئتين والخمسين سنة الماضية ، عندما قطعت اليابان علاقاتها وصلاتها مع العالم الخارجى حتى منتصف القرن التاسع عشر

ويعتبر البعض تعاليم كنفوشيوس ديانة مستقلة ، ولكنها في الحقيقة ليست سوى مجموعة مبادىء دخلت اليابان في مطلع القرن السادس الميلادى •

ولقد كانت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية فرصة سانحة للدعاة المخلصين الذين كانوا – ولا يزالون – يجوبون آفـــاق اليابان قادمين من الباكستان المسلمة لاداء واجبهم تجاه نشر الدين الاسلامى في تلك الاصقاع ولاشاعة الرسالة التى جاء بها محمد عليه صلوات الله وسلامه .

وكان الفضل الاكبر لتلك الفئة الواعية التى اتخـــذت لهـــا مركزا اسلاميا في مدينة طوكيـــو تشرف منــه عـــلى تعريف اليـــابانيين بهذه الرسالة السماوية .

وكما أن الاسلام قد بدأ يشيع وينتشر في كوريا الجنوبية ، أصبـــح اليوم يكاد ينتشر أكثر فأكثر في اليـــابان وخصوصا من أصحاب الطبقة المثقفة التى أصبحت تقرأ هذه التعـــاليم عن وعى وادراك ، ومع أن هذه الجهود كانت – ولا تزال – حتى اليوم فردية محضة الا أنها أتت أكلهـــا ودخل الالوف من الشباب المتعلم من الجنسين في دين الاسلام ، نتيجـــة لهـــذه الجهود التى يبذلها الاخـــوة الخمســة الذين يقومون برعايـــة المركز الاسلامى في اليابان .

اننا نأمل أن ينال هذا المركز الاسلامى كل الرعاية من المسلمين عامة ليتمكن من أداء واجبه الاسلامى على خير ما نريد .

ان بلادنا كانت ولا تزال منبع الرسالة ومهبط الوحى ، وكل هذا يجعل من الواجب علينا أن ننظر الى هذا المركز الاسلامى على أنه وســـيلة من وسائل الخير الذى ندعو اليه فنعمل على دعمه .

وما أظنه سيغيب عن أذهاننا ذلك ، وواجبنا أن نعمل على نشر هذا الدين الذى وهب للعالم الخير وأشاع فيه المحبة وأقام به العدل .

أما والاسلام قد أشرقت شمسه في بلاد الشمس المشرقة بفضل الله ثم بفضل هذه الفئة الصالحة المؤمنة فان واجب بلادنا المقدسة أن تعين أفرادها وتكثر من الدعاة الذين سيجدون في اليابان ترحابا بهذا الدين الذى يحرس كل مجتمع من الانهيار ؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)

الاسلام في ألمانيا

هذه الثورات التى نشهدها في العالم العربى ، ثورات تنتسب الى غير الجنس العربى والى غير العقيدة الاسلامية ، بل هى ثورات ذات مبادىء مستوردة ، وأصبح الاسلام غريبا في دياره ، محاربا في بلدانه ، والاصوات الفردية التى تنطلق من الدعاة المصلحين ذات أثر ضعيف ، الا أن الاسلام لن يصرعه هؤلاء الثائرون ، وما شاد الدين أحدا الا غلبه ٠

واذا كان الاسلام مضطهدا من زعماء يتسمون بأسماء أهله فان مما يبشر بخير نشاطه في البلدان الاسلامية ، وزحفه المقدس الى الامم المتحضرة في أوروبا وأمريكا وآسيا ٠

وزحف الاسلام الى ألمانيا ، ففى كثير من مدنها مسلمون ألمان ، آمنوا بعد دراسة وتأمل وبحث ، وأسلموا عن فهم وادراك ونقد وتمحيص ، انه ايمان العلماء واسلام الفقهاء ٠

ففى ميونخ جالية اسلامية كبيرة نشطة مجتهدة ، وفي برلين مثلها ٠

والالمان معجبون بالاسلام لانه دين عزيمة وعمل وبناء ، دين معبد وسوق وعبادة وتجارة ، وتدور مناقشات وبحوث علمية بعيدة عن الهوى بين المسلمين وغير المسلمين في جو تسوده الاخوة الانسانية والحق والانصاف والعدل ٠

وحكومة ألمانيا الغربية لا تعادى الاسلام ، لانها لم تجد من أهله الا الاستقامة والفضيلة والخلق الفاضل ٠ والدوائر العلمية نفسها ترحب بالمناقشات العلمية الخالصة رغبة في العلم والفهم ٠

وفي « روتنبرغ » دارت مناقشات علمية بين بعض الطلبة السعوديين وبعض الطلبة وأساتذة الجامعة من الالمان ، وثارت شبهات حول الاسلام منها :

١ ـ تعدد الزوجات ٠
٢ ـ الطلاق ٠
٣ ـ الرق ٠

وأجاب الطلبة السعوديون أجوبة لم تكشف الشبهة ولم تزل
ها بالنفوس ، فكتبوا الى جريدة عكاظ ـ وكان ذلك منذ سنة ـ كتبوا الى
يطلبون أن أبدى لهم رأيي في هذه الشبهات ، في رسالة مطولة • وفي
اجتماع علمي ألقيت رسالتي فكشفت تلك الشبهات كشفا أزال كل آثارها
من نفوسهم واقتنعوا بآرائي ، وأدركوا أن الاسلام دين يقظ ، يحسب
للضرورات حسابها مما يدل على كماله وتمامه •

والاسلام في ألمانيا الغربية يبشر بخير ، ولكنه في حاجة الى مزيد من
الرعاية والبذل والسخاء •

وقد كتب لنا مندوب عكاظ بألمانيا قائلا : في شهر أغسطس منذ
عامين اجتمع عديد من شباب البلدان العربية والاسلامية في ألمانيا وفكروا
في القيام بعمل اسلامي يزيد في ترابطهم وأخوتهم وبنشر دعاوة صحيحة عن
الاسلام ، فكونوا « اتحاد الشبيبة الاسلامية » ووضعوا له نظاما •

وفي خلال بضعة الشهور الاولى من تكوين الاتحاد اشتهر أمره في
برلين الغربية بفضل الله ثم بفضل اخلاص أعضاء الاتحاد وجهودهم
العظيمة التي بذلوها ، والمساعدات الكبيرة التي قدمتها للاتحاد الجالية
الاسلامية ببرلين •

وفي بضعة شهور أصبح عدد أعضاء الاتحاد ثلاثمائة عضو ، ومعظمهم
من الطلاب والمتمرنين الصناعيين والتجار المقيمين ببرلين الغربية ، وهم من
مختلف الاجناس الاسلامية •

وان عشرين في المئة من أعضاء الاتحاد هم من المسلمين الالمان من
سكان برلين الغربية الذين اعتنقوا الاسلام عن فهم وايمان •

وللاتحاد صندوق من تبرعات الطلبة أنفسهم والمسلمين ، ومنه تقدم
المعونات المادية للطلاب ، كما يقوم الاتحاد بتقديم كافة المساعدات الادبية
لكل عربي ومسلم يهبطان برلين ، كما لا يبخل عن مساعدة المحتاج ماديا ،
ويقدم النصائح والتوجيهات ، ويطلع من يود الاطلاع على أوضاع هذه
المدينة ، كما يسهل للقادمين المحتاجين أسباب العيش والارتزاق الشريف •

ووفق الاتحاد أعظم توفيق الى اعطاء صورة صحيحة وجميلة للاسلام ،
وايجاد جو صالح للتفاهم والتقارب بين المسلمين والعالم المسيحي ، ومن
ذلك أن الاتحاد قام بعقد اجتماعات ناجحة جمعت بين المسلمين والمسيحيين

لمناقشات علمية في الاسلام ونظمه وأصوله وقواعده ، ودارت المناقشات الهادئة بينهم بعيدة عن التعصب والنزق ، فاطلع المسيحيون على حقيقة الاسلام وأباطيل خصومه ووقفوا على فلسفته ، واقتنعوا بما سمعوا •

ومن أعظم المناقشات التي نظمها الاتحاد كانت في موضوع خطير هو : « هل الاسلام عامل تهديد لاوروبا ؟ » وكان الجواب الذى انتهت المناقشة اليه أن الاسلام دين سلام ، فهو عامل سلام لاوروبا وللعالم كله ، وأن الاسلام يبنى أفضل المجتمعات وأرقاها ، ويضع خير النظم والتشريعات التى تكفل للفرد حياة آمنة صالحة ، وللمجتمع التماسك ، وتحرسه من التفكك والانحلال •

ولم يكن كل هذا خيالا جميلا ينبثق عن وجدان شاعر حالم ، بل كان حقيقة ثابتة •

ومما يذكر بالثناء العطر لسلطات برلين الغربية تقديمها كل المساعدات الممكنة لمنظمة « اتحاد الشبيبة الاسلامية » وتضع تحت تصرفها وأمرها الاماكن التى تطلبها لبذل نشاطها الدينى والثقافي ، وتشجعها على عقد الاجتماعات لالقاء محاضرات في بيان حقيقة الاسلام مجردا عن الاوهام والخرافات •

وفي برلين مسجد يعتبر أجمل مسجد في ألمانيا من ناحية هندسته الرائعة ، الا أنه ملك الطائفة الاحمدية (القاديانية) وهذا ما جعل المسلمين من ألمان وعرب وغير عرب وألمان ينصرفون عنه ولا يؤمونه ، حتى أصبح هذا المسجد مقصورا على هذه الطائفة •

وعلمت سلطات برلين الغربية بهذه الحقيقة فخصصت بلديتها « ابهاء » خاصة لاقامة الصلاة الى أن يتم انشاء مسجد جديد •

ويبذل «الاتحاد» جهودا جبارة لجمع المال حتى تقوم بانشاء المسجد •

ويجتمع أعضاء الاتحاد مرتين في الاسبوع مساء ، لاستعراض أحوال المسلمين عامة ومسلمى المانيا وبرلين خاصة ، وتعرض في هذه الاجتماعات الآراء والمقترحات التى ترفع من شأن المسلمين وتصلح أحوالهم •

وتدور المناقشات باللغة العربية تارة وبالالمانية تارة أخرى ، ويحضرها عديد من الالمان غير المسلمين ليستمعوا الى هذه المناقشات التى يطربون لها ، وكلما مر أسبوع يكثر عدد المستمعين •

وانضم الاتحاد ـ أخـــيرا ـ الى « مجلس الجـــاليات والجمعـيات الاسلامية » بألمانيا التى تنتمى اليها تسع منظمات اسلامية .

ويحس المسلمون الالمان بسعادة من اعتناقهم دين الاسلام الذى بحثوه فوجدوه دينـا انسـانيا عالميا ، دينـا يضمن للحيـاة والانسانية وللعالم السعادة والخير ، ويقومون بالدعاوة له ، وعرضه على الناس ، حتى جعلوا للاسلام اسما محببا الى النفوس .

نجد هذا في الديار الغريبة عن الاسلام ، في الديار المناوئة له ، في ديار الغرب ، في حين أن الدول الاسلامية العربية أخذت تتجهم للاســلام وتتنكر له لان الزعماء الذين يتولون الحكم يجهلون حقيقة الاسلام ويحبون مذاهب أخرى بينها مذهب الهدم والتخريب .

ولكن الله عز وجـــل حافظ الاســـلام لانه دينه الحق ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ؟

نشرت بجريدة عكاظ سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

* * *

الاسلام في الارجنتين

فى الوقت الذى ينصرف فيه كثير من زعماء العرب وأدبائه وعلمائه وكثير من الناس عن الاسلام جهلا وحقدا وعمى نجد الاسلام بخير في البلدان الغريبة التى ينزلها ، في بلدان أكثر تقدما من العالم العربى ٠

وهذا بشير خير حتى يرى هؤلاء المارقون في شرقنا العربى المسلم عظمة الاسلام وانسانيته وانه دين الانسانية الخالد حقا وواقعا لا خيالا ووهما ٠

بل نجد الاسلام ينتشر في كل مكان في آسيا وأوروبا وأمريكا ، بل في الدول الشيوعية كروسيا ويوغوسلافيا نجد الاسلام يثبت في القلوب وفي جوارح المسلم ، ويمتد طولا وعرضا ، وينتشر مع الحرب الضروس القاسية التى تعلنانها عليه ٠

قتل بالجملة ، وتربية للنشء الاسلامى على الشيوعية ، ومع هذا نجد هؤلاء كموسى الذى تربى في حجر فرعون يحاربون أول ما يحاربون الشيوعية ويثبتهم الله على دينه ٠

اننا نحن نضيع الاسلام في الوقت الذى يحفظه لنا الابعدون ، وواجبنا الدينى والتاريخى والاجتماعى ، بل واجبنا الذى يحتمه عليه وضعنا وسكننا ووطننا يقوم به من ليسوا مسؤلين عن الاسلام مسؤليتنا ٠

ان في العالم حركات اسلامية نشطة مخلصة عاملة مجاهدة يقوم بها أفراد لا يجدون عونا يذكر من أغنياء المسلمين المنصرفين عن تأييد الاسلام ولا من الحكومات الاسلامية ٠

ولو علم الله فيهم خيرا لدفعهم الى حب الاسلام وتأييده ونشره ، ولكنه علم حقيقتهم فصان دينه من قوم ليسوا أهلا لشرف المعونة والجهاد ، ولا يستحقون تكريم الله ثم الناس اياهم فأبعدهم الله عن هذا الشرف ٠

ففى الارجنتين دعوة الاسلام نشطة قوية ، والاسلام ينتشر بين أهلها من جميع الطبقات ، والمسلمون هناك نماذج رائعة ، وموضع الاجلال والتكريم لانهم يمتازون بصفات انسانية حميدة ٠

وفيها داعية اسلامى كبير هو الدكتـــور أحمد عبود ، بل هو أكبر داعية اسلامى في الارجنتين ، وسكنه بعاصمتها « بوينس ايرس » ، وأصله من لبنان ، غادرها الى الارجنتين سنة ١٩٣٠ م واســـتوطنها ورأى أن في وسعه أن يدعو الى الاسلام فوجد لدى الارجنتينيين قبولا له ورضا بـه ، كما وجد بها مسلمين حرم أبناؤهم من دراســـة الدين وفروضه ، فهاله الامر وأخذ يفكر في هذه الناشئة التى يخشى عليها أن تنصرف عن الاسلام لانهالا تجد مدارس اسلامية .

وصمم الدكتور عبود على تزويد الناشئة بعلوم اسلامية ففتح مدرسة حتى أصبح اليوم بالارجنتين أربع مدارس اسلامية كبيرة على أحدث طراز ، تدرس فيها علوم الاســـلام وعلوم اللغـة العربيـــة ، كما تدرس فيهـــا اللغـة الاســـبانية .

وآتت هذه المدارس أكلها ، وبارك الله فيها ، فأخرجت آلاف الطلبة المسلمين ، وكان منهم أئمة ودعاة يحملون أرفع الالقاب العلمية .

وأنشأ الدكتور عبود في سنة ١٩٤٠ م دارا من أكبر دور الطباعة في الارجنتين سماها « دار الطباعة العربية الارجنتينية » وأصدرت حتى الآن أكثر من ثلاثين كتابا باللغة العربية والاسبانية ، وكلها في دين الاســـلام والدعـــوة اليــــه .

وقد هدى الله على يد أحمد عبود وزملائه من الدعاة آلافا من أبناء الارجنتين الذين رأوا في الاسلام دين الانســـانية الخـالد واعتنقوه وهم يشعرون بالراحة النفسية والعقـــلية والعزة ، ومئات من هؤلاء المسلمين الجدد من كبـار رجـــال الفـكر والمحـــاماة والادب والفلســـفة والطب والعلوم المختلفـــة .

ومسلمو الارجنتين حريصون على أداء فرائض الاسلام كما أمر الله ، وكلهم داعية نشط قوى أمين ، لا يكتفى بأنه مسلم ، بل يخصص اجـــازته الاسبوعية والسنوية للدعوة الى الله في المساجد والقرى والاسواق ، وينفق من دخله من أجل الدعوة ، ونفقات مواصلاته على حسابه .

وانتشر دين الله في القرى النـائية حتى عـــلى قمم الجبـال ، ودوى القرآن في الحجرات بتلك الديار البعيدة دويا ، وأعجب الناس بهذا الدين الذى وجدوا فيه الفضيلة والخير والاخلاق والامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

واهتمت دار الطباعة العربية الارجنتينية بالقرآن الكريم فأصدرت منه عديدا من الطبعات بخط الحافظ عثمان المشهور ، وأصدرت منه طبعة فاخرة في ٦٤٤ صفحة على ورق صقيل مجلد تجليدا فخما بغلاف مذهب بهيج .

ومن الكتب التي طبعتها :

١ ـ كتاب معاني القرآن الكريم ، وهو ترجمة للقرآن خالية من التأويلات بقلم الدكتور أحمد عبود وكستيجانوس البرازيلي المسلم ، وصفحاته ٦٤٨ .

٢ ـ كتاب الحب والزواج والعدل بنص القرآن الكريم باللغة الاسبانية ، تأليف الاستاذ بشير علي .

٣ ـ كتاب آداب اللغة العربية وهو باللغة الاسبانية تأليف هوار ، وصفحاته ٦٣٠ .

٤ ـ كتاب كليلة ودمنة بالصور ، وصفحاته ٤٠٦ ، والترجمة بقلم الدكتور أحمد عبود .

٥ ـ قصة الملك الاحمر باللغة الاسبانية ، وهو سجل لفضائل العرب ومزاياهم وأخلاقهم في الاندلس ، وألفه الإستاذ لريوس .

٦ ـ القصص الاسلامية باللغة الاسبانية ، بالصور ، وهو من تأليف الاستاذ مانيقات .

٧ ـ القراءة العربية الصوتية المصورة ، باللغة العربية والاسبانية ، تأليف أحمد عبود، وهو جزآن وبالصور الملونة، لتعليم العربية بدون معلم.

٨ ـ المطبخ العربي باللغة الاسبانية تأليف الاستاذين سيف الدين رحال وأحمد عبود ، وفيه ٦٠٠ صنف من صنوف الاطعمة العربية ، وقوبل من ربات البيوت الارجنتينية بحفاوة ، وصار الكتاب المفضل لديهن .

٩ ـ محمد وتاريخ العرب ، تأليف الاستاذ أسعد بك .

١٠ ـ حضارة العرب ، لغوستاف لوبون .

١١ ـ أشعار العرب وفنونهم في اسبانيا وصقلية باللغة الاسبانية ، تأليف الإستاذ شباك .

١٢ ـ محمد والقرآن ، تأليف الاستاذ سافاري ، وهو بحث عظيم في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته وعظمته ونواحيه الانسانية وفي القرآن الكريم ، وانه لكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

١٣ ـ مدنية العرب للاستاذ محمد رشدي وهي دراسة ممتازة لمدنية العرب التي يعود اليها فضل تقدم الانسانية والعالم .

وهناك مؤلفات أخرى كثيرة ، وكلها تجد رواجا في الارجنتين •

والجالية العربية المسلمة في الارجنتين محل الاعجاب والتقدير من شعبها ، فهو يحترم المسلمين ويحرص على معاملتهم لانهم برهنوا على أنهم أكثر الناس أمانة وأعظمهم نبلا وصدقا في القول والعمل •

ويفضل الارجنتينى أن يعامل المسلمين على أبناء وطنه اذا كانوا غير مسلمين لانهم يتمتعون بسمعة نادرة المثال •

وهكذا كان المسلمون في الارجنتين النماذج الانسانية الممتازة ، سواء أكانوا من أصل عربى أم أرجنتينى أم من غيرهما •

والاسلام يزداد قوة وانتشارا في تلك الديار بفضل الله عز وجل ثم بفضل الدعاة الانسانيين النبلاء •

* * *

القرآن

أهو كـــلام محمد ؟

زعم بعض المستشرقين وتابعـــه من لا ذوق عنده أن القرآن كـلام محمد عليه صلوات الله وسلامه .

وأنا أنفي عن هؤلاء الزاعمـين الذوق الانســـانى لان نسق القرآن الكريم غير نسق الحديث الشريف حتى الحديث القدسى ، فللقرآن أسلوب استحالت محاكاته ، وفاجأ الفصحاء والبلغاء بأسلوبه الذى لم يسمعوه قط، فرأوا له نظاما غير نظام الشعر وغـير نظـام النثر ، وتذوقـوه بسلائقهم الصحيحة فاذا مذاقه غير مذاق كل كلام عربى فصيح وقالوا : انه لسحر !.

ان ما بين يدينا من أحاديث المصطفى ما يملأ أسفارا ، ونظامه غير نظام القرآن ، وأسلوبه غير أسلوبه ، حتى الجرس العام جديد يخـالف جرس الحـــديث الشريف .

ثم ان في القرآن سورة « تبت يدا أبى لهب » وهى : (تبت يدا أبى لهب وتب . ماأغنى عنه ماله وماكسب . سيصلى نارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . في جيدها حبل من مسد) ، وعرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم البر بأهله وذوى قرباه ، فهـل يرضى لعمـه أن تتناقل لعنه الاجيال جيلا بعد جيل في كل يوم وليلة اذا لم يكن القرآن كلام الله ؟!

ان محمدا صلوات الله وسلامه عليه لم يؤلف القرآن ، ولم يخترع الاسلام ، اذ لو كان كذلك لرضى بالملك والمال والسلطة عندما عرضها كفار قريش عليه ليرجع عن الدعوة الاسلامية ولكنه قال كلمته الخالدة : « والله ، لو وضعوا الشمس في يمينى والقمر في شمالى على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » .

فمحمد لم يكن طامعا في دنيا مهما عظم شأنها لانه رسول الله حقا ، اذ لو لم يكن كذلك لرضى بما عرض عليه .

انه لم يؤلف القرآن لان القرآن نفسه تحدى قائلا : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله » ، و « أم يقولون افتراه قل

فاتوا بسورة مثله » ، وما زال التحدى قائما دون أن يستطيع أحد أن يأتى بسورة مثل ما زعموا أن محمدا افتراه ، ومضت مئات السنين دون أن يأتى أحد بما يؤيد الزاعمين ٠

وان من يزعم ذلك يثبت فقدانه الذوق الانسانى السليم بعد أن بقى تحدى القرآن قائما ، ثم الفارق الكبير بين نظام القرآن والحديث ، وبينهما في الاسلوب والاداء ، بل بينه وبين كل كلام عربى بليغ ؟

نشرت بجريدة « عكاظ » سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

- - -

معارضة

القرآن الكريم

كنت أقرأ « الكامل في التاريخ » لابن الاثير فوجدت فيه في أخبار مسيلمة الذى ادعى النبوة خبر معارضته القرآن الكريم ، وأشارت كتب التاريخ والادب الى ذلك في غير موضع ، ولكن لى رأيا يغاير من يسلمون به لانني آبى قبول ما رضيه المؤرخون والكتاب في مسألة معارضة القرآن .

ان القرآن تحدى البلغاء فلم يؤثر عن أحد أنه عارضه أو فكر في معارضته مع وجود روايات تذكر المعارضة .

وما أشك أن في كتب التاريخ العربية الاسلامية كثيرا من التلفيقات والاباطيل وكثيرا من الروايات والحوادث التى لا يطمئن اليها العقل ولا يرضى عنها الباحث .

ففى « الكامل في التاريخ » ٢ : ٢٤١ و ٢٤٤ في قصة اجتماع سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية بمسيلمة : « قال : مالك ؟ قالت : أصدقني (أى أعطنى صداقى) قال : من مؤذنك ؟ قالت : شبث بن ربعى الرياحى . فدعاه وقال له : ناد في أصحابك أن مسليمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما جاءكم به محمد : صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة » و « كان يؤذن له ـ أى لمسيلمة ـ عبد الله بن النواحة والذى يقيم له حجير بن عمير » .

ولا يتفق ادعاء سجاح ومسيلمة النبوة والرسالة مع بقائهما على الأذان والاقامة والصلاة واعترافهما بفريضة الصلوات الخمس .

ولم أكتب هذه الكلمة لنقد كتب التاريخ بل وقفتها على بحث معارضة القرآن ورأيى فيما ورد منها في كتب التاريخ والادب .

قيل : ان مسيلمة وغيره عارضوا القرآن وذكروا أمثلة من هذه المعارضة ، وزعموا أن مسيلمة قال : « يا ضفدع يا بنت ضفدعين ♦ نقى ما تنقين ♦ أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ♦ لا الشارب تمنعين ♦ ولا الماء تكدرين » .

وقال مسيلمة : « ألم تر الى ربك كيف فعل بالحبلى • أخرج منها نسمة تسعى • بين صفاق وحشى » و « والمبديات زرعا • والحاصدات حصدا • والذاريات قمحا • والطاحنات طحنا • والخابزات خبزا • والثاردات ثردا • واللاقمات لقما • اهالة وسمنا • لقد فضلتم على اهل الوبر • وما سبقكم أهل المدر • ريفكم فامنعوه • والمعتر فآووه • والباغى فناوئوه » و « والفيل وما أدراك ما الفيل • له ذنب وبيل • وخرطوم طويل » و « والليل الدامس • والذئب الهامس • ما قطعت أسد من رطب ويابس » •

وكتب التاريخ والادب تسوق هذه الاقوال دون تمحيص أو نقد ، وتتسلمها كما تتسلم الحقائق الثابتة ، وما أظن ناقدا صاحب بصر بمواقع الكلم ومعرفة الاساليب يستطيع أن ينسب الى مسيلمة ما نسب اليه ، لأن أسلوب هذه الجمل السخيفة والتركيبات المهلهلة والمعانى الركيكة لا يتفق مع أسلوب ذلك العصر •

بل جاء في « البداية والنهاية » لابن كثير ٦ : ٣٢٦ : « وذكروا أشياء من هذه الخرافات التى يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون » والاشارة الى هذه الخرافات يقصد بها قرآن مسيلمة •

فاذا كان الصبيان يأنفون من قول مثل قرآن مسيلمة وهم يلعبون فما بال مسيلمة العربى الاصيل الخالص الذى يتنبأ بين أئمة الفصاحة والبلاغة في اليمامة ونجد يهبط في السخف والركة الى أسفل الدركات •

ان مسيلمة عربى عاش بين قوم بلغاء فصحاء ، ولا يعقل أن يأتى بقرآن يريد به معارضة القرآن الكريم فاذا هو كلام يأنف الصبيان قوله وهم يلعبون •

انني واثق أن أحدا لم يجرؤ على المعارضة ، ومسيلمة نفسه لم يعارضه ، فما نسب اليه من قرآنه كان غاية في الركاكة والسخف تنزه عنهما أدب الجاهلية وصدر الاسلام ، وأسلوبه ردىء دميم ليس من أساليب ذلك القرن ، والكلام نفسه حقير والمعانى رخيصة والأداء سخيف •

وأنا مطمئن الى أن بعض الظرفاء وضعوا هذه الجمل السخيفة ونسبوها الى مسيلمة نكاية به وتنكيلا ومبالغة في الانتقاص حتى جردوه من الذوق ، وتبع ذلك تجريد من كانوا معه من العرب الفصحاء من الذوق اذ يسمعون هذرا كهذا الهذر المقيت ويسكتون عليه •

وما أشك أن هؤلاء الظرفاء أرادوا التفكه به وبكل متنبىء فقولوهم ما لم يقولوا وما لا يتفق مع أســـاليب عصرهم الذى كـــانوا فيه ، حتى القصص والنوادر الكثيرة عن المتنبئين تثبت أن هناك من وضعوها للتفكه والازراء والانتقـــاص .

ومن هذه الفكاهات ما ذكروا من صداق سجاح وزعمهم أن مسيلمة جعل مهرها وضع صلاتين من الصلوات الخمس كأن مسيلمة وسجاح كانا يدينان بالاسلام ويؤديان الصلوات الخمس المفروضة على محمد صلى الله عليه وســـلم وأتبـــاعه من المســـلمين .

وانتهى من كل ذلك الى أن ما نســـب الى المتنبئـــين من معـــارضات القرآن غير صحيـــح ، ويجب ألا نأخـــذ الفـــكاهات والنوادر مـــأخذ الحقائق في البحوث العلمية ؟

نشرت بجريدة « المدينة المنورة » في سنة ١٣٨٤ هـ .

* * *

قصص القرآن

عنى المسلمون أكبر العـــناية بالقرآن الكريم ، فكل علـــوم العرب اللسانية وغيرها مما ابتدىء به في عصر الاسلام الاول من القرآن أو بسبب القرآن ، فالنحو والصرف والادب والشعر ورواية الشعر الجاهلي والاهتمام به ، والحديث والتفسير والمصطـلح واللغـــة وغـيرها من العلوم العربية ما كانت الا بسبب القرآن ، فهو منبثق العلوم والمعارف •

والعناية الكبيرة التي قام بها القدماء عناية ما لقيها كتاب مقدس الا في العصور الاخيرة بعـد أن تقـــدم الغرب وأصبـح سـيدا وأمكنت لـــه الثروة والسيادة •

ولكن ما العناية التي بذلناها نحن أبناء هذا العصر ؟ ما الدراسات التي قمنا بها ؟ لا شيء يذكر باستثناء تفسير الامام سيد قطب وما كتبه العقاد من دراساته المبتـكرة في بعض كتبـــه وعـــلى الاخص كتـابه الفذ « الفلسفة القرآنية » وبعض ما كتبه طه حسين وعلماء باكستان والهند •

ولكن هذه العناية لم تكن لها الآثار الكبيرة المرجوة ، وهي لم تتجاوز الناحية النظرية ، وان كنت أرى فيما صنع سـيد والعقـاد عمـلا عظيما ذا أثر ممحود •

من أهم ما كان واجبـــا أن نقوم به في هذا العصر دراسات الآثـــار والقصص التي حفل بها القرآن ، فنحن نصدق بل نؤمن كل الايمان بكل حرف من كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ونعرف أن قصص عاد وثمود وارم ذات العـــماد وغيرها حقائق ثابتة لا شك فيها البتة ، ولكن يجب أن نلتمس مصادقها في الكشوف العلمية التي يفرض علينا القيام بها بعد أن سهل العصر الحديث كل الطرق التي تســـاعد على تلـــك الكشـــوف •

كان عمر وابن عباس رضي‌الله عنهم وغيرهم يلتمسون لكلمات القرآن مصادق من كلام الجاهليين ، ولنا فيهم أسوة ، فاذا قمنا بالكشوف العلمية التي تهدينا الى مصادق مادية لما في القرآن من الاماكن والامم البائدة وعرفنا

مواطنهم كان ذلك أبلغ رد على من ينكرون أن قصص القرآن حقائق ويزعمون أنها أساطير .

لقد زعم خلف الله في كتابه « القصص الفنى في القرآن » مزاعم باطلة، وكذب على الله ، وادعى أن قصص الانبياء والامم ليست حقائق بل مجرد قصص خيالية ، وزعم بعض المستشرقين وغير المستشرقين ما زعم خلف الله هذا .

وهؤلاء يجهلون الحقائق ، ويضاف الى جهلهم أنهم أصحاب هوى يحقدون على الاسلام .

ولعلهم يجهلون أن الكشوف العلمية أثبتت ما كان يظن الناس خرافة وأسطورة ، فقصص من هوميروس اليوناني في « الالياذة » لم تعد خيال شاعر واختراع قصاص ، بل حقيقة قائمة تشهد لها آثارها ، فقد كشف العلامة هنريك سليمان في تنقيبه آثار طروادة ، وآثار الملك مينوس ملك كريت الذى كانت شخصيته ـ كما ذكر الباحثون والمؤرخون ـ شخصية اسطورية ما يثبت أن لها وجودا في عالم الحقيقة .

فاذا كان ما ظنه الناس وهما قد أصبح حقيقة ، والاسطورة حادثة واقعية فان من الجهل أن يزعم زاعم جهول أن قصص القرآن أساطير .

وفي « التوراة » قصص مثل قصص القرآن ، وكان يزعم كثير ان قصص التوراة أساطير وأخيلة ، ولكن الاستاذ شارل مارستون أثبت في كتابه « التوراة حقيقة » أو « التوراة صادقة » أن ما كان يظنه الناس أسطورة ليس الا حقيقة .

فاذا كان ما جاء في التوراة وفي الالياذة من قصص وحوادث أصبح من الحقائق ، فان مما لا شك فيه علميا أن كل قصص القرآن حق ، وقيامنا بدراسات جديدة وكشوف علمية سينتهى بنا الى اثبات كل تلك القصص .

اننا نحن المسلمين في حاجة الى العناية بالقرآن عناية ذات لون جديد يتفق مع تقدم العلوم والبحوث العلمية ، ويجب أن ننهض بدراسة آثار مدين وارم ذات العماد وكل الاماكن التى ذكرها القرآن ، ودراسة قصص القرآن الثابتة ، كقصة يوسف وقصة موسى وقصة فرعون ، فالكشوف

التاريخية والعلمية والآثار تثبت أن هـــذه القصص التى ذكرها القرآن حق لا مريـــة فيـــه ٠

وبقى علينا أن ندرس ما يعد عندنا مفقود الآثار ، ونستعين العـلم الحديث في ازاحة الستار عن الحقـــائق التى يزعـم بعض الجاهلين أنهـا أساطير ، وما هى الا حقائق لا ينفيـها الجهل بهـــا أو ببعض الاماكن التى جرت فيهـــا الحوادث ٠

وهذا العمل يجب أن تشترك فيه الحـــكومات الاسلامية ، وهو لن يكلف كثيرا ولكنه سيفيدنا الى حد بعيد ؟

نشر بالمدينة المنورة سنة ١٣٧٨ هـ

* * *

تفسير القرآن الكريم

للاستاذ الكبير عباس محمود العقاد

لا أجد في العالم العربى والاسلامى أديبا كالعـــقاد في علمه النافع ، وثقـافته الواســعة ، تشـــمل علوما كثيرة ، فاذا تحـدث في الفقه الاسلامى شعرت أنك تجاه امام في الفقه ، وكذلك في كل علوم الدين •

والعقاد من المتفردين في الثقافة والعلم والادب في العالم كله ، وكتابه عن « الله » سبحانه وتعالى يدل على أن العقاد أحاط بكل آراء الفلاســفة ومدارس الفلسفة والفرق الاسلامية ، وأعظم من هذا أن آراءه ترجح عـــلى آراء من ذكرهم ، ولو كان العقاد في غير محيطنا لكان له ذكر مرفوع وصوت مسموع وشأن كبير •

وكتب العقاد التى تجاوزت السبعين تدل على ثقافة واسعة ندر أن تتاح لانسان في هذه الارض • لقيت كثيرا من زعماء الادب وأساطين الفكر في العالم العربى ، كما لقيت كثيرا من مفكرى المسلمين وغير المسلمين فما وجدت للعقاد ضريبا في علمه وأدبه وثقافته •

عندما كنت أؤلف كتـــابى « الصحاح ومدارس المعجمات العربية » اتصلت بكل من ظننت أن لديه اثارة من علم في البحث الذى وقفت عليه كثيرا من جهدى ووقتى ، ولم أترك أحدا ممن توسمت فيه الخير الا قصدته وسألته ، فلم أجد لدى أحد ممن صمدت اليه ما يضيف الى علمى جديدا •

وبلغنى أن للعلامة الجليل الاستاذ على الســـباعى بحثا عظيما في « المعجمات العربية » فسألت عن مسكنه واهتديت اليه ، وشددت رحلى من القاهرة الى المعادى حيث يسكن الاستاذ الجليل وقابلته وقلت له : أنـــا طالب علم في مكة المكرمة ، وأخبرتـــه بمقصدى • فأجابنى : ان ما بلغنى حق ، وأن البحث أعده وانتهى منه ، وألقى نصفه محاضرة في دار العلوم ، وسيلقى النصف الآخر بعد مدة ، ثم يطبعه ، وفي وسعى حينئذ أن أجعل ما كتبه أحد مراجع بحثى •

وألححت في الرجاء ، فلم يفد ، وكتم عنى العلم ، وبخل على بالخبر ، وخيب ظنى فيه • ولكننى استدرجته حتى أعلمنى بأعظم نقاط البحث ، فلم أجد فيما ذكر لى ما يعيننى • وقلت له : ان هذه « معلومات » استدبرتها

منذ سنين ، ودفعت اليه بعملي ، وقلت له : اننى مستعد أن أنزل له عنه • فخجل الاستاذ الجليل واعتذر ، وأسفت على عبارتى التى أطلقتها في مجلسه ، ولكنه هو الذى دفعنى ـ عفا الله عنه وعنى ـ •

لم أجد لدى أحد ما أضيفه الى علمى بالمعجمات العربية ممن اشتهروا بالتبريز في هذا الميدان ، وكنت ذات صباح أتحدث مع الاستاذ العقاد ، فاذا أنا أمام بحر ، لقد وجدت علمى بجانبه في حقل المعجمات ضئيلا ، ويعلم الله أنى قلت لنفسى ثم لأئمة العلماء : ان العقاد يبدأ من حيث ينتهى أعظم العلماء والمفكرين ، ان العقاد موسوعة ضخمة كبيرة •

وما أنا بصدد البحث في علم العقاد وأدبه وثقافته ، فذلك مما لا تتسع له هذه الكلمة الصغيرة التى خصصتها لما يدل عليه العنوان •

ليس للعقاد تفسير للقرآن ، ولكنه منذ خمسين سنة كتب في « الفصول » مقالا رائعا عن التصوير الفنى فيه استدل عليه بقوله تعالى : « والصبح اذا تنفس » • ثم كتب العقاد « الفلسفة القرآنية » ، ثم كتب موضوعات جليلة استشهد فيها بآيات الله البينات ، واستنبط منها قواعد وأحكاما ما فطن لها غيره ، لان الفرق بين العقاد وغيره ممن ينحون نحوه أو يتفق معهم في هذا السبيل كبير في العبقرية والملكات واستيعاب الآداب والعلوم والفنون •

أشهد الله وأشهد له أننى لم أر في حياتى مثل العقاد في علمه على كثرة من رأيت •

كنت ذات مرة بمجلس الاستاذ العقاد وزاره مستشرق أمريكى يدرس التاريخ الاسلامى باحدى جامعاتها ، ودار بينهما حديث طويل تناول موضوعات اسلامية وقضايا فكرية ومشاكل أدبية ، واذا بهذا المستشرق يبدو أمام العقاد تلميذا صغيرا في أدب بلاده ، وظهر أن العقاد أكثر علما بالأدب الامريكى من هذا المستشرق •

العقاد عبقرى ما في ذلك شك ، وحسبه أنه سمق على الاساتيذ المختصين وفاقهم في علومهم التى تفرغوا لها • وما أجدنى معجبا بغيره ، وقد صدق أحد كتاب أخبار اليوم عندما سئل عما يريد أن يصحبه معه من الارض بشرط ألا يصحب الا شيئا واحدا ـ اذا قدر له أن يذهب في رحلة الى الكواكب قد لا يعود منها ـ أجاب : أريد أن أصطحب العقاد ، لاننى أجد عنده كل ما فقدت من المفكرين والمكتبات في الارض •

والعقاد في كتابه وخطابه سواء ••

ووقفت في خـلال أربع السنوات التى قضيتها دراكا في مصر علـى أعاجيب من العقاد في علمه وخلقه ، وعندمـا ألف كتابه « الشيوعية والانسانية » قـال أحـد الاقتصاديين الانكليز : « ان « المعلومـات » الاقتصادية التى ذكرها العقاد في كتابه هـذا لا تتـاح الا لاستاذ كبير يتفرغ لبحثه خمس عشرة سنة لا يشـغل نفسه بغيره ، أمـا الآراء فلا تجدها الا لعباقرة الاقتصاديين » •

ومعرفتى بعظمة العقاد العقلية جعلت عنـدى أمنية أدعو الله أن تتحقق ، وزاد من نفاسة هذه الامنية أن بعض شيوخ الازهر قبل ثلاثين سنة كانت له هذه الامنية نفسها ، ولو كان هذا الشيخ الجليل حيـا في أيامنا هذه لسعد كثيرا بأمنيته ، عندما يرى العقاد زاد ارباء احساسه واتساع آفاق عقله في حـاضره أكثر من ماضيه ، لان كـل يوم يمضى على مفخرة العقلية العربية والاسلامية « العقاد » يزداد سموقا واشراقا وعلما وفضلا •

وطلب الى العقاد أن يفسر كتاب الله من قبل بعض دور النشر ، فمنعه تدينه أن يقبل ، فلما حدثته أنا نفسى عن أمنيتى أجابنى : ان أمنيته هـو نفسه أن يتقرب الى الله بهذا العمل •

ولكن العقاد غير « موظف » ولا مورد له الا من قلمه ، وهو ينفق على بضع أسر ، ويساعد كثيرا من الناس ، ولا يستطيع أن يقطع عن أحد بره الذى عوده اياه ، فهو مسوق الى العمل لا من أجل نفسه ، بل من أجل من ألزم نفسه بالانفاق عليهم ، والتفرغ لكتاب الله سبحانه وتعـالى من قبله يمنعه عن كل عمل ، فهو ـ لهذا ـ لا يستطيع ، لان الحياة تجبره على أن يلتمس سبل الكسب الحلال الشريف ، وما له غير قلمه •

يحتاج العقاد الى سنتين يتفرغ فيهما للتفسير ، وينقطع عن التأليف والكتابة الا فيما يتفرغ له ، ونفقات العقاد الشهرية لا تقل عن ثلاثمائة جنيه ، فهو في حاجة الى سبعة آلاف جنيه مصرى ينفـقها في خلال هاتين السنتين على نفسه وعلى من يعول من الاسر ويساعد من الافراد •

ويعلم الله أننى لو كنت أملك هذا المال لتقربت الى الله به وقدمته للعقاد مكافأة رمزية تلقاء تفسيره للقرآن وخدمة كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهناك عشرات من دور النشر مستعدة لنشره عندما نقدم اليها تفسير القرآن الكريم للعقاد •

وقد حدثت الاستاذ عبد الوهاب آشي وكثيرا غيره من البارزين من رجالنا فوجدت السرور ينبثق من وجوههم وألسنتهم ، ورأيت الاستاذ الآشي عظيم الاهتمام لانه يعرف العقاد ويعرف عظمته وعبقريته في العلم والدين والادب والفلسفة •

وكان رأيي أن يكون الثواب العظيم من نصيب كل فرد في هذه البلاد التي أكرمها الله وشرفها بأن أنزل فيها قرآنه ، وما أحد أجدر من هذا الشعب بحراسة كتاب الله وخدمته ، وهو حرى أن ينهض الى هذا العمل المبرور •

والسبيل الى تحقيق ما نتمناه أن يدفع كل انسان ـ وعلى الاخص أهل مكة والمدينة ـ ما يستطيع ، ونجمع ما يدفعه المسلمون البررة في بلادنا وندفعه الى الاستاذ العقاد ونرجوه أن يقوم بالتفسير •

ونطلب الى صحافتنا المسلمة أن تنهض بهذا العبء وتجمع كل صحيفة من قرائها ما يسارعون به الى الخيرات ، ففي المدينة المنوره تقوم جريدة « المدينة المنورة » بهذه الدعوة الجليلة ، وفي مكة جريدة « الندوة » ، وفي جدة جريدة « البلاد » ، وأعتقد أن بلادنا خير بلاد ـ على الاطلاق ـ في مجال الطيبات والصالحات ، وأمتنا أكرم أمة على وجه الارض ، وهى لن تبخل في سبيل الله بما غلا •

ويعلم الله أننى نويت أن أقدم خمسين ألف ريال اذا أكرمنى الله وبعت بيتى الذى عرضته للبيع في هذه الايام ، لا أطلب الا وجه الله •

ويسعدنى أن أزف الى القراء : ان الاستاذ الجليل عبد الوهاب آشي استعد بدفع خمسمائة ريال عربى ـ دفعة أولى ـ ووعد أن يدفع أكثر عندما يشاء الله •

وأنا أضع بجانب مبلغ الاستاذ الآشي مبلغ خمسمائة ريال ، ويعلم الله أننى في أيامى هذه مقطوع الموارد ، ولو كنت أملك شيئا لضاعفت وأقرضت الله كثيرا • وهذا ما دفعنى الى عرض سكنى للبيع ، واذا يسر الله وبعته فسأدفع خمسين ألف ريال ان شاء الله •

وأهيب بأبناء وطنى ـ فقراء وأغنياء وحكاما ومحكومين ـ أن يسرعوا الى هذا العمل الجليل الذى يثيبهم عليه منزل القرآن وذو الفضل والاحسان ورازقهم ورازق كل انسان •

ولو كان العقاد نفسه ذا سعة لتطوع للتفسير ، ولكنه فقير ، ورصيده في البنك يسير ، لا يكفيه شـــهرا اذا وقف عن العمـل ، وهو اذ يرضى بمكافأتنا الرمزية صاحب فضل ، وانه لمقدور ومشكور ، والله يجزيه عن كتـــابه خير الجزاء ، وأدعـوه أن يوفقـنا للخـير ويجزل لنـا الثواب ، ويهدينـــا للصواب ؟

نشرت بجريدة « المدينة المنورة » سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م)

* * *

ولكن توفي العقـــاد ـ رحمه الله رحمة واسعة وغفر له ـ في شـــهر ذي القعدة سنة ١٣٨٣ هـ وتبدد الامل ، ونرجوه أن يعوضنا في العقاد خيرا ، وايمنح للاسلام بديلا عنـه يكون مثله أو أعظم منه حتى يحقق ذلـك الامـــل الجميـــل ·

* * *

مصحف

من مصــاحف عثـمان

كتبــت في عهـــد سيدنـا عثمان بن عفان رضى الله عنه مصاحف معدودات وجهها الى الامصار حتى يوحد المصاحف في مصحف ٠

وان عمل الخليفة العظيم عثمان أعظم عمل في الاسلام ، فلولاه لكفر الناس بعضهم بعضا ، ولاتهم كـل بلد غيره لا يقرأ في مصحفه ، كما اتهم الافراد بعضهم بعضا وهم صحابة أجلاء ٠

وفي زمن عثمان كانت مصاحف كثيرة، يغايـــر بعضها بعضا ، وكاد يفترق المسلمون بسبب القرآن ، كل فريق يزعم ان مصحفه هــو الحق ٠ وغيره ليس فيه كل الحق ، حتى ان ابا حذيفة ــ رضى الله عنه واثابه ــغادر دمشق الى المدينة المنورة وشكا الى عثمان اختلاف الناس في قراءة القــرآن واتهام بعضهم بعضا ٠

واذا رجع القارىء الى كتاب المصاحف والى بعض الكتب التى تبحث في القرآن وعلومه لرأى ما كان يصيب المســـلمين من أذى لو لم يقيض الله عثمان بن عفان رضى الله عنه ويجمع المصاحف في مصحف فرضـــه عــلى الناس جميعا ٠

ولكن أين تلك المصاحف الامهات التى كتبت في عهد سيدنا عثمان ؟

كان في المدينةالمنورة بمكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة الله الحسينى مصحف من تلك المصاحف ، وكان الشيخ ابراهيم الخربوطلى أمين المكتبة يزعم أنه ملكه وانه اشتراه ب ١٥٠٠ جنيه عثمانى ٠ ولكن لا وجود له في تركته ، وأعتقد أنه باعه، فقد كـان ــ غفر الله لـــه ــ يبيع ويتـــاجر في كتب المكتبة ٠

وهناك بعض مصاحف من عهد عثمان وعلى كرم الله وجهيهما ، ففى روسيا مصحف من عهد سيدنا عثمان في تركستان ، وقد نشرت جريدة « الاهرام » في عددهـــا الصادر يــوم ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٩ م خبرا وصورة ، أما الخبر فهو أن في تركستان مصحفا من عهد سيدنا عثمان رضى الله عنه ، والصورة تمثل بعض علماء تركستان ، وفي أيديهم هذا المصحف الشريف النادر ، يقلبون صفحاته ٠

ولو كنت غنيا لبذلت عشرات الالوف من الجنيهات للحصول على هذه النسخة الفريدة من القرآن الكريم ، والتى أعتقد أنها أقدم نسخة من بعد نسخة مكتبة شيخ الاسلام التى لا خبر عنها ونسخة افغانستان .

فقد نشرت جريدة « الاخبار » القاهرية بعددها الصادر في يوم الاثنين ٢٩ ذى الحجة سنة ١٣٧٧ تحت عنوان « مصحف سيدنا عثمان في السراى الكبرى بالجزيرة » كلمة جاء فيها :

«لا يزال معرض الفنون الشرقية في السراى الكبرى بالجزيرة مقصدا لهواة الفنون الذين سنحت لهم الفرصة لمشاهدة الآثار الفنية المتنوعة لدول الكتلة الافريقية الآسيوية التى كانت فنونها مجهولة من معظم المصريين .

« وكانت أولى الدول التى لبت دعوة وزارة التربية والتعليم للاشتراك في هذا المعرض هى افغانستان ، وعندما أفتتح السيد كمال الدين حسين هذا المعرض في ٢٨ يوليو الماضى بدأ بافتتاح الجناح الافغانى حيث كان في استقباله السيد صلاح الدين سلجوقى سفير أفغانستان في مصر وموظفو السفارة والوفد الافغانى الذى حضر من كابول لتنظيم هذا الجناح .

« وكان من أعضاء هذا الوفد الذى حضرخصيصا من افغانستان الاستاذ أحمد على كنراد رئيس الجمعية التاريخية في افغانستان ومدير المتحف الافغانى، والسيد عبد الرشيد عزيزى عضو الغرفة التجارية ، وهم يتولون شرح المعروضات للزائرين .

« وتتألف معروضات الجناح الافغانى من قسمين : الاول يضم قطعا أثرية نفيسة يرجع تاريخها الى مئات السنين ، والقسم الثانى يتألف من معروضات الفن الشعبى الحديث . وقد نقلت القطع الاثرية للمرة الاولى من متحف كابول .

ويرجع تاريخ بعضها الى ١٧ قرنا من الزمان ، وتدل على ازدهار الفن وسمو الذوق عند قدماء الافغانيين ، وتشمل مخطوطات قديمة من القرآن الكريم ، من بينها نسخة فريدة منه مكتوبة على رق الغزال بالخط الكوفي القديم ، ويعتبر الافغانيون هذه النسخة كنزا ثمينا يتوارثونه جيلا بعد جيل ، باعتبارها مصحف سيدنا عثمان بن عفان ، ومما يدل على ذلك طريقة الخط الكوفي التى كانت مستعملة في ذلك الزمان » .

واذا صح ما ذكرته جريدة « الاخبار » فان نسخة افغانستان تكون أقدم نسخة من القرآن في العالم .

وفي جامع الفسطاط بالقاهرة مصحف على قاعدة أبى الاسود الدؤلى وهى الشكل بالنقط قبل أن يبتكر الخليل بن أحمد الحركات .

وهذا المصحف من القرن الاول للهجرة ، فحبـــذا تصويره واقتناء مصورات منه وتزويد مكتباتنا بهـا لانه « وثيقة » تاريخية تفيدنا في كثير من العلوم والفنون ، كمـــا أن على حكومتنـا أن تصور نسـخة تركستان وافغانستان وتزين بها مكتباتنا العامة .

* * *

توحيد المصاحف

سألت نفسي : ما أعظم عمل قام في الاسلام ؟

ولأجيب بحثت في تاريخ الاسلام ومررت بما كان في السقيفة وولاية أبي بكر ، وحرب الردة ، وولاية عمر ، وغير ذلك من الاحداث الهـــامة ، وأدركت أن قيام سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بتوحيد المصاحف هو أعظم عمل قام في الاسلام بعد محمد عليه الصلاة والسلام ، انه أعظم عمل حتى الآن وحتى يرث الله الارض ومن عليها ٠

كان لأكابر الصحابة والتابعين مصاحف ، وكل مصحف يغاير الآخر، والقراءات اختلفت اختلافا لا يدخل في القراءات السبع ، ولو لم يوحـــد عثمان المصاحف لكفر المسلمون بعضهم بعضـــا ، ولكانت لديهم عشرات المصاحف والقراءات ٠

وما أشك أن جمع القرآن في عهد أبي بكر عمل عظيم الى أبعد حـد ، ولكن لا ننسى أن في الصحابة من كانوا يستظهرون القرآن كله ، مثل عثمان وعلى وابن مسعود وغيرهم ، ولولا جمع القرآن لخيف أن ينقص منه شيء ، ولكن الله الذى تكفل بحفظه في قوله : « انا نحن نزلنا الذكر وانا لـــه لحافظون » وفق لجمع القرآن في عهد أبي بكر بعد حروب الردة ٠

وهذا القرآن الكريم الذى جمع كان منه نسخ كثيرة يختلف بعضها عن بعض في بعض الآيات ، فمصحف عمر ابن الخطاب نفسه كان فيه خلاف في الفاتحة ، وهي : « صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغـير الضالين » بنصب غير في المرتين ٠

وفي سورة آل عمران : « ألم ٠ الله لا آله الا هو الحى القيام » ٠

وكذلك الامر بالنسبة لمصحف على كرم الله وجهه ، ومصحف أبى ابن كعب ، وعبد الله بن مسعود وابن عباس وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم أجمعين ٠

وهناك خلاف بين هذه المصاحف ومصاحف أمهات المؤمنين كمصحف عائشة وحفصة وأم سلمة ، وخلاف بين مصاحف كل من سبقوا ومصاحف

التابعين كمصحف عبيد بن عمير الليثى وعطاء بن أبى رباح وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير •

واذا قرأ قارىء في هذا الزمان مصحف عبد الله بن مسعود وعارضه بالمصحف العثماني الذى بين أيدينا لوجد بينهما خلافا كبيرا في عشرات المواضع •

ولو لم يوحد سيدنا عثمان المصاحف كلها في مصحف واحد لكفر المسلمون بعضهم بعضا شر تكفير ، فاذا كان قد حدث هذا في عهد عثمان فما كان يحدث في زماننا شر من ذلك أضعافا مضاعفة ، وان عثمان رضى الله عنه أحسن الرضا حفظ لنا القرآن بفضل الله فجزاه عن كتابه الكريم وعن المسلمين خيرا كثيرا •

وعندما رأى عمر بن الخطاب جمع المصحف مكتوبا ذعر بعض الناس، بل ذعر زيد بن ثابت حينما تحدث اليه عمر ثم أبو بكر وقال زيد : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!

ثم شرح الله صدر زيد بن ثابت لما شرح صدر أبى بكر وعمر ، وجمع القرآن كله •

يقول زيد بن ثابت : « وكانت الصحف التى جمعنا فيها القرآن عند أبى بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر » •

وكان هذا هو « المصحف الرسمى » ، ولكن الدولة لم تلزم الناس به، فكان لدى كل صحابى مصحف يقرأ فيه ويقرىء الناس عليه ، فكان الخلاف بين الامصار الاسلامية في قراءة القرآن ، حتى أن طلبة الكتاتيب كانوا يتقاتلون ، كل فريق يصوب مصحفه ويخطىء مصحف الآخر ، بل أن الكبار كانوا يتنازعون في « المصاحف » : عن انس ابن مالك الانصارى قال : « اجتمع لغزو أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق ، فتذاكروا القرآن فاختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة » •

وقال : « فركب حذيفة بن اليمان لما رأى من اختلافهم في القرآن الى عثمان فقال : ان الناس قد اختلفوا في القرآن حتى والله لاخشى أن يصيبهم ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف • ففزع عثمان لذلك فزعا شديدا

فأرسل الى حفصة فاستخرج الصحيفة التى كان أبو بكر أمر زيدا بجمعها فنسخ منها مصاحف فبعث بها الى الآفاق ، فلما كان مروان أمير المدينـة أرسل الى حفصة يسألها عن الصحف ليحرقهـا وخشى أن يخـــالف بعض الكتاب بعضا فمنعته اياه » •

قال ابن شـــهاب ـ الذى يروى عن انس بن مـالك الانصارى ـ : فحدثنى سالم بن عبد الله قال : فلـــما توفيت حفصة أرسل الى عبد الله بعزيمة ليرسلن بها ، فساعة رجعوا من جنازة حفصة أرسل بها عبد الله ابن عمر الى مروان ففشاها وحرقها مخافة أن يكون في شيء من ذلك اختلاف لما نسخ عثمان رحمة الله عليه » •

ولم يكن الخلاف في المصاحف بعيدا عن عثمان ، بل كان بين يديه ، وقد ذكر ذلك في خطبته اذ قال : « أنتم عندى تختلفون فيه فتلحنون فمن نأى عنى من الامصار أشد فيه اختــلافا وأشد لحنا ، اجتمعوا يا أصحــاب محمد واكتبوا للناس اماما » •

واختلف بعض الصحابة مع عثمان في رأيـــــه ، ومنهم عبد الله بن مسعود ، ولكن الاجماع كان مع عثمان ، وقد قال على بن أبى طالب :

« يا أيها الناس ، لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له الا خيرا في المصاحف واحراق المصاحف ، فوالله ، ما فعل الذى فعل في المصاحف الا عن مـلأ منا جميعا ، فقال : ما تقولون في هذه القراءة ؟ فقد بلغنى أن بعضهم يقول : ان قراءتى خير من قراءتك ، وهذا يكاد أن يكون كفرا • قلنا : فما ترى ؟ قال : نرى أن نجمع الناس على مصحف واحـــد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف • قلنا : فنعم ما رأيت ! قال : أى الناس أفصح ؟ وأى النـــاس أقرأ ؟ قالوا : أفصح الناس سعيد بن العاص وأقرؤهم زيـــد بن ثابت • فقال : ليكتب أحدهما ويلى الآخر • ففعلا، وجمع الناس على مصحف واحد• وقال على : « والله ، لو وليت لفعلت مثل الذى فعل » •

واذا رجع الانســـان الى الكتب المؤلفة في « المصـــاحف » لهاله الامر واستفظعه ، ففيها الخلاف الذى يزلزل العقيدة ، حتى أن بعض الســـور ـ مثل سورة والعصر تروى في مصحف ابن مسعود رواية تزيد آية ـ ليس مثل ما في المصحف الامام الذى نقرؤه •

ولولا أن الله وعد بحفظ القرآن وأنجزه بعمل عثمان لكنا اليوم في حال بئيس ، وهذا ما يجعلني أقول وأنا مطمئن : ان أعظم ما قام في الاسلام عمل عثمان الذى صان به أهله وكتابه ، وحفظ المسلمين من الزيغ والكفر؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

* * *

خط المصحف ورسمه

قرأت القرآن وختمته مئـــات المرات ، وكنت قـــد استظهرته حتى لا يغيب عنى حرف منه ، ووقفت على وجوه القراءات ، ثم أصيبت الذاكرة فنسيت وما أنسانى الا الشيطان ٠

وآتى اليوم لاقرأ القرآن بالنظر ، فـاذا التزمت شـــكله ورســـمه المشهودين غلطت حتى تردنى الســـليقة الى الصواب ، وما أكثر ما أسمع الخطأ فيه من الناس وغيرهم ممن يقرأون القرآن بالعين لا الحفظ ٠

٠ وسبب الخطأ أن رسم المصحف الشريف لا يتقيد بقواعد الاملاء ، بل رسم رسما خاصا قبل أن تكون للاملاء العربى قاعدة ، رسم المصحف عندما كان الخط العربى في مبدأ تاريخه لم يستقم له الامر ، شأنه شأن كل شيء في بدايتـــه ٠

ورسم المصحف العثمانى ـ نسبة الى سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه أحسن الرضا ـ ليس رسما عربيا خالصا ، وليس رســما اســـلاميا محضا ، فالخط العربى مقتبس من غيره ٠

وفي رسم المصحف العثمانى بعض رسم الخط السريانى ، مثل حذف حرف المد ان كان الفا في وســط الكلمة مثل « العالمـــين » ترســـم هكذا « العـــلمين » ٠

وكان المصحف العثمانى خلوا من النقط والشـكل وعلامات الترقيم وكـل علامـــات اصطـلاح التجـويد ممـــا أدى الى اللحن والخـــطأ في القراءة ، كما حمل بعض ذوى المذاهب كالمعتزلة على تفســير بعض الآيات تفسيرا لا يتفق مع السياق ، واوقعهم فيه خلو المصحف من علامات الترقيم وعلى سبيل المثال أذكر هذه الآية : « الرحمن على العرش اســتوى له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى » ٠

هذه الآية يقرؤها المعتزلة هكذا « الرحمن على العرش » ثم يقرأون : « استوى له مافي السماوات وما في الارض » الآية ٠

ويجعلون فاعل « استوى » هو « ما » لا الضمير المستتر العائد على الرحمان ، وبذلك يتسنى لهم التأويل الذى يقصدونه •

واوقعهم في هذا الزيغ عدم وجود فواصل بين الآيات ، وخلو المصحف من علامات الترقيم •

اما رسم المصحف الذى يخالف قواعد الضبط والاملاء فكثير ،منها قوله تعالى : « جاؤا بالبينات » و « الحمد لله رب العلمين » و « تتقوا منهم تقية » و « كتب انزل اليك » و « واتبع هويه » •

وقواعد الامـلاء والضبط تحتم كتابة هذه الآيات هكذا : « جاءوا بالبينات » و « والحمد لله رب العالمين » و « تتقوا منهم تقاة » و « كتاب أنزل اليك » و « اتبع هواه » •

وروى الامـام ابن جنى أنـه رأى في بعض المصـاحف في عصره « يستهزئون » مرسومة هكذا : « يستهزأون » و « وان من شىء الا يسبح بحمده » هكذا : « وان من شيأ الا يسبح بحمده » •

ومصحف سيدنا عثمان والمصاحف التى كتبت حتى أواخر أيام أبى الاسود الدؤلى كانت خالية من النقط والشكل ، ويقال : ان أول من شكل المصحف أبو الاسود ، وكانت النقطة على أول الحرف تعتبر فتحة ، وعلى آخره ضمة ، وتحت أوله كسرة ، ثم تطور الشكل على يد امام العربيـة الخليل بن أحمد الفراهيـدى المتـوفي سنة ١٧٠ هـ حتى أصبح كما نرى ونعرف ، الفتحة خط صغير فوق الحرف ، والكسرة خط صغير تحتـه ، والضمة واو فوقه ، والتنوين زيادة المثل ، والخليل نفسه هو الذى وضع علامة الهمز والتشديد وغيرهما •

ثم جاء علماء التجويد والضبط والقراءات وغيرهم ووضعوا في القرآن علامات ابتكروها مثل علامـات الوقـف والوصـل والسـجدة والروم والاشـمام والمـد •

وكل هذالم يجىء في مصحف سيدنا عثـمان ، ولكن أضيف عندما كانت الحاجة اليه شديدة لحراسة كتاب الله من أن يتقحمه خطأ غير مقصود •

حتى الخط نفسه مختلف كل الاختـلاف عن قاعـدة خـط مصحف سيدنا عثمان ، فالخط العربى المسـمى « النسخ » لم يكن معروفـا في عهد الخلفاء الراشدين •

وهذا يدل على أن رســـم المصحف لم يكن توقيـــفا البتـة بل كان اصطلاحـا من صنع البشر ، والاصطلاح يجوز عليه التغيير والتبديل ، أما التوقيف فلا ، لانـــه منزل من الله ، وخـط مصحف عثـــمان لـم ينزل من الله عز وجل .

وما دام الخط الذى كان بمصحف سـيدنا عثمان قد تغير بحيث أن النـاس لا يسـتطيعون الآن قراءته الا واحـــدا في كـــل مئة ألف يقرؤه جاهدا في عسر شديد .

وما دام العلماء قد أضافوا الى المصحـف الشـــكل والنقط وسائر العلامات فانني أرى أن العناية بالمصحف تقتضينا أن نكتبه كتابة تتمشى مع قواعد الضبط والاملاء التى عرفها المسلمون في القرن الاول والثانى .

ومصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه ، وكل المصاحف التى كتبت حتى أواخر عهد أبى الاسود الدؤلى كانت خالية من النقط والشكل وكـل العلامات التى نشهدها في مصاحف هذه الايام وفي المصاحف المخطوطة منذ منتصف القرن الرابع الهجرى حتى الآن .

ولولا النقط والشكل لاصبحت قراءتنا القرآن مليئة بالغلط واللحن ، ولكنهما حرساه من أن يقع فيه لحن ، ومع هـذا ما يزال في خط المصحف الـذى يختـلف في بعض المواضـــع عـن قواعـــد الامـــلاء التى نعرفهـا مجال لان نغلط فيه .

وأساتذة المدارس في العالم العربى كله يلقون مصاعب جمة في اقراء القرآن للطلبة لاختلاف خط المصاحف التى بأيديهم مع قواعد الاملاء التى تعلموها ، ويحملهم هذا الاختلاف الى الغلط في قراءة القرآن واللحن فيه .

وان أساتذتهم يجهدون أنفسهم ومع هذا لا تسلم ألسنة التلامذة من الغـلط الفـــاحش المعـيب لانهـم يحفـظون القرآن ويسـتذكرونه وهم بعيدون عن معلميهم .

وعقلية التلامذة لا تتسع لادراك اصطلاحات رسم المصحف الـــذى يختلف عن قواعد الضبط التى عرفوها .

واذا كان انسان مثلى أخذ القرآن كله تلقينا ثم استظهره ومع هذا يقع في الغلط اذا مشى على رســـم المصحف الذى يختلف عما يعرفه مـن

قواعد الخط والاملاء ، فكيف بهؤلاء التلامذة الذين يعتمدون على أنفسهم في حفظ القرآن وتلاوته ، ثم يعرضون على أساتيذهم فيصححون لهم غلطهم ؟

وعصرنا اليوم مختلف عن العصور السابقة ، بل تختلف هذه الايام عن أيامنا ، فنحن كنا نفتتح حياتنا بحفظ القرآن كله وختمه عديدا من المرات ، ثم ننتقل الى العلوم الاخرى التى كان في بعضها خدمة للقرآن مثل التجويد ، أمـا في هذه الايام فالقرآن نصيبه مثل أنصبة العلوم الاخرى ان لم يكن أقلها •

كنا في أيامنا لا نبدأ أى علم الا بعد أن نحفظ القرآن ونجوده ، أمـا في هذه الايام فيدرس مثل سائر العلوم وحصصه أقل ، وزمنه محدود ، ويحفظه التلامذة من المصحف ، ولا يأخذونه مثلـنا تلقينا ، وحصته دقائق معدودة ، لا تكفى للمراجعة والتثبيت •

فاذا كانت الحصة خمسين دقيقة ، وكان في الفصل ثلاثون تلميذا ، كان نصيب الواحد منهم دقيقة وبعض دقيقة ، وهذا الزمن لا يعطى فرصة للمراجعة والتثبيت •

والتلمـــيذ لا يســـتطيع أن يدرس مواضـع الاختـــلاف بين خط المصحف والكتب •

وكل هذا يدفعه الى الغلط •

وما دام أن خط المصاحف يختلف كـــل الاختـــلاف عن قاعدة خط مصحف سيدنا عثمان ، ورسمه الحاضر يختلف كل الاختلاف عن رســـم المصاحف العثمانية ، والخط ليس توقيفا بل هو اصطلاح فان النظر الى قواعد الاملاء في خط المصاحف التى بين أيدينا وأيدى تلامذتنا يصبح ضرورة لا بد منها رغبة في عصمة الالسن من الزلل ؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

خط المصحف ورسمه

(٢)

خط المصحف الشريف في عصر الرسـول صـلى الله عليـه وسلم ، ورسمه أيام سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وأسكنه الجنة وأثـابه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ، أكانا توقيفا أم اصطلاحا ؟!

التوقيف : ما جاء عن الله ، والاصطلاح : ما وضعه البشر ، فهل خط المصحف ورســمه جـاءا عـن الله ولا مجـال لاصلاحهمـا أو اضافة جـديدة اليهــما ؟!

ان خط المصحف لم يكن وليدا عربيـا ولا اسلاميا ، بل أخذناه عن أمم أخرى ، ثم تطور ما أخذناه حتى اكتسب الشخصية العربية ، وخط « النسخ » الذى يكتب به المصحف في هذه الايام ليس خطا عربيا أصيلا ، مثله مثل خط المصـحف في عهـد الرسـول صـلى الله علـيه وسـلم والمصاحف الامهـات ٠

ولم يكن أهـل الحجـاز الألى نزل في ديـارهم القرآن الكريم ممن يعرفون الكتابة والقراءة الا قبيـل الاسـلام بزمن يسـير ، ولم يكن خطهم ابتكارا وابتداء ، بل كان خطا غير عربى أخذوه عن أمم أخرى ٠

والذين كتبوا من أهل الحجاز كتبوا بحرف تفرع عن الخط النبطى والسريانى والعبرانى ، وهذا قبل الاسلام ، أما بعد الاسلام فلم يبق الا النبطى والسريانى ، أما العبرانى فقد قضى عليه لان اليهود كانوا أعـدى أعداء الاسلام ، وكان المسلمون حريصين على البعـد عن اليهود وعاداتهم وتقاليدهم وخطـهم ٠

والخط النبطى أخذه عرب الحجاز من أهل حوران بالشام أثنـاء تجارتهم ورحلاتهم الى تلك الديار ، وبقى هذا الخط في الحجاز الى ما بعد الاسلام ، حيث استعمل في كتابة الرسائل ، وتفرغ عنه خط النسخ الذى بلغ مرتبة عليا على يد ابن مقلة ٠

أما الخط السريانى فموضعه العراق ، وهو أنواع ، منها : الخـط « الاسترنجيـلى » ويذهب بعضـهم الى أنه سـمى ذلـك لان معناه « خط الانجيل » ، ويذهب آخرون الى أن معناه : « الخط المستدير » ٠

ويقال : ان الخط السريانى أثر في جميع الخطوط العربية ٠

ومما لا شك فيه أن الخط النبطى والخط السريانى كانا هما الخطين المستعملين في الحجاز ، وعندما كان كتاب الوحى يكتبونه كان خطهم هو الخط الكوفي الذى كان اسمه الخط الحيرى ـ نسبة الى الحيرة ـ وكتب المصحف بالخط الحيرى أو الكوفي ، وسمى الكوفي بعد بناء الكوفة نسبة اليها لانها في الحيرة ، وآثروا النسبة الى بلد اسلامى ، فذكروا الكوفة وأغفلوا الحيرة ٠

فمصحف سيدنا عثمان ـ ومصاحف الصحابة وأمهات المؤمنين ـ بالخط الكوفي الذى هو خط سريانى في أساسه ٠

وجاء في كتاب « المصاحف » لابن أبى داود ص ٤ : « سفيان عن مجالد عن الشعبى قال : سألت المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل الحيرة ٠ وسألنا أهل الحيرة : من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل الانبار » ٠

فما دامت الحاجة اضطرت المسلمين الى أن يكتبوا بخط ليس عربيا أصيلا ، بل هو خط سريانى ، لانه لم يكن للعرب خط خاص بهم ، ولم يكونوا جامدين متعصبين فكتبوا بالخط السريانى الذى تعلموه ، ولم يعارض النبى صلى الله عليه وسلم ، مما يدل على أن الاستعانة بما عند غير المسلمين للحاجة اليه حلال ، بل يستحيل واجبا وركنا وفرضا بحسب الحاجة والظروف ٠

بل ان الصحابة فعلوا أشياء لم يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم، مثل جمع القرآن ، قال زيد بن ثابت : قال أبو بكر : انك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك ، كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتبع القرآن واجمعه ٠

قال زيد : فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن ٠

قال زيد : فقلت له (أى لابى بكر) : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : هو ـ والله ـ خير !٠

قال : فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى انشرح صدرى للذى شرح به صدر أبى بكر وعمر » ٠

فليس محجورا على المسلم أن يفعل ما لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ما دام فيه خير ونفع ، بل أبيح للمسلم أن يأخذ مما عند الكافرين والوثنيين اذا كان فيه نفع للاسلام والمسلمين ٠

فالمصحف العثمانى كتب بخط غير عربى أصيل ، وليس من ابتكار العرب أو المسلمين ، بل بخط حيرى سريانى هو الخط الكوفي ٠

ومصحفنا ـ اليوم ـ الذى نكتب في صفحته الاولى : « موافق لرسم مصحف سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه » ليس موافقا لمصحف عثمان ٠

فالخط الحديث ليس خط مصحف عثمان ، لان خطه كوفي ، ومصاحفنا مكتوبة بخط النسخ المتفرع من خط النبط ، بعد أن تطور وبلغ مرتبته العالية على يد ابن مقلة الخطاط الشهير المتوفي سنة ٣٢٨ هـ ٠

فاذا كنا حريصين على مصحف سيدنا عثمان فيجب أن يكتب بخط زمانه ، واذا كتب بذلك الخط القديم فلا يحسن قراءته في العالم العربى أحد دون أن أستثنى أحدا الا الحفظة الألى يستظهرونه غيبا ، ونحن بصدد قراءة خط المصحف لا قراءته من الذاكرة ٠
هذه واحدة ٠

ولم يكن مصحف عثمان منقوطا ، بل كان مهملا خاليا من النقط ، مما تعسرت معه قراءة القرآن وتعذرت ، بل أدى خلوه من الحركة الى خطأ شنيع تنزلق به الالسنة ، ومن ذلك ان قارئا قرأ : « ان الله برىء من المشركين ورسوله » بجر رسوله ، و « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا » بفتح تاء « تنكحوا » وهو خطأ شنيع كل الشناعة لان التاء مضمومة ، وفتحها اذا قال به مسلم وأعتقده كفر بالله وبما أنزل على رسوله كفرا شنيعا بشعا ٠

ولم يضبط القرآن في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في زمن الخلفاء الراشدين ، وأول ضبط وقع على يد أبى الاسود الدؤلى المتوفي سنة ٦٩ هـ ، فهو أول من ابتكر الحركات في اللغة العربية ٠

ولم تكن الحركات التى ابتـــكرها أبو الاســـود مثل الحركات التى نعرفها الآن ، بل كانت نقطا ، فالنقطة على أول الحرف فتحة ، وعلى آخره ضمة ، وتحت أوله كسرة ، وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة مصحف وجـد بجامع عمرو بن العــاص في الفســطاط ، وهــو مضبوط بالحركـات التى ابتكرها أبو الاسود الدؤلى ، وهو من أقدم المصاحف المخطوطة في العالم ٠

ويقــال : ان أبا الاســود أخــذ طريقتـــه مــن السريـــان الذين كــانوا يستعملونها ٠

وهــذه ثانية ٠

فالناس أدخلوا جديدا على مصحف ســـيدنا عثمــان ، وكان هــذا التجديد في صلاح الاسلام والمسلمين ، اذ لولاه لاعوجت الالسنة في قراءة القرآن اعوجاجا فظيعا ٠

واذاكانت النقط التى تمثل الحركات لم تستطع حراسة القرآن من خطأ اللسان ، فان الحاجة دعت الى التفكير في عمل ما يعصمه ٠

ان في العربية حروفا تؤاما ، ويضل القراء ـ كثير منهم ـ فلا يهتدون الى الحرف الصحيح ، فهناك خمسة أحرف لا فرق بينها في الكتابة اذا جاءت في أول الكلمة ووسطها وهن : البــاء والتــاء والثــاء والنون والياء ، وغلط الناس في قراءة القرآن غلطا يخرجه عن نصه ٠

وهذه مشكلة خطيرة كل الخطورة دعت الى التفكير حرصــا على كتاب الله عز وجل ، فالنقط الذى وضعه أبو الاسود أراد منه ضبط الاعراب ضبطا نحويا ، ولم يكن للتفرقـــة بين الحروف التــؤام أو الحروف التى يشبه بعضها بعضا ٠

ويقال : ان الحجاج فزع الى الكتاب وسألهم أن يضعوا لهذه الاحرف علامات تميز بعضها عن بعض ، فنهض نصر بن عاصم بهذا العمل في حدوده الضيقة، فوضع نقطا على بعض الحروف وليس على الحروف المتشابهة جميعا ٠

وهــــذه ثالثة ٠

ومع هذا فان ما أضيف الى خط المصحف ورسمه لم تكن فيه الكفاية التى تصون القرآن الكريم من خــطأ اللســـــان فمــيزت الحروف التؤام والحروف المتشابهة بنقط ، فميزت البــاء بنقطة تحتـــها ، والتاء بنقطتين

فوقها ، والثاء بثلاث عليها ، وفرق بين الكاف واللام اذا كانتا مفردتين غير متصلتين أو في أول الكلمة كما هو معروف الآن ، ولكن هذا التفريق لم يكن الا بعد تطور الاملاء العربى ٠

هـذه رابعة ٠

الا أن ما تم لم يكن فيه الغناء كله ، فما زالت الالسنة ترتضخ بالغلط ارتضاخا بعد دخول ملايين في دين الله ، وتهديد عجمة الالسنة للفصحى ، وولدت مشكلة جديدة وهى التفرقة بين النقط النحوى ونقط التمييز بين الحروف ، فتوضع على الحرف أو تحته نقطتان : اهداهما للاعراب والاخرى للتفرقة بين الحرف وتوأمه ٠

وجاء الخليل بن أحمد ـ أحد عباقرة الدنيا ـ وابتكر شكلا ظريفا جميلا للحركات ، فاخترع علامات رائعة هن : الفتحة والضمة والكسرة والسكون والشدة والتنوين ٠

وأكمل نقط سائر الحروف التؤام والمتشابهة ٠

وهذه خامسة ، ثم سادسة ، وسابعة ، وهكذا ٠

وهذه التجديدات التى أضيفت الى خط المصحف ورسمه لم تكن خاتمة جهود العلماء الاعلام ، بل أضاف القراء وعلماء التجويد علامات جديدة كالوقف والروم والاشمام والمد ٠

ويجب ألا ننسى ما أضيف الى المصحف من فواصل الآيات وأرقام لها ، ومن اضافة بيانات الى أسماء السور كعدد الآيات ومواضع نزولها مما لا نجد في مصاحف الصحابة جميعا وبخاصة « المصحف الرسمى » ٠

وما دامت الحاجة أباحت للعلماء والكتاب أن يطوروا خط المصحف نفسه حتى أصبح الخط الذى بين يدينا مغايرا الخط الذى كتب به في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، وان يضيفوا الى رسمه وخطه النقط والشكل وعلامات التجديد وغيرها ، فان من الخير لنا أن نصنع صنيعهم لحراسة كتاب الله من خلل اللسان ٠

وما دام خط المصحف ليس توقيفا ، وتغير عن أصله الاول ، وأخذ يتدرج في طريق التطور حتى انتهى الى خط النسخ الجميل دون أن يجد أى معارضة من أحد ، فان معنى ذلك أن كل عمل لا يغير نص القرآن بل يضبطه يصبح فرضا وعملا جليلا في الاسلام ٠

ورسم المصحف نفسه قد تطور كثـــيرا ، ولم تبق فيه الا المخالفة الاملائية التي يجب أن نصلحها صيانة لكتاب الله •

فمن الغلـط الاملائي : حـذف ألف المد من وسط الكلمة ، مثل : « العالمين » تكتب « العلمين » ، و « اياى » تكتب « ايى » ، وهذا تقلـــيد للاملاء السرياني ، أما الاملاء العربي فلا يسيغ هذه المخالفة •

لو أملى أستاذ الاملاء عـلى طلبـته هـــذه الكلمـــات : « رحمة الله » و « الصلاة » و « الزكـــاة » و « عقبـــاها » و « الربـــا » و « فطرة الله » و « ليربو » و « الامين » و « النبيين » و « اللذان » و « امرؤ » و « نعمة الله » و « الحواريين » و « بالغداة » و « هدان » و « لاوضعوا » و « ننجى المؤمنين » و « امرأة » و « لا تيأسوا » و « لا ييأس » و « الملأ » و « علماء » و « برءاء » و « قرة عين » و « وراء حجاب » و « شجرة الزقوم » الخ ••• وهي كلمات وردت في القرآن الكريم وكتبها الطلاب برسم المصحف هكذا : رحمت الله ، والصلوة ، والزكوة ، وعقبـــها ، والربوا ، وفطرت الله ، وليربوا ، والامين (في الاميين) ، والنبين (في النبيين) والذان ، وامرؤ ، ونعمت الله ، والحـــوارين (في الحـــواريين) ، والغـــدوة ، وهـــدين ، ولا أوضعوا ، وننج المؤمنين ، وامرأت ، ولا تايئسوا ، ولا يايئس ، والملؤا ، وعلماؤا ، وبرءاؤا ، وقرت عين ، وورائى حجـــاب ، وشجرت الزقـــوم • أكان يعفيهم من الرسوب ، ان هـــذا هو رســـم المصحف المخـــالف لقواعد الاملاء العربي ؟

وردت في القرآن كلمة الربـــا مكتوبة على الاملاء العربي كما وردت مكتوبة هكذا « الربوا » ووردت التاء في رحمة ونعمة مربوطة كما وردت مفتوحة ، ووردت « الملأ » على القاعدة الاملائية ووردت هكذا « الملؤا » •

وان القراءة في هذه الايام عامة على النظر في المصحف ، وأكثر القراء يغلطون ، وأنا منهم ، مع أنني ختمت المصحف مئات المرات ، وأختمه كل شهر ثلاثا ، وأحيـــانا أربع مرات ، وكنت قد استظهرته وأنا صغير ثـــم نسيته ، وقرأت تجويده ، ووقفت على قراءاته ولغاته ، ومع هذا أغلط في القراءة اذا قيدت نظرى بالرسم •

هذا أنا الذى ما تركت القرآن قط ، فكيف بأبناء هذه الايام ؟

يجب وجوبا قاطعا أن نحرس كتاب الله حراسة السلف الصالح ،

ولا نجمد ، بل يجب أن نحرسه برسمه رسما صحيحا يتفق مع قواعد الاملاء العربى ، والا وقعنا في الاثم ؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

★ ★ ★

(تعليق : لم اذكر المصادر لكثرتها ، فقد رجعت في كتابة هذه الكلمة الصغيرة الى اكثر من مائة كتاب) .

خط المصحف ورسمه

(٣)

عندما كتبت رأيي في رسم المصحف وخطه كنت واثقا أن هناك من لا يوافقني عليه لانني دعوت الى تغيير الرسم واخضاعه لقواعد الاملاء العربية حتى يستطيع المسلم العربى قراءة القرآن بعيدا عن الخطأ ٠

وقد أفضل سماحة المفتي الاكبر العلامة الجليل محمد بن ابراهيم فكتب جوابا منع فيه تغيير رسم المصحف وخطه عن المصحف الامام ٠

وآراء سماحة المفتي الاكبر في المنع وأدلته هي :

١ ـ قول الامام مالك رضى الله عنه : « يكتب على الكتبة الاولى » الخ٠

٢ ـ قول الامام أحمد رضى الله عنه : « تحرم مخالفة خط عثمان في واو وياء وألف وغير ذلك » ٠

٣ ـ قول ابى عمرو الدانى « ٠٠٠ اضافة هاتين الالفين اليهما ، وصح أن اثباتهما من قبل عثمان والجماعة رضوان الله عليهم حسبما نزل به من عند الله وما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم » ٠

٤ ـ قول المفتي : « لا يجوز العدول عن رسم حظى بالاقرار في زمن الوحى الذى لا يقر فيه على ما يتنافى مع حفظ القرآن وبعمل الخلفاء الراشدين وباجماع الصحابة والتابعين لهم باحسان الى غيره مما سيجعل القرآن عرضة للتلاعب به » ٠

٥ ـ قول البيهقى : « ومن يكتب مصحفا فينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا ـ أى الصحابة ـ به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوا شيئا فانهم كانوا أكثر علما وأصدق لسانا وأعظم أمانة فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم ، واتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القديمة التى لا يجوز لاحد أن يتعداها » اهـ ٠

وكل هؤلاء الذين يمنعون تغيير رسم المصحف يبنون حجتهم على قول الامام مالك والامام أحمد ثم يأتون بآراء لهم لم يذكراها هما ولا من سبقهما من الصحابة والتابعين ٠

وأما قول البيهقي : « لا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم » فهو نفسه جاء بآزاء يمكن اعتبارها استدراكا عليهم ، وهذه ليست قاعدة أصولية في علم من العلوم ، فالفاضل يستدرك على الافضل دون أن يعد ذلك تجريحا لمن استدرك عليه أو خروجا على آداب اللياقة والسلوك •

وفي صحيح البخارى ٦ : ٧١ : « ان زيد بن ثابت الانصارى رضي الله عنه ـ وكان ممن يكتب الوحى ـ قال : أرسل الى أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر : ان عمر أتانى فقال : ان القتل استحر يوم اليمامة بالناس ، وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن الا أن تجمعوه ، وانى لارى أن تجمع القرآن •

قال أبو بكر : قلت لعمر : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال عمر : هو والله خير • فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله لذلك صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه الخ » •

ولو كان البيهقى حيا لسألته عن هذه الاستدراكات ! كيف يفعل أبو بكر وعمر وزيد بن ثابت ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم باعترافهم الصريح ؟ أترى ما قاموا به استدراكا ممنوعا ؟

ان هذا الحديث الشريف وضع لنا ميزانا صحيحا لوزن الامور كلها وهو « الخير » فهو مردها وحاكمها •

« هو والله خير » ميزان الاسلام ، وان يزعم البيهقى ما زعم ، وما دام أكرم الصحابة وأفضلهم أقدموا على فعل ما لم يفعله النبى لانه خير فما الذى يمنعنا من عمل كله خير لم يمنعه الرسول الاكرم ؟

وما دام هناك سعة ، فلماذا نحجر واسعا ؟ ألقول البيهقى ؟ألأنه أخافنا بكلمة « استدراك » حتى يفظع الامر تفظيعا ؟!

ان عمر بن الخطاب أحدث أشياء في حكومته الرشيدة الصالحة لم تكن معروفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر ، وفعل ما لم يفعلهما دون أن يتهمه أحد باستدراك على أفضل الخلق محمد ، دون أن ينهض « بيهقى » يمنع الخير بحجة الاستدراك على من هم أعلى وأرفع •

أنشأ عمر دواوين الحكومة ، وذلك لم يفعله الرسول والصديق ، وأحدث ديوان القضاء ودواوين الخراج والاحصاء والمحاسبة ، وأنشأ البريد ومرابط الثغور ومصنع السكة لضرب النقود ، وأعفى بعض النـــاس من الجزية كما صنع مع التغلبيين في الشام ٠

ولم يزعم « بيهقى » أن ذلك اســـتدراك غير محمود ، واســتحداث غـير مرغوب فيـــه ٠

ان عصر عمر اقتضاه ما صنع دون أن يتهم باستدراك أو يخوف به ، ولنا به أسوة ٠

بل تولية عمر حدث جديد ، فالرسول صلى الله عليه وسلم مات ولم يوص ، ولكن أبا بكر أوصى بالخلافة لعمر ، فما قيل : ان عمله استدراك أو نهج يلام عليه لانه لم يكن من عمل النبى أو ما يتفق معه بل قبله الناس ورضوا به لانه « خير »

وأما قول الدانى : « ان اثبات الالفـين من قبـل عثمان والجماعـة رضوان الله عليهم حسبما نزل من عند الله وما أقرأه رســـول الله صلى الله عليه وسلم » فما أظنه متعلقا بالرسم والخط ، بل بالقراءة ، لانه يقول: « وما أقرأه رسول الله » فاذا أراد أن الرسم نفسه من عند الله كان ابداء الرأى بتغييره خروجا على الاسلام ، لانه يريد أن يغير ما أنزل الله ٠

واذا صح أن الرسم مما أنزله الله لما جاز الخلاف فيه وطلب تغيـيره بما يتفق مع قواعد الاملاء العربى ٠

ولكن الصحيح الذى لا خلاف فيه ولا شبهة ان خط المصحف ورسمه لم يكونا منزلين من الله ، ولم يأمر الرسول بهما ، ولم يمنع اتخاذ سواهما، بل أمر بكتابة الوحى ، فكتب بالخط المعروف في ذلك الزمان وبالرســـم الاملائى الذى أخذه العرب عن سواهم ٠ والذى نعتقده ونعرفه أن القرآن أنزل من الله وأقرىء الرسول كما أنزل وأقرأه هو نفسه ـ عليه صـلوات الله وسلامه ـ كما أنزل عليه ، أما الرسم فلم ينزل به وحى من السماء ولم يأمر به صلى الله عليه وسلم ٠

وان منع الامام مالك والامام أحمد جدير بالتأمل والنظر لانه منع لا أجدنى موافقا عليه لا لانى استدرك عليهما ، ومعاذ الله أن يكون عندى هذا

الشعور ، ومن نحن حتى نشعر هذا الشعور ؟! لا أجدنى موافقا عليه عن قناعة لان عندى من الادلة ما يمنع هذه الموافقة مع علمى بجلالة قدرهما وانى من أتباعهما المخلصين .

واذا كان سماحة المفتى الاكبر حريصا كل الحرص على رسم المصحف الامام وخطه كما ذهب الدانى الى أن اثبات الالفين من قبل عثمان والجماعة حسبما نزل من عند الله وما أقرأه رسول الله وكما منع الامام مالك وحرمه الامام أحمد بصريح العبارة اذ قال : « تحرم مخالفة خط عثمان في واو وياء وألف وغير ذلك » فان كل المصاحف التى بين أيدينا سواء المطبوع منها في مكة المكرمة ، ـ حرسها الله ـ أم في القاهرة والاستانة وغيرها تخالف خط المصحف الامام كل المخالفة .

واذا كتبنا المصحف بخط المصحف الامام فان أحدا من المسلمين لن يستطيع قراءته بيسر وسهولة ، بل لا يستطيع المسلمون ـ الا آحادا ـ قراءته بل يعجزون كل العجز عن قراءته وفك حروفه .

والمصاحف التى بين أيدينا مكتوبة بخط النسخ هو غير خط مصحف سيدنا عثمان قطعا ، ولو أراد الدليل فهو بين يديه ، ليأمر سماحته بتصوير صفحة من أحد المصاحف العثمانية وليعارضها بما يماثلها من مصاحفنا الحاضرة .

وخط مصحف عثمان خط حيرى وليس عربيا أصيلا ، وعلى بعض الاقوال الراجحة أنه خط نبطى كما دلت الكشوف العلمية في مدائن صالح والعلا ، ومميزات الكتابة العربية هى نفسها مميزات الخط النبطى .

ومن هذه المميزات أن الكتابة العربية نشأت بغير نقط وأعجام مثل الكتابة النبطية ، وتاء التأنيث الملحقة بالاسم تكتب مفتوحة مثل «رحمت» وحرف المد اذا كان ألفا في وسط الكلمة تحذف مثل العالمين تكتب هكذا «العلمين» .

ونرى شيئا من هذه المميزات في النبطية في مصحف سيدنا عثمان .

والخط الذى كتب به الوحى هو خط يتصل بنسب صريح واحد بوثنيين نقلنا خطهم وقواعده ، وهذا ثابت لا شك فيه فهو ليس بوحى السماء .

وما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قارئا ولا كاتبا وكان أميا لتتم له النزاهة المثلى في الرسالة التى بعث بها ، وكلام الدانى لا يتعلق بالخط

ورسمه بل بالتلاوة التى هى توقيف من عند الله ، والقرآن الكريم نفسه يقول في حق الرسول الامين : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » .

فكلام الدانى الذى استدل به سماحة المفتى ليس معناه أن الرسم قد نزل من عند الله ، ونص كلام الدانى (المقنع ١٠٤) : « ان هذه الحروف من عند الله عز وجل كذلك منزلة ، ومن رسول الله مسموعة » .

فكتابة هذه الحروف وقواعد الاملاء من المهن والصناعات مما يصطلح عليه البشر ويعملونه لان القول بأن رسم مصحف عثمان منزل من عند الله فيه خطر كبير اذ يوقعنا فيما يضل العامة والخاصة .

في القرآن : « يا أيها » مكتوبة على هذا الرسم ومكتوبة هكذا « ياأيه » أيضا ، بل كل المواضع التى ذكرت فيها ـ « يا أيها » ـ مكتوبة حسب قوانين الاملاء الا في ثلاثة مواضع من القرآن وهى : الزخرف والنور والرحمان .

وفي القرآن الكريم : « رحمة » مكتوبة على حسب قواعد الاملاء العربى بالتاء المربوطة ، ومكتوبة بالتاء المفتوحة « رحمت » على قاعدة الاملاء النبطى والسريانى التى كانت تكتب هذه التاء مفتوحة .

فلماذا تجىء الكلمة في مصحف عثمان مرسومة حسب القاعدة الصحيحة وأحيانا مخالفة لها ، اذا كان الامر توقيفا فهنا مجال للقول .

لو كتبت الآن كلمة « رحمة » بالتاء المفتوحة لقيل : انك غالط في رسمها لان الصحيح أن تكتب مربوطة ، ولو كان ذلك منزلا من السماء لما جاز لمخلوق مسلم أن يصف من يكتب تاء التأنيث الملحقة بالاسم بالخطأ لانه يرسمها كما أنزلت من الله ، وليس فيما ينزله الله خطأ .

ولو أن رسم المصحف نزل من السماء وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن نتقيد به لحرم تغييره ، ولكن الرسم من اصطلاح البشر ، ورسم مصحف عثمان كان قبل تطور الخط العربى ، وكان سائرا في كثير من قواعده على الخط السريانى والنبطى .

ولو أن الرسم توقيفى ما اختلف زيد بن ثابت مع صحابه الذين كانوا يكتبون معه المصحف ، اختلف زيد معهم في كتابة « التابوت »

أيكتبونها بالتاء أم بالهاء ، ورفعوا اختلافهم الى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وعنهم ، فأشار أن تكتب بالتاء ٠

ولوأن رسم المصحف توقيفى لما كان هناك خلاف أتكتب تاء التابوت بالهاء أم بالتاء ، لان زيدا كان يكتب ورسول الله يمليه في حياته عندما كان يكتب له الوحى ٠

ولو كان رسم المصحف توقيفيا لما اختلفت مصاحف عثمان نفسها ، ففى مصحف أهل الكوفة : « والجار ذا القربى والجار الجنب » ، وفي المصاحف الاخريات : « والجار ذى القربى » ٠

وهناك اختلاف بين المصاحف الامهات المبعوثة الى الامصار مما تحتمله القراءات مثل : « وأوصى بها » في سورة البقرة الآية ١٣٢ و « ووصى بها » بدون ألف ، والاولى قراءة أهل المدينة والثانية قراءة أهل العراق ٠

وقال أبو عمرو الداني في المقنع ٩٤ : « كتبوا في بعض المصاحف « ولأوضعوا » بغير ألف وفي بعضها « ولا أوضعوا » بألف » ٠

فرسم المصحف على ما نفهم اصطلاحى لا توقيفى ، ومن هنا كان ما يخالف قواعد الاملاء ، وقد ذكر ابن كثير في « فضائل القرآن » قوله : « ان الكتابة في ذلك الزمان لم تحكم جيدا ، ولذا وقع في كتابة المصحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى » ٠

وفي نفس شواهد سماحة المفتى الاكبر ما يدل على مخالفة رسم مصحف عثمان للقواعد الاملائية ومن هذه الشواهد :

أولا ـ ما نقله سماحته عن ابن كثير في كتابه « فضائل القرآن » قوله : «فأما تلقين القرآن فمن فم الملقن أحسن لان الكتابة لا تدل على الاداء» ٠

ثانيا ـ قول القاضى أبى بكر بن العربى : « هذه المصاحف انما كانت تذكر لئلا يضيع القرآن فأما القراءة فانما أخذت بالرواية لا من المصاحف » ٠

ثالثا ـ ان تلقى القرآن من أفواه الرجال يذهب الغموض من الرسم كائنا ما كان وهو المعول عليه ٠

فرسم المصحف العثمانى لا يطابق كله قواعد الاملاء العربى ٠

وأما شاهد سماحة المفتى : « قال الامام أبو عبيد حدثنى هشام بن اسماعيل الدمشقى عن محمد بن شعيب عن الاوزاعى أن رجلا صحبهم في

سفر قال : فحدثنا ما رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان العبد اذا قرأ فحرف أو أخطأ كتبه الملك كمـــا أنزل » وشاهده الآخر : « عن بكير بن الاخنس قال : كان يقـــال اذا قرأ الاعجـمى والذى لا يقيم القرآن كتبه الملك كما أنزل » فمرد ذلك الى عيب لسانى أو عجز أو جهل ٠

ولا يجوز أن يتلو مسلم القرآن محرفا وهو قادر على تلاوته صحيحا سليما ، فاذا كان في لسانه عوج من الخلـــقة لا يطيـعه على التقويم كمن يقلبون العين همزة أو الحاء خاء فذلك معفو عنه ٠

واذا كان في وسعنا أن نصحح خطأ التلاوة أو نعصم اللسان منه فان واجبنا أن نصنعه حراسة لكتاب الله ، أما أن نعتمد على الرسم القديم ولا نتخذ ما يصحح ما يشيع على اللسان من خطأ ففيه خلل وافساد ، فقد تحمل مراعاة الرسم عند تلاوة المصحف لمن لم يأخـــذه تلقيا وتلقينا على الخطأ فينفى المثبت ـ مثلا ـ ويخرج بالكلمات القرآنية عن مدلولها الصحيح ٠

وأكثر الناس في عصرنا يأخذون سورا من القرآن معدودات تلقينـا ، ثم ما بقى يتلونه نظرا وعينا ، وهم يخطئون فيه خطأ يسعنا تصحيحه أو عصمهم منه بكتابة المصحف على قواعد الاملاء العربى ٠

ومن واجبنا أن نحرس القرآن ونبعده عن هذا اللحن المعيب يلحنه من لم يأخذ القرآن تلقينا ٠

وموجز ما نقول : ان المصحف الحـــالى الذى نقرؤه يغاير المصحف العثمانى في كثير من الوجود ٠

أولا ـ قاعدة الخط ، فمصحف عثمان مكتوب بالقلم الحيرى أو الكوفي الذى هو غير عربى أصلا ٠ ومصاحفنا مكتوبة بقلم النسخ الذى يعد نهاية تطور الخط العربى ٠

ثانيا ـ الشكل ، فمصحف عثمان خال منه ، ومصاحفنـــــا الحديثة كلها مشـــكولة ٠

ثالثا ـ النقط ، فمصحف عثمان ليس فيه نقط بخلاف مصاحفنا ٠

رابعا ـ ليس في مصحف عثمان علامات التجويد والمقرأ والســـورة وأرقـــــام الآيـــات ٠

وما دمنا نقرأ في عصرنا هذا مصحفا يغاير مصحف عثمان في الخـط والشكل والقاعدة فما الذى يمنعنا من الاســـتغناء عن قاعدة الرسم التى

أخذها من كتبوا المصحف الامام من قاعدة غير عربية واحلال رسم متفق مع الاملاء العربى محل ما يختلف عنه ؟

ان فيما ندعو اليه ونراه « خير » ولنـا في أبى بكر وعمر وزيد بن ثابت أسوة ، أكرم بها من أسوة ، فقد وضعوا لنا الميزان الصحيح والنهج القويم « هو والله خير » •

وماذا نقصد من دعوتنا الكريمة ؟ نقصد الخير • وأى خير أعظم من صون كتاب الله من خطأ في التلاوة قد يحمـل الى خطأ في المعنى يفضى الى زيغ العقيدة أو الشرك •

وان كتابة المصحف على قاعدة الامـلاء العربى في هذا العصر أفضل وأبعد عن الشرك ، لان بعض الناس يقع في حـيرة ، فاذا كتب على رسم المصحف في غير المصحف عـد ما كتبه غلطا ، ولا يصح ذلك ، واذا كتب بخلاف المصحف وهو يعتقد أن ما يكتبه صحيح وأن رسم المصحف مخالف للقاعدة الصحيحة فقد وقع فيما يريب •

وخير لنا التقيد بقاعدة الاملاء العربى من الاخذ بقاعدة املاء غير عربى وغـير اسـلامى •

هذا رأيى كتبته ونشرته وأنا أرجو رضا الله ، والله الموفق ؟

نشرت بعكاظ سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م)

غد الاسلام

عندما تمزقت الدولة الاسلامية الضخمة وانقلبت كل قطعة دولة أو دويلة قائمة تحكم نفسها بنفسها يدير شؤونها حاكم يستبد بها ، ويستصفى خيراتها ومواردها ، ويستعبد أهلها ويسوقهم سوقا لتحقيق مآربه ومده بالمال الذى يكفل له شراء النعمة والرفاه واللذات : ضعف أمر المسلمين ضعفا شديدا أدى الى تأخرهم وجمودهم ٠

وعندئذ وجد أعداؤهم من الامم الاخرى الفرصة سانحة لهم فانقضوا عليهم وأخذوا يضربون كل دولة على حدتها ، ويقتطعون من أرض المسلمين حتى دالت دولهم جميعا ، وصاروا على مر الايام مستعبدين للفرنجة الذين امتصوا دماءهم واستصفوا كل جهودهم وأموالهم حتى أصبحوا قطعانا مستسلمة لعصا الراعى الظلوم ٠

فالانقسام هو سبب تأخر المسلمين الا أن يقظتهم منذ ربع قرن أفادتهم كثيرا ، لانها جمعتهم على الآلام ، وعرفتهم حقوقهم ، ونفخت فيهم الروح ودفعت بهم في سبيل المجد والعزة ، ورأينا دولا عربية واسلامية استطاعت أن تستقل عن تركيا وأوروبا وتحكم نفسها بنفسها ، ثم رأينا في الصفوف وحدة وتكتلا ، ولكن في حدود ضيقة لا تستطيع الخروج عنها لنقص في الاموال والثمرات والجهود والافكار والحريات ٠

وما كادت الحرب تنتهى حتى أبصرنا الشعوب الاسلامية تصبو الى الحرية وتكافح من أجل ذلك ، وينال بعضها الحقوق ، وبعضها في الطريق مثل أندونيسيا المحاربة الباسلة ، ويعمل زعماء العرب وزعماء المسلمين على توحيد الكلمة رغبة في الظهور بمظهر القوة وتمهيدا للتوحيد العام الشامل ٠

ان هذه اليقظة تبشر بأن غد الاسلام قد لاح في الافق البعيد ، ولكن ليس معنى هذا انه قريب لناظره ، لان الزمن الذى يكون بين الليل والفجر بالنسبة للشعوب ليس محسوبا بالدقائق ، لان الاعوام لا حساب لها في أعمار الشعوب ، ولهذا فان الغد غير قريب بالنسبة لاعمار الافراد ، ولكنه غير بعيد بالنسبة الى الشعوب ، الا أن الشعوب والحكومات تستطيع أن تقربه متى صدقت في القول وأخلصت في العمل ٠

فهل صدقت الحكومات والشعوب العربية والاسلامية ؟ أعتقد أنها صدقت وعزمت ، لان الوعى القومى في كل أمة دفعها الى الكفاح ، ورأينا ثمرة الكفاح في سوريا ولبنان والعراق ومصر واليمن والحجاز ونجد وغيرها من بلدان العرب والمسلمين ، الا أن الثمرة لم تنضج بعد ، لان الثمرة التى تكون من نصيب الشعوب لا تنضج سريعا ، ولا بد لنضجها من سنين ، الا أن سعى الشعب المتصل ، وجهاده الدائم ، وايمانه بالحرية يعمل على نضجها .

وانى أظن أن طلائع الغد قد أقبلت ، ولكن الغد نفسه بعيد لناظره الفرد قريب لناظره من الشعوب الصابية الى الكمال ، ولهذا فأنا مطمئن الى أن هناك غدا للاسلام يرتد فيه الى المسلمين بعض ما كان لهم من عز ومجد ، ولكن هذا الغد لن يطلع فجره الصادق الا اذا رجعنا الى الدين ومشينا على سنته ، فهو الذى يجمعنا بعد فرقة ، ويقوينا بعد ضعف ، ويوحدنا بعد انقسام ، ويحيينا بعد موات .

وما دام الاسلام قد استطاع جمع أمة متفرقة متدابرة جاهلة ويخضع لها الدنيا فان هذا الدين نفسه قادر على جمع الشمل وتوحيد الصفوف ، وتمليك العالم لاتباعه من جديد ، ومتى اتبعت تعاليمه حق الاتباع فان الغد سيشرق علينا كأبهى ما يكون غد .

افترى العرب والمسلمين ـ حكومات وشعوبا ـ يتبعون أمر الله فيعتصمون بحبله المتين ويتطلعون الى غد الاسلام يقظين مستعدين ؟ ؟

نشرت بمجلة « الحج » بمكة المكرمة سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٤٩ م)

* * *

كتبت الكلمة السابقة منذ خمس عشرة سنة ، وقد استقلت دول عربية واسلامية كالسودان ومصر والاردن وسوريا وتونس والجزائر وليبيا والمغرب واندونيسيا وغيرها خلال هذه السنوات ، واستردت سيادتها .

وغد الاسلام حق ، واستقلال هذه الدول لم يقرب هذا الغد المنتظر ـ مع الاسف ـ لان الاسلام لم يكن مقصدها ، بل صار مضطهدا كل الاضطهاد ، وأنكرته بلدان عربية واسلامية أشد انكار ، ومضت الى عدوه

الالد (الشيوعية) تستوحي من نظمها ودساتيرها ونظم حكمها ، وصرحت بأنهـــا « اشـــتراكية » .

ولن تكون في الدنيا اشتراكية منفصلة عن الماركسية ، وان زعم بعض علماء السوء والحكام المضللين ان الاشتراكية من الاسلام خداعا لشعوبهم المســـلمة المؤمنة .

ولا تسمع كلمة الاســـلام منهم الا اذا كانت حاجتهم اليه من أجل التضليل والخداع ، وجعلوا شعارهم « الحرية والاشتراكية والوحدة » وأخذوا يعملون لها في جد عنيف ، أما الاسلام فلا يعترفون به ، وتـولى أمور الشعوب المسلمة حكام ملحدون وشيوعيون وفسقة وفجرة أدركوا أن الاسلام لا يرضى عنهم فحاربوه وزووه عن الحكم ، واعتنقوا مذاهب الهدم والكفر لانهـــا تحبـهم وهم يحبونهـا ، لانهم يجـدون في ظلهـا ما يحل لهـم منكراتهم .

ومع استفحال شرور مذاهب الهدم والكفر في العالم العربي المسلم وفي العالم الاسلامي وانتزاع الملاحدة الحكم بالقوة والاجرام والارهاب لست يائسا في بزوغ غد الاسلام من جديد .

ان غد الاسلام آت لا ريب فيه مهما حاول الحكام الملاحدة قتـــل الاسلام ، فشعوبهم مسلمة مؤمنة ، والاسلام يدخل بلدانا جديدة تجد فيها ترحابا عظيما من أهلها ، يدخل بلدان أفريقيا ومجاهلها ، وتقوم مناراته في بلدان أوروبـــا وأمريكا ، ويزداد عـــدد معتنقيه وأنف محاربيه من الشيوعيين والمستعمرين والصهيونيين راغم .

الاسلام ينتشر في العالم دون أن تخـــدمه دولة واحدة ، ولكن الله يسخر لنشره أفرادا لا حول لهم ولا قوة الا به ، انه ينتشر على فقر دعاته البررة المخلصين ، وعلى قوة محاربيه وكثرة ما ينفقون من أموال لا تحصى .

وهذا الانتشار السريع للاسلام سيكون بمثابة حركة التفاف حول الحكام الملاحدة الذين يسيطرون على أمم الاسلام وشعوبه ، وعندما يأذن الله بغد الاسلام سيقضي المسلمون على حكامهم الظالمين المارقين ، وحينئذ تلتقي قوات الاسلام الجـديدة مـع قواتـه في داخـــل الاقطار الاسلامية المستعبدة لحكامها الكافرين .

غد الاسلام آت لا ريب فيه ، لاننا نشهد طلائع زحفه في كل مكان ، وجيوش من المؤمنين به تتجمع على بعد الديار وانقطاع السبل واستئساد أعدائه الذين يحكمون الشعوب المسلمة بالظلم والحديد والقهر .

غد الاسلام آت لا ريب فيه لان المسلمين عرفوا أنه لا ملجأ لهم الا الى الله الذى ارتضى لهم الاسلام دينا .

أما الذين انتزعوا الحكم في العالم العربى والاسلامى من غير المسلمين أو ممن يحملون أسماء مسلمين وهم أشد فتكا بالاسلام من شر أعدائه بل هم أشر أعدائه ، لانهم أخوة عباد مذاهب الهدم والكفر والتخريب ، أما هؤلاء المنتزعون فستذهب ريحهم على أيدى شعوبهم المسلمة التى تتربص بهم الدوائر .

وأيا كان الامر فان غد الاسلام آت لا ريب فيه ، ولن يطول بالعالم انتظاره ، ومهما أراد أعداؤه اطالة ليل الكفر فان مما لا شك فيه أن هذا الليل سينجلى عن غد الاسلام ؟

فهـــرس
موضوعـــات الكتـــاب

صفحة

